بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرئيسُ [أبو علىّ][1] أبو منصور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب رحمه اللهُ يمدحُ الإمامَ القائمَ بأمرِ الله[2] — قدّس اللهُ ضريحَه — :

كما قلتُما : بُرءُ الصبابةِ فى اليأسِ ... وليس لها غيرَ التجلُّدِ من آسِ[3]

فما فى الهوى مَرعًى يطيبُ لذائقٍ ... ولا مَوردٌ عذبٌ يَلَذّ به حاسِ[4]

سؤالُ مغانٍ[5]، ربعُها أخرسُ الصَّدَى[6]، ... وشكوَى إلى مَن قلبُه لينٌ قاسِ

أيبيضُّ فَرعى والجوى فى جوانحى[7] ... كأنّ الهدى ياقلب مسكنُه راسِ

وما هذه اللّاتُ[8] إلا صحائفٌ ... محاها بياضُ الشّيب عن لونِ قِرطاسِ[9]

كأنّ الرُّقَى مما عدِمت شفاءَها ... تَعلّمها الراقون من بعدِ وَسواسى

مَددتُ يدًا نحوَ الطبيب فردَّها ... إلى النَّحر وٱستغنى بإخبار أنفاسى

وما زال هذا البرقُ حتّى ٱستفزّنى ... سَنَا[10] كلِّ وقّادٍ ولو ضوءُ نِبراسِ[11]

وليلِ وِصالٍ أسرعَتْ خُطُواتُه ... بهجعةِ سُمّارٍ وغفلةِ أحراسِ

---

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فى المظان ما يؤيد ثبوتها . (٢) القائم بأمر الله : اسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله ، ولد سنة ٣٩١ هجرية وتولى الخلافة سنة ٤٢٣ هـ ومات سنة ٤٦٧ هـ ، ومكث فى الحكم ٤٤ سنة . (٣) الآسى : الطبيب . (٤) الحاسى : الشارب .
(٥) مغان : جمع مغنى وهو المنزل . (٦) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته .
(٧) الفرع : الشعر . (٨) اللات : جمع لمة — بكسر اللام — وهى الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٩) القرطاس : الصحيفة . (١٠) السنا : الضوء . (١١) النبراس : المصباح .

فما قُصَّ للنَّسرين (١) فيه قوادمٌ (٢) ولا رُبِطتْ ساقُ "الثريا" (٣) بأمراس (٤)

ضحوك ثنيّاتِ الصّباح تخالُه ضياءَ إمامِ الحقّ من آلِ "عبّاس"

هو الوارثُ النُّورالذى كان آيةً لآبائه الماضين من عهد "إلياس"

فلو لم يكن للناس فى الليل راحةٌ لضوءٍ (٥) من لألائه كلَّ دِيماس (٦)

كأن "رسولَ الله" ألقَى رداءَه من "القائم" الهادى على جبل راس

ضميرٌ جلاه صَيقلُ (٧) الحلم والتُّقَى وكفٌّ حباها الله بالجودِ والباس

ومحتجب بالعزّ لولا مكانه لرُجَّت نواحى هذه الأرض بالناس

زمانُ الورى فى ظلّه وجنابه كأيّام تشريق (٨) وليلاتِ أعراس

رعاهم بروض الأمن غبٌّ مخافةٍ وألبسهم ثوبَ الغنى بعد إفلاس

وراضَ الجموحَ (٩) للذَّلولِ (١٠) برفقه فما بينهم إلا موازينُ قسطاس (١١)

حماهُ هو البيتُ العتيقُ، ظباؤه حرامٌ على عَبل (١٢) الذراعَيْن فرّاس

---

(١) النسران : نجمان يقال لأحدهما : النسر الطائر، وللآخر : النسر الواقع .
(٢) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش ، والخوافى صغاره وهى تحت القوادم ، واحدها : قادمة . (٣) الثريا : سبعة كواكب، سميت بذلك لكثرة كواكبها .
(٤) أمراس : جمع مرس وهو الحبل . (٥) ضوأ : أنار . (٦) الديماس : المكان العميق الذى لا ينفذ إليه الضوء ، وسمى سجن "الحجاج" بالديماس لظلمته .
(٧) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها . (٨) أيام التشريق : هى ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، لأن لحم الأضاحى يشرق فيها .
(٩) الجموح : الذى لا يثنيه شىء .
(١٠) الذلول : المنقاد . (١١) القسطاس : العدل . (١٢) العبل : الضخم — والمراد به الأسد — .

فلو كان فيـه ناقـةَ اللهِ عاقرا (١) أخو "وائلٍ" ماذاق طعنة "جسّاسِ"

وما ضرَّ من كان الإمامُ سحابَهُ (٢) تقاعُـــدُ لمّاعِ البـوارق رجّاسِ

لسيّارةِ المعـروف فى صُلبِ مالِهِ (٣) غنـائمُ لم تُقسم عليهـا بأخمـاسِ

له من صوابِ الظنِّ بالغيب مخـبرٌ ولا خيرَ فى رأى آمرئ غيرِ حسّاسِ

وليس لأحقادٍ ذُكرنَ بذاكرٍ ولا لحقوق الله يُنسَيْنَ بالنّاسى

ولولاه كانَ الدِّين فقْعـا (٤) بقَـرقرٍ (٥) يُداسُ بأظلافٍ (٦) ويُفرَى (٧) بأضراسِ

سقاه نميـاه العـــز فآخضرَّ مُورِقًا (٨) وأينعتِ الأفنـانُ فى عُودِهِ العاسِى (٩)

فلا تنشُروا للبـاطلِ اليـــومَ رايَةً (١٠) وهل يُنشَر المدفونُ فى قَعر أرماسِ

---

(١) هو كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه : أعز من كليب وائل ؛ والشاعر يشير إلى قصته وهى بإيجاز : كانت البسوس خالة جساس بن مرة نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس وكان لها ناقة تسمى "سراب" فرت إبل لكليب بسراب هـذه وهى معقولة فى فناء بيتها جوار جساس بن مرة ، فلما رأت "سراب" الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الإبل واختلطت بها حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معـه قوس وكنانة ، فلما رآها أنكرها و رماها بسهم نخرم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو ، فلما رأتها البسوس ألقت خمارها من على رأسها وصاحت : واذلاه وجاراه ، وأحست جساسا فركب فرسا له حتى دخل على كليب فطعنه جساس فقصم صلبه ، فقامت الحرب بسبب ذلك وهى الحرب المشهورة بحرب البسوس ؛ والعرب تقول فى ذلك : أشأم من سراب ؛ وأشأم من البسوس . و يقال : إنها دامت بين بنى بكر وتغلب أربعين سنة وانتهت بقتل جساس . (٢) الرجاس : السحاب الشديد الصوت .

(٣) الأخماس : جمع خمس وهو نصيب يؤخذ فى الغنائم ، يقال : ربع فى الجاهلية وخمس فى الإسلام أى أخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية وخمسها فى الإسلام . (٤) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ؛ يقال للذليـل : هو أذل من فقع بقرقر . (٥) القـرقر : الأرض المطمئنة اللينة .

(٦) أظلاف : جمع ظلف وهو خف البعير ، أو حافر الفرس . (٧) يفرى : يشق و يقطع .

(٨) الأفنـان : الأغصان واحدها فنن . (٩) العـاسى : الذى غلظ وصلب من النبات .

(١٠) أرماس : جمع رمس وهو القبر .

يؤيده الرحمن فى كلِّ موقفٍ (١) بنصر يعود الليثُ وهـو به خاسِ

جيوشٌ من الأقـدارِ تُفْنِى عُداته (٢) بلا ضربِ إيثاخ ولا طعنِ أشناسِ

وكم شهـــدَتْ يوما أغرَّ محجَّلا (٣) تُخـلِّده الأقـــلامُ ذِكرا بأطراسِ

يُشاكِلُ "بدرا" (٤) والملائكُ حُضَّرٌ وَيذكُرُ جندا أُنزِلتْ يومَ "أَوْطاسِ"

وقـد علِمَ المصرىُّ (٥) أنَّ جنودَه سِنُو "يوسفٍ" منها وطاعونُ "عَمْواسِ"

أحاطتْ به حتَّى آستراب بنفسِه وأوجس فيهـا خِيفـةً أىَّ إيجاسِ

قصورٌ (٦) على "الفسطاط" (٧) أضحتْ كأنها (٨) قفـارُ ربوعٍ "بالسَّماوة" أدراسِ

سهامُ "أميرِ المؤمنين" مَكايدٌ ورُبَّ سهامٍ طرن عن غير أقواسِ

هو المصطَفِى التقوَى متاعًا لنفسه بجـوهرِها حالٍ بسُندُسها كاسِ

إذا وطِئت شُوسُ الملوك بساطَه (٩) تضاءل منهـا كلُّ أغلبَ هِرماسِ (١٠)

تَخِـرُّ بِهِ شُمُّ الجماجم سُجَّـدا (١١) ويخشَعُ فيـه كلُّ ذى خُلُقٍ جاسِ

(١) الخاسى : الصاغر الذليل . (٢) ايثاخ وأشـناس : كذا بالأصـل ولعل الأولى "أنباج" جمع نبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر ؛ والثانيـة لم نوفق الى مراد الشاعر منها .
(٣) أطراس : جمـع طرس وهو الصحيفة . (٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينـة وبهـذا المـاء كانت الوقعـة التى أظهر الله بهـا الإسلام وفرّق بين الحق والباطل . وأوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبى صلى الله عليه وسلم . (٥) يشير الشاعر الى الغلاء الذى حصـل فى مصر أيام المستنصر العباسى . وعمواس : كورة بفلسطين بالقرب من بيت المقـدس ، وفيها كان ابتداء الطاعون فى أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم فشا فى أرض الشام فأهلك خلقا كثيرا وذلك فى سنة ١٨ من الهجرة . (٦) الفسطاط : مصر القديمة . (٧) السماوة : بادية بين الكوفة والشام . (٨) أدراس : بالية . (٩) الأغلب : الأسد الغليظ الرقبة .
(١٠) الهرماس : الأسد الشديد . (١١) الجاسى : الجافى .

يُحيُّون من جسم النبوّةِ بَضعَةً (١) هى القلبُ فى الحيزوم والعينُ فى الراسِ

ويَغشَون قَرْما من "لؤىّ بن غالبٍ" (٢) يعـدِّد فى أنسابه كلَّ قِنعاسِ

من الخلفاءِ الراقعين بِناءهم بأطـولِ أعمادٍ وأثبتِ آساسِ

رعَتْ ذمَمَ الإسلام منهـم كوالئٌ (٣) وسيست أمورُ الملكِ منهم بسُوَّاسِ

نجومٌ إذا السارون ضلُّوا هدتهُـمُ هـدايةَ نيران رُفعن بقُرناسِ (٤)

قِداحُهُـمُ يومَ الفخار فـوائزٌ وأسهمُهم إن نازلوا غـيرُ أنكاسِ (٥)

همُ ملئوا الدنيا بطيبِ حديثهـم كما ملأ الأسماعَ قعقاعُ أجراسِ (٦)

كرهبانِ ليلٍ لا تلائمُ مضجَعا وأُسْدِ صباحٍ ما تقـرُّ بأخياسِ (٧)

وما منهـمُ من ملَّك البِيضَ قلبَـه (٨) ولا طمعتْ فى لُبِّهِ وثبـةُ الكاسِ

عَتادُهم فى حَجِّهـم وجِهـادهم جراجرُ أجمالٍ وتَصهـالُ أفـراسِ (٩)

أولئـك آباء الإمامِ ورهطُـهُ أصـولُ كرامٍ زَيَّنتْ خيرَ أغراسِ

عَمرتَ "أميرَ المؤمنين" بنعمةٍ وعيشٍ صفيقِ الظلِّ أخضرَ مِيَّاسِ (١٠)

ولا زالت العلياءُ عنـدك وفدُها يروح بأنواعٍ ويغـدو بأجناسِ

---

(١) الحيزوم : الصدر. (٢) القنعاس : الرجل الشديد المنيع. (٣) الكوالى : الحفاظ.
(٤) القرناس — بكسر القاف وضمها — : شبه الأنف يتقدّم من الجبل. (٥) الأنكاس : السهام الضعيفة التى ينكسر فوقها ، واحدها : نكس — بكسر النون — (٦) فى الأصل هكذا "تنقاع".
(٧) الأخياس : بيوت الآساد ، واحدها خيس. (٨) البيض : الجوارى الحسان.
(٩) الجرجرة : ترديد صوت البعير فى حنجرته ، والتصهال : الصهيل وهو صوت الفرس.
(١٠) الصفيق : الثخين المنسوج نسجا متينا ؛ وهو مجاز.

أبحتَ حِمَى الإحسانِ حتّى أصابه ... معاشرُ من نَيـل المنى غيرُ أكياسِ

وما نعـــمةٌ إلا أفضتَ لباسَهـا ... على من عهدناه لها غيرَ لبّاسِ

مواهبُ فيهـا لابنِ حِصنٍ وحابس ... نصيبٌ، فهـلّا مثلُه لابن مِرداسِ؟

فمـالى وبحرُ الفضل عنـدك زاخرٌ ... يطاوَل فى دار المُقـامة أحلاسى(١)!!

إذا رُفعت نارُ القِرَى لك أُوقدتْ ... مَصابيحُ لم يُستدنَ فيهنّ مِقبـاسى

أعوذُ بواديك المقـدَّس أن أُرى ... فريسةَ قنّاصٍ من الدهر نهّـاسِ(٢)

بلا رِقبـــةٍ جَـورُ الزمان وعدلُهُ ... وتحريمُجُـــه جارٍ على غير مقياسِ

فإن تصطنـعْ نُعْمى فأنتَ وليُّهـا ... وهيهات تُقضَى من رجائك أحلاسى(٣)

ننال بأدنى القولِ منك مدَى العلا ... ولا عجبٌ أن يُحضر الدُّرُّ بالمـاسِ

وإن كان ندىُ الجود عندك حافلا(٤) ... فقـــد يُمترَى دَرُّ اللَّبون بإبساسِ(٥)(٦)(٧)

تعامت لنـا الأيامُ عنك وأبلستْ(٨) ... نوائبُهـا عن قصـدها أىَّ إبلاسِ

فليست صروفُ الدهر ـ مادمت سالما ... مُعاشرَ أهليهـا ـ بخـوفٍ ولا باسِ

---

(١) أحلاس : جمـع حلس وهو كل شيء ولى ظهر البعـير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج، وفى الأصل : * ومالى وبحر الفضل عنـدى * الخ وحلامى بدل أحلاسى ولعل ما رجحناه أقرب الى الصواب . (٢) النهاس — بالمهملة — : النهاش — بالمعجمة — (٣) أحلاس : جمع حلس وهو الرابع من سهام الميسر وله غنم أربعة أنصباء ؛ والحلس أيضا العهد والميثاق . (٤) حافلا : ممتلئا . (٥) يمترى : يحلب . (٦) اللبون : كثيرة اللبن . (٧) الإبساس : دعاء الناقة للحلب .
(٨) أبلس : تحير ولم يهتد .

* * *

وقال يمدح رئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمة (١) :

لو كنتُ أُشفقُ من خضيبِ بنانِ ... ما زرتُ حيَّـكُمُ بغـير أمانِ

يا صـبوةً دبَّت إليَّ خديعـةً ... كالخمـر تسرِقُ يقظـةَ النشوانِ

أُنظرْ فما غضُّ الجفـون بنـافع ... قلبا يَـرى ما لا تَـرى العينانِ

ولقـد محا الشَّيبُ الشبابَ وما محا ... عهـدَ الهوى معـه ولا أَنسانى

فعلمتُ أن الحبَّ فيـه غَـوايةٌ ... مغتـالةٌ للشِّيبِ والشُّبّانِ

ما فـوق أعجـازِ الركابِ رسالةٌ ... تُلهى، ففـيمَ تَحيّـةُ الرُّكبانِ ؟!

عذرا، فلو علمـوا جواك لساءلوا ... غِزلانَ "وَجرةَ" (٢) عن غصون البانِ

قُولا لكُثبان "العقيقِ" (٣) : تطاولى ... دون "الحِمَى" أقـدُرْك بالطَّمَحان

ولَيَنسِفَنَّ الرمـلَ زَفـرةُ مدنفٍ ... إن لم يُعنْـهُ الدمـع بالهمـلانِ

عجـل الفريقُ وكلُّ طَرفٍ إثرَهم ... متعـثِّرُ اللحظـاتِ بالأظعانِ (٤)

وكأنما رُدْنايَ (٥) يـومَ لقيتُهـا ... بالدمع قد نُسِجا من الأجفانِ

كلِّفْ تجـلّدِيَ الذى يسـطيعُهُ ... هـل فىَّ إلّا قـدرةُ الإنسـانِ

---

(١) هو على بن الحسين كان فى بيت رياسة ومكانة استكتبه القائم بأمر الله العباسى ثم استوزره ولقبه "رئيس الرؤساء" . ولد فى شعبان سنة ٣٩٩ هجرية وقتل سنة ٤٥٠ ، وله تاريخ طويل يرجع اليه فى مظانه .

(٢) وجرة : موضع بين مكة والبصرة مكتظ بالوحش .

(٣) الكثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل ، والعقيق : ناحية بالمدينة .

(٤) الأظعان : الإبل تحمل النساء أو هى الهوادج يجلسن فيها .

(٥) الردن : الكم .

ولئن فررتُ من الهــوى بحُشاشتى ... فالحبُّ شــرٌّ متالف الحيــوانِ

يدرى الذى نضــح الفــؤاد بنَبْله ... أن قد رمى كَشحيهِ(١) حينَ رمانى

لو لم تكن عيــنى على أطــلالهم ... عُقِرتْ لمــا سَــفَحتْ بأحمرَ قانى

متأوّلين على الجفــون تجنّيا ... فالدمــع يُمطــرُهم بــذى ألوانِ

ولو آنــه ماءٌ ، لقالوا : دمعُــهُ ... رِيقٌ ، وجفنَــا عينــه شَــفَتانِ

ظمئى إلى ماء "التُّقَيْبِ"(٢) لأنّــه ... وِرْدُ اللِّمَى(٣) ومناهــلُ الأغصــانِ

ولَنِعمَ هينمــة النسـيم محــدّثا ... عن طِيبِ ذاك الجيبِ والأردانِ(٤)

إن لم يكن سهلُ "اللوى"(٥) وحزونُهُ ... وطــنى فإنّ أنيسَــه خُــلّانى

ولو أنهم حلُّوا "زرودَ"(٦) منحتُــهُ ... كَلَفى وقلتُ : الدارُ بالجــيرانِ

عُلَقٌ تَلاعبُ بى ورُبَّ لُبانــةٍ ... "شاميّةٍ" شغَفتْ فؤادَ "يمــانى"

هل تُبلغنّى دارَهُــمْ مزمومــةٌ ... بالشــوقِ موقَرةٌ(٧) من الأشجانِ؟

فعسى أميلُ إلى القِبــابِ مناجيا ... بضمائــرٍ ثقُلتْ عــلى الكتمانِ

وأطــاردُ المُقــلَ اللــواتى فتكُها ... يُمــلى عــلىّ مَقاتل الفُــرسانِ

متجاذبين من الحــديث طرائفــا ... يُصــغِى لطيبِ سماعِها النَّضــوانِ(٨)

---

(١) الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر الأضلاع . (٢) التقيب : موضــع بين تبوك ومعان . على طريق حاج الشام . (٣) اللمى : سمــرة فى باطن الشفة . (٤) الأردان : جمع ردن وهو الكم . (٥) اللوى : واد من الأودية وهو بعينه . (٦) زرود : اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة . (٧) موقرة : مثقلة . (٨) النضو : المعي المهزول من الإبل .

كَرِّرْ لحاظكَ فى الحُدوجِ (١) فبعدها هيهات أن يتجاور الحيّانِ

من بعـد ما أرغمتُ أنفَ رقيبهم حَنَقا وخُضتُ حميّـة الغَـيْرانِ

وطرقتُ أرضَهُمُ ، وتحتَ سمائها ـ عددَ النجومِ ـ أسنةُ الخُرصانِ (٢)

أرضٌ جَداولُها السيوف وعُشبُها نَبْعٌ (٣) وما ركزوا من المُرّانِ (٤)

فى معشرٍ عشقوا الذُّحولَ (٥) وآثروا شُربَ الدماءِ بها على الألبانِ

قومٌ إذا حيّا الضيوفُ جِفانَهم ردَّتْ عليهمْ ألسنُ النيرانِ

وإذا شَواةُ (٦) الرأس صوَّحَ نبتُها فعلى قضاءِ مآربٍ من شانِ

ولتعلَمنَّ البيدُ أنَّ جِباهَها موسومةٌ (٧) بالنَّصِّ والوخدانِ

يُزجَرْنَ أمثالَ القِداحِ ضَوامرا ويُرَحْنَ أمثالَ القِسىِّ حوانى

أو يتهبنَ إلى جنابٍ ترتعى فيه الوفودُ منابتَ الإحسانِ

ربُّ المآثرِ والمحامدِ ربُّه وولىُّ بِكرِ صنيعةٍ وعَوانِ (٨)

تلقَ الجبابرةُ المصاعبُ وجهَهُ بجماجمٍ تحنو على الأذقانِ

متهافتين على الصَّعيد كأنّهم شربوا بهيبتِهِ سُلافَ دِنانِ

وطِئُوا سَنابكَ خيلِه بشفاههم قُبَلا وجلَّتْ عنهم القَدمانِ

---

(١) الحدوج : مراكب النساء وهى الهوادج أو المحفات . (٢) الخرصان : الرماح ، واحدها خرص ـ بتثليث الخاء ـ .

(٣) النبع : شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام .

(٤) المران : الرماح . (٥) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (٦) الشواة : جلد الرأس .

(٧) النص والوخدان : ضربان من السير . (٨) العوان : الثيب .

حتى إذا صدَعوا السُّرادقَ أطرقت (١) تلك الاواحـــُظ عن أغرَّ هِجـانِ

قـد أيقنتْ قِمَـمُ (٢) المـــلوك بأنه إن شـاء طلَّقهـا من التيجانِ

خَطَّـرًا أبا قَرْعَى (٣) الفِصال مُقاربا إن القُـــروم (٤) أحقُّ بالخطَّـــرانِ

فذروا "الحمى" يرعَى بـه متخمِّطٌ (٥) تُخشَى بوِدارهُ عـــلى الأقـــرانِ

ما بين ساعده الهصـــورِ (٦) محـرَّمٌ فتعرَّضـــوا لفريســـةِ السِّرحانِ (٧)

لا مَطعَـــمٌ (٨) لبُغـاتِـــكم فى مأزِقٍ حامت عليـــه كواســـرُ العِقبانِ (٩)

للْجلس الشـــرقىّ أبعـدُ غايـــة فى يوم مَلحَمـــةٍ ويـــومِ رِهانِ

فركـابُه ما تَنـــثنى بأزِمَّـــةٍ وجيـادُه ما ترعـــوى بعِنـانِ

هِمَمٌ كما سرت البـروقُ خواطفـا (١٠) فى حاصبٍ (١١) أو عـــارضٍ هتّـانِ

وعزائمٌ رُبِيَتْ وأطـــرافَ القنا وظُبا الســـيوفِ وارضعت بلبـانِ

إن الورى لمـا دعـــوْه "جَمالَهم" حلُّوا من العلياءِ خـــيرَ مكانِ

وأتتْ به "عدنانُ" فى أحسابهـا حتى أقـــرّ لهـا بنـو "قَحطانِ"

مجـــدٌ أطـلَّ على الزمان وأهـلِه متقيِّـــلٌ فى ظـــلِّه الثَّقَلانِ

---

(١) الهجان : الكريم . (٢) القمم : الرءوس . (٣) قرعى : جمع قريع والقرعى من الفصال : التى أصابها قرع وفى المثل : "إسنتت الفصال حتى القرعى" يضرب للضعيف الذى يتشبه بالأقوياء

(٤) القرم : الفحل العظيم . (٥) المتخمط : الفحل الهادر . (٦) الهصور : الكاسر .

(٧) السرحان : الذئب . (٨) المأزق : المضيق . (٩) العقبان : جمع عقاب وهى من أثر من الجوارح ، وهى حادة البصر ولهذا قالت العرب : «أبصر من عقاب» . (١٠) الحاصب : الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . (١١) العارض : السحاب المعترض فى الأفق .

ومفاخـــرٌ مشهودةٌ يَقضِى لهـا ... يومَ النفار ســـواجِعُ الكُهّانِ

من ذا يجـاذبه الفخارَ وقـد لوى ... أطنـابَه فى "يَذبُلٍ" "(١) وأبانِ"

طَلّاب ثأرِ المجـــد وهـــو مدفَّعٌ ... بين اللئـام مسَـــفَّه الأعوانِ

لم يرضَ ما سنّ الكرامُ أمامَـــه ... حـــتى أتى بغـــرائبٍ ومَعـانِ

نسخت فضـائلُه خِلالَهـــم التى ... نجحـــوا بهـا فى سالف الأزمانِ

فهى المنـاقبُ، لو تقـدّم ذكرُها ... تُليتْ مَثانِيهن فى القـــرآنِ

يعطيـــك ما حَرَم الجـوادُ، ودِينُه ... أن الـــثراءَ وعُدْمَهُ سِـــيّانِ

وإذا رجالٌ حصّـــنوا أموالَهـم ... جعَـل المواهبَ أوثقَ الخُـــزّانِ

كم أزمـــةٍ ضحِكت بهـا أنواءُهُ ... والغيثُ لا يـــلوِى على ظمـــآنِ

من راحيته نوافـــلٌ (٢) ومنـائحٌ ... ومن القـــلوب مطامـــعٌ وأمانى

فحـذارِ أن يطغَى السؤالُ بطالبٍ ... رفـدًا فيركـبَ غاربَ الطُّوفانِ

وأصَبْتُ، قد يَحكى السحابُ نوالَه ... لكـنّ ذا ناءٍ وهـــذا دانِ

وقرنتُـه بالبحـر يقـذِفُ باللُّهَى (٣) ... ونسيتُ ما فيه من الحَـــدَثانِ

وذكرتُ ما فى الليثِ من سَـطَواتِه ... ولربّما وَلّى عن الأقـــرانِ

لا تعـــدَم الأزمانُ رأيَـــك إنه ... فى ليلهـا ونهـارها القمـــرانِ

---

(١) يذبل وأبان : جبلان . (٢) النوافل : جمع نافلة وهى العطية . (٣) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا .

رأىٌ سقَى اللهُ الخـــلافةَ صـــوبَهُ ... ورمى بصاعقـــهِ ذوى الشَّـــنآنِ (١)

نُجْحا بنى "العبّاس" إن قنـاتكم ... هُزَّتْ بأحـــذقِ ساعدٍ بطعـانِ

جَـدُّ أمـــدّ عديدكم من غيـــله ... بأشـدَّ من أسَـد العرين الجانى (٢)

يحمى ذمارَكُمُ بغـــير مساعدٍ ... ويحـــوط سَرحكُمُ بلا أعـــوانِ

وثباتُه العـــزم الذليق إذا ســـطا ... وزئيره حُـــكْمٌ وفصـــلُ بيـانِ (٣)

مســـتلئمٌ بجَنـانه وبنـانِهِ ... ولسـانه ، مِضـــرابةٍ مِطعـانِ (٤)

لمـا رأى — والحزمُ ينفعُ أهلَه — ... عَوْدَ الخـلافةِ ضـاربًا بجـــرانِ ، (٥)

والسيفَ لم يَرْكُضْ بكفَّىْ ضاربٍ ... والرمحَ لم يَطمحْ بعينِ سِـــنانِ ، :

داوَى عيَـاءَ الداءِ ساحرُ رفقِـــهِ ... والنَّقْبُ (٦) يَشـــفيهِ هِنَـاءُ (٧) الهـانى

حـــتى إذا برح الخفـاءُ وسفَّهتْ ... حِلمَ الحلـــيمِ حفيظةُ الغضـــبانِ ،

ورأى الهَـــوادَةَ (٨) مَرْوَةً (٩) مقـــروعةً ... والسِّـــلم مطعمةَ العـــدوّ الوانى ، :

نادَى فلبَّـاه صهيلُ ســـوابقٍ ... وأطيـــطُ (١٠) كلِّ حنيَّـــةٍ (١١) مِرنانِ

وفوارسٌ يَصلَوْن نيرانَ الوغى ... ممـا تُثـــيرُ جيـادُهم بدخانِ

---

(١) الشنآن : العداوة والبغض . (٢) الغيل والعرين : مربض الأسد ، ومن معانى الأول : الشـجر الكثير الملتف ، والأجمة . (٣) الذليق : الشـديد ، وفى الأصل : "الذلوق" .
(٤) مستلئم : متدرع . (٥) العود : الجمل المسن ، والجران : عنق البعير من مذبحه إلى منحره .
(٦) النقب : الجرب . (٧) الهناء : القطران ، والهانئ : الطالى بالهناء . (٨) الهوادة : اللين والرفق . (٩) المرو : حجارة صلبة براقة ، واحدها : مروة . (١٠) الأطيط : الصوت . (١١) الحنية المرنان : القوس التى ترن عند خروج السهم منها .

جنَبوا إلى الأعـــداءِ كلَّ طِمِـرَّةٍ (١) بُنيت مفـاصلُها على شَـيطانِ

مثـــل المَـراقبِ (٢) تحتهـم وهُمُ على صهواتها كالهَضْب (٣) من "ثهلانِ" (٤)

طلعوا طلوع الشمسِ يغمُرُ ضوءُها هامَ (٥) الرُّبَى ومغَابنَ (٦) الغيطانِ

وكأنما سجـــدتْ قِســـيُّهمُ إلى لألاء وجهـك إذ أتتـك حـوانِى

من بعد ما ســدّوا الفضاءَ وحرَّموا نَفَـــل (٧) الربيـع به على الغِـــزلانِ

يتسابقون إلى المنـون فكلُّهم يغشَى الردَى ما عُـــدّ فى الولدانِ

وإذا همُ عدِموا مَقـاودَ خيلهـم فتلوا لهـــنَّ ذوائبَ (٨) الفُـــرسانِ

فى كلِّ معـترَك تُجيـلُ كما تُهـــم (٩) قِدْحا (١٠) يفـــوز إذا ألتـقَى الجمَعـانِ

فاسئلْ جبالَ "الروم" لمَّا طوَّقوا أعناقهَـا من جمعهـــم برعانِ (١١)

ترعَى بهـا زُهرَ النجوم جيـادُهم ومن الســـحاب يَردنَ فى غُدرانِ

فكأنّهـــم يبغون فى فلَك الذُّرَى أن يأسروا "العَيُّـوقَ" (١٢) "للدَّبَرانِ"

تركوا المعـارك كالمناحِرِ من "مِنًى" وجماجمَ الأعـــداء كالقُـــربانِ

---

(١) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٢) المراقب : جمع مرقب وهو الموضع المشرف .

(٣) الهضب : جمع هضبة وهى الجبل خلق من صخرة واحدة . (٤) ثهلان : اسم جبل .

(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس أو أعلى الشىء . (٦) المغابن : جمع مغبن وهو الأرض السهلة .

(٧) النفل : نبت أصفر طيب الرائحة تسمن عليه الخيل . (٨) الذوائب : شعور النواصى ، واحدها : ذؤابة . (٩) كماة : جمع كام وهو البطل . (١٠) القدح : سهم الميسر . (١١) الرعان : الجبال الطوال ، واحدها رعن — بسكون العين — .

(١٢) العيوق : اسم نجم يتلو الثريا ، والدبران : منزل للقمر .

فكأنّما فـــرَشَ النجيعُ (١) تِلاعَهـا (٢) ووِهادَها (٣) "بشقائق نُعـــمانِ" (٤)

فأتاك وفدُ بنى "الأُصيفِرِ" (٥) يرتمى بهـــمُ جَنـاحَا ذِلّةٍ وهـــوانِ

جنحوا به مستسلمين وطالمـا شَمَخـــوا بدينهـــمُ على الأديانِ

بذلوا الإتاوة عن يدٍ فكأنّهم عقدوا بذاك الغُرمِ عَقْـدَ ضَمـانِ

فى كلِّ يومٍ تســـتهلُّ كنوزَهم كرمًا بعَشـــرِ مِيءٍ من العِقيانِ

وبرزتَ فى حُلل الوقارِ بهيبـــة فقأتْ عيـــونَ الكفر بالإيمـانِ

وكفاك أن قُدتَ الضلالة بالهدى وجعلت دارَ الحـرب دارَ أمانِ

هذا "العراق" قد انجلت شُبُهاتُه وصَـــفا من الأقـــذاءِ والأدرانِ

إن مسّـــه نَصَبُ الورودِ فإنه ســـيُنيخ من نعـــماك فى اعطانِ

نفَّرت ذُؤبانَ (٦) "الغضا" عن شِربِهِ فالأَمنُ يَسرحُهُ بـــلا رُعيـانِ

ولّى "أَرسلانُ" (٧) يُمسِّح فى الحشا قلبـا يشـــير عليـــه بالطـــيرانِ

وهوت "بنو أَسَدٍ" تَثُلُّ لقاحَها فتسيل بين "الحَزْنِ" "فالصَّمّانِ" (٨)

وجرى الغرابُ مع البوارحِ صائحـا بالبين بين منازل "الجَـاوانِ" (٩)

(١) النجيع : الدم . (٢) التلاع : واحدها تلعة وهى ما علا من الأرض . (٣) الوهاد : ما انخفض من الأرض ؛ واحدها : وهدة . (٤) شقائق النعمان : نبات أحمر يشبه الدم به .

(٥) بنو الأصفر : الروم . (٦) ذؤبان : جمع ذئب وهو معروف . (٧) يشير الشاعر الى أرسلان التركى المعروف بالبساسيرى كان خصيصا عند القائم بأمر الله ، فتجبر وطغى فجفاه القائم فخطب ضدّ القائم للمستنصر ، وقد قتل شر قتلة . (٨) الحزن والصمان : موضعان .

(٩) الجاوان : قبيلة من الأكراد سكنوا الحلة المزيدية من العراق .

وطوتْ "عقيلٌ" عَرضَ كلِّ تَنوفَةٍ (١) بذميلِ ذِعلبـــةٍ (٢) وركضِ حِصـانِ

"بالشام" ألَّفَ خوفُ بأسك بينهم وقلوبُهـم شـــتَّى من الأضـغانِ

هيهات لو ركِبوا "النعائمَ" (٣) فى الدجى وأردتَ لاقتنصـاهُم (٤) النَّســـرانِ (٥)

وكذا عدوُّك إن نجـا جُثمانه فالقلبُ فى قِـــدِّ (٦) المخـافةِ عانِ (٧)

ما بين "مصرَ" و بين عزمِك موعدٌ متـــوقَّعٌ لوفائـــه الهـــرَمانِ

إن صانهـا بُعـــدُ المـدَى فلمثلها تقتادُ كـلّ نجيبـــةٍ مِـــذعانِ

ماءُ الجـــداول للأكُفِّ وإنمـا ماء القَليبِ (٨) يُنـال بالأشـــطانِ (٩)

من كان شرقُ الأرض طوعَ زمامِهِ لِمَ لا يصـــرِّف غَربَهـا بعِنـانِ

والجيشُ مَجْـــرٌ (١٠) والأوامرُ طاعـــةٌ والنصـر مرجـــوٌّ من الرحمنِ

* * *

وقال يمدحُه أيضا سنة ثمان وأربعين — أى بعد الأربعمائة — :

تَزاوَرنَ عن "أذْرِعات" (١١) يمينا نواشـــزَ (١٢) ليس يُطعنَ البُرِينا (١٣)

---

(١) الذميل : ضرب من السير . (٢) الذعلبة : الناقة السريعة . (٣) النعائم : منزلة من منازل القمر وهى ثمانية كواكب أربعة فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعـة خارجة وتسمى الصادرة ؛ وهى أيضا جمع نعامى وهى ريح الجنوب . (٤) افتنصاهم بالألف الدالة على التثنية على لغـة من يلحقها الفعل المسند الى الفاعل الظاهر وهى لغة قليلة . (٥) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع . (٦) القـد : القيد للأسير يقد من جلد . (٧) العـانى : الأسير . (٨) القليب : البـئر . (٩) الأشطان : الحبـال . (١٠) المجر : الكثير . (١١) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ؛ — تنسب اليه الخمر — . (١٢) نواشز : مستعصيات . (١٣) برين : جمع برة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير يكون فيها زمامه .

كَلِفنَ "بنجدٍ" كأنَّ الرياضَ أخذنَ "لنجدٍ" عليهـا يمينا

وأقسـمن يحملنَ إلا نحيـــلا اليـــه ويُبـلغنَ إلا حزينـا

ولمـا استمعن زفـــيرَ المشوق ونوحَ الحمام تركنَ الحنينا

إذا جئتما بانة "الواديين" فأرخوا النسوع وحُلّوا الوضينا

فـــثَمَّ علائقُ من أجلهنَّ مُلاءُ الضحى والدجى قد طُوينا

وقـد أنبأتْهـم ميـاهُ الجفو ن أنّ بقلبـك داءً دفينا

لعـــلَّ تمائمَ ذاك الغـــزال تُداوِى وَلوعا وتَشـفِى جنونا

لقد شبَّ بينىَ هـذا الغرامُ وما بين قومِك حَربا زَبونا

تُراهم يظنّون لمـا أغرتُ بلحظى عليهنّ أن قـد سُبينا

وماذا على مُسلِفٍ فى الظباءِ أُلطَّ به فتقـاضَى الديـــونا؟!

تلوم على شـغَفى بالقـــدود فهبْنىَ وَرْقاءَ تهوَى الغصـونا

ســواءٌ نُشيدى بهنّ النسيبَ وترجيعُها بينهنَّ اللُّحونا

ألا لِحُيَ الحسنُ من باخلٍ أبَى أن يصـاحبَ إلا ضنينا

وإنّ وَلوعى بأهـل "الحمى" يخيِّـل لى كلَّ سِربٍ قَطينا

---

(١) نسوع : جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل . (٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للهودج بمنزلة الحزام للسرج .

(٣) الزبون : التى يدفع بعضها بعضا فى الكثرة . (٤) ألط به : موطل فى دينه . (٥) الورقاء : الحمامة يضرب لونها الى خضرة .

(٦) القطين : القاطن .

أينشُـدُ رُعيانُهـم أن أضلّوا بعـيرا ولا أنشُـــد الظاعنينا؟

وفي السِّربِ أحوَى إذا ما آستراب (١) بقَنَّاصِـــه أمَّ دارا شَـطونا

ظَلِلتُ أكُرّ عليـه الرُّقَى وتأبَى عريكتُه أن تلينا

يصون محاســنَه بالصـدو دِ إذ ليس يلقَى عليهـا أمينا

ودون البراقع مكحـولةٌ (٢) تعـــلِّم طبعَ السهـام القُيونا

وما كنتُ أعلم من قبلهـ ـنّ أن الأسـنّة تُسمَى عيونا

صـوارمُ تَنهَزُ فتقَ الجـراح وما خُلقتْ للضِّراب الجفونا

نَوَدُّ النحورَ ونهـوَى الثغورَ ونعـــلَم أنّا نحبُّ المنـــونا

أقِلّنى من الوُخَّد (٣) الراسما تِ أكفِك من حيّهم أن يَبينا

ألسنَ اللواتى هزَزن الحدُو جَ هزًّا يُطاير عنهـا العُهونا (٤)

فكلُّ فنيقٍ ببطن "العقيق" (٥) من الضُّمْر (٦) قد أخدَجَتْه (٧) جنينا

عِدمتُ فتًى عند نقع الصريـ ـخ يُقعى (٨) عـلى أسْكَتَيه (٩) بطينا

يعـــدُّ المفـاخرَ والمكرما تِ طرفا كحيلا ورأسا دهينا

---

(١) الأحوى : الذى فى شـفته سمرة . والشطون البعيدة .
(٢) القيون : جمع قين وهو جلاء السيوف وصانعها ، ولعله يطلق على صانع السهام من باب التوسع .
(٣) الوخد الراسمات : الإبل التى من دأبها الوخد والرسيم وهما ضربان من السير .
(٤) العهون : جمع عهن وهو الصوف .
(٥) الفنيق : الجمل الصعب المكرم .
(٦) الضمر : الهزال .
(٧) أخدجته : ولدته ناقصا لغير تمام .
(٨) يقعى : يجلس على إليته و يرفع فخذيه .
(٩) الأسكتان — وتكسر الهمزة — : جانبا الاست .

فهل لكَ فى بسط أيدى المطـ (١) ـىِّ تَطوى المهامـهَ (٢) بِينًا فبِينا؟

إذا ما صُبغنَ بوَرس (٣) الهجيـ ـر حمرا تجلّينَ (٤) بالليل جُونا

فشبّهنَ لُجَّ السَّرابِ البحورَ وشبّهنَ السرابُ السفينا

وما تستطيلُ المـدى أينُقٌ بجمدٍ "جَمال" الورى قد حُدينا

وجدنا لديه ربيعَ الثنـا ء غضًّا وماءَ المعالى مَعينا

تبوّأ فى المجـد بُحبوحـةً على مثلها يكمَد الحاسدونا

ينادى النـجاحُ بأبـوابه: ألا نِعْم ما قَرَع الطارقونا

وتحسبُ من بأسه والبهـا ءِ مجلسَـه فَلَكا أو عرينا (٥)

لكل مَبزٍّ (٦) به سجـدةٌ تسابق فيـه الشفاهُ الجبينا

مقامٌ تخاذَلُ من هوله خُطَى القوم حتى تراهم صُفُونا (٧)

طغتْ يدُه وعلتْ فى السما حِ حتّى ذممنا السحابَ الهتونا

إذا ما أذعت صوبَهُ المعصرا تُ ردّت عليهنّ غُبْر السنينا

أيحكى بوارقُها والقِطـا رُ للعين عسجدَه (٨) والرَّقينا (٩)!

وما النارُ من ذَهب المجتدين وما الماءُ من فِضّة الراغبينا!

---

(١) المهامه : جمع مهمه وهو المفازة . (٢) البين : القطعة من الأرض قدر مد البصر .
(٣) الورس : نبات يصبغ به . (٤) جونا : سودا . (٥) العرين : بيت الأسد .
(٦) المبز : اسم مكان من بز بمعنى غلب . (٧) صفون : جمع صافن ، وهو القائم .
(٨) العسجد : الذهب . (٩) الرقين : الفضة .

أفى دِية البخـــلِ لمَّـا أماتَ ... يؤدّى الألوفَ و يُعطى المئينا؟

بمـا شئتَ يسخو ولولا الحيا ... ءُ من مجـــده قمَّ المجـــدَ فينا

ويأبَى على ســـرَف الطـالبيـ ... ـنَ ألّا يُصدِّق فيـــه الظنونا

ومن يستدلُّ على المكرمات ... يُمِـــرّ(١) من الشـكر حبلا متينا

وما زال يَكذِبُ وعـــدُ المنى ... إلى أن أقامت يداه ضمينا

وقد غَمزت عُودَه النـائباتُ ... فـلم تجد الضارعَ المستكينا

وإن زعزعتْه فإن القنا ... ةَ للطعن زعزعها الطاعنونا

سرى عزمه والكرى خمـرة ... يُدير زجاجتَها الهـاجعونا

فبـات عـلى صهواتِ الخطو ... ب أقفَى(٢) يقلِّب طَرْفا شَـفونا(٣)

إذا ما ٱرتقى ظنُّـــه مرباً ... من الغيب أوحَى إليـه اليقينا

وأفوهَ طارده بالجـــدال ... فخرّ بغـــير العوالى طعينـا

وكم خُطّـــة أفردتْه الرجا ... لُ فيهـا وولت شَعاعا(٤) عِضينا

أضـاء بحِنـــدِسها رأيُه ... وكان له الله فيهـا مُعينا

ففى كلّ يومٍ يُوافى البشيرُ ... بفتـــحٍ مبينٍ يُقرُّ العيونا

رمَى أهلَ "بابلَ" فى سِحرهم ... برقشاءَ(٥) تلقَفُ ما يأفِكونا

---

(١) أمر الحبل : أحكم فتله . (٢) الأقفى : الصقر . (٣) الطرف الشفون : الذى لا يفتر عن النظر من شدّة الحذر . (٤) شعاعا عضينا : متفرقة منجزئة . (٥) الرقشاء : الحية .

ألم تعلمـوا أنّ فى أفقـه (١) سحـائبَ، أمطارُها الدارعونا،
وفتيانَ صـدقٍ تكون السهامُ طليعتَهـم والسـيوفُ الكمينا،
وجُرْدا (٢) إذا وَجِيَتْ (٣) بالبطـا (٤) ح أحذى (٥) سنابكَهن (٦) الوَجينـا (٧)،
فيـوما لنُعمَى (٨) تَلُسّ (٩) الغمير (١٠) و يوما لبؤسَى تسُفُّ الدَّرينـا،
جرتْ سُنُحا بنواصى "العراق" فأحجم عن زجرها العـائفونا
وحكّتْ على "واسطٍ" (١١) بَرْكَها بيومٍ عسـير أشـابَ القرونا
تصبُّ على الفئـةِ الناكثين لعهدك سـوطَ عذابٍ مُهينا
فتـلك جمـاجمُهم فى الصعيـ (١٢) ـد تتّخـذ الطيرُ فيها وُكونا
مَرى "ابْنَ فَسنجُسَ" (١٣) من خلْفها (١٤) زُعافا وما كلُّ خلْف لَبونا (١٥)
فطـار على قادماتِ الفـرار جريضًـا (١٦) وكان فِرارا حَرونا
زجَتْه إليـك أكفُّ القضاءِ وتأتى بأقـدامها الحـائنونا (١٧)
و فى دار "بَكْرٍ" لهـا رجفـةٌ أزالت صياصِيَهـا (١٨) والحصونا

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . (٣) وجيت : حفيت . (٤) البطاح : الحصى الصغار، واحدها بطحاء . (٥) أحذى : ألبسها حذاء . (٦) السنابك : حوافر الخيل . (٧) الوجين : الحجارة . (٨) تلس : تتناول . (٩) الغمير : النبات الأخضر . (١٠) الدرين : يبيس الحشيش . (١١) البرك : الصدر . (١٢) وكون : جمع وكن وهو عش الطائر كالوكر . (١٣) مرى : حلب . (١٤) الخلف اللبون : الضرع الحافل باللبن . (١٥) الزعاف : السم القاتل السريع . (١٦) الجريض : المغموم . (١٧) الحائن : الذى حان حينه أى موته . (١٨) الصياصى : جمع صيصية وهى الحصن .

غداةَ زحمَت بها "عامرا" تخـوضُ قبـائلَها والبُطونا
لهـا غُرَرٌ إن رآها العد و لم ير أكفالهَـا والمُتُـونا
قضت من "عُبَادَةَ" أوطارَها وحكّمت البيض حتى رضينـا
وما تركت للـوالى حِمى ولا للعقـائل خِدرا مصـونا
فتلك "عقيـلٌ" (١) عقيلُ الفِرا (٢) رتُحْرش بالدو ضبًّا (٣) مَكونا
جعلتَ من الخوف أفراسَهـا (٤) كأقتادِها والفيـافى سُجُونا
ووافت "بنو أسَدٍ" كالأسود تخُـطُّ الرماح عليهـا عَرينا
فدع فُرصـــة الثأر ممطولةً لذنبٍ أقـــر به المـــذنبونا
أليس "طُلَيْحةُ" (٥) من عِيصهم أراغ (٦) النبوّة فى النـاس حينا
فلمـا نَـى الدينَ أشبالُه أناب وأطلقَ تلك الفنـــونا
ولاقت به "الفُرسُ" أمَّ اللُّهَيـ (٧) ـم : وأُدَ البناتِ وذبحَ البنينـا
ولا بدَّ "للشـام" من نطحة تُحذِّر "زمزمُ" منها "الجَونا"
وأخرَى "لمصرَ" تَخُطُّ الرّوا ةُ فى الرقِّ منها الحديثَ الشُّجونا
جعلتَ الخـــلافةَ فى عصرنا تُفاخر "مأمونَها" و "الأمينا"

---

(١) تحرش : تصيد . (٢) الدو : المفازة . (٣) يقال : مكنت الضبة والجرادة ونحوهما إذا باضت أو جمعت بيضها فى جوفها فهى مكون و بيضها : مكنها . (٤) أقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل أو هو جميع أدواته . (٥) طليحة هو ابن خويلد بن نوفل الأسدى كان يعد بألف فارس ثم تنبأ ثم أسلم ؛ والعيص : الأصل . (٦) أراغ : طلب . (٧) أم اللهيم : الداهية .

وجاهدتَ فيهـا جِهادَ آمرئٍ له جمـــعَ الله دنيا ودِينـا
إذا ما سلكتَ بهـا منهجا وثبتَ الجبالَ وجُبت الحُزونا
بسـطتَ لعَمرك كفَّ الزما ن يُحصى الليالى ويُفنى القرونا
ولا برِحتْ ألسنُ المكرما ت تُغْنيك عن ألسن المـادحينا
دعاءٌ إذا سمِعتْـــه العُـــدا ةُ قالت على الكره منها أمينـا

* * *

وقال يمدحُه أيضا فى سنةِ خمسين، وهى آخرُ ما أنشدَه :

من علَّم القلبَ ما يُمـــلى من الغَـــزَلِ نوحُ الحمـام له أَمْ حَنَّـــةُ الإبـلِ؟
لا بل هو الشوقُ يدعو فى جوانحنـا فيستجيبُ جَنانُ الحـازم البطـلِ
لكـلِّ داء نِطـاسىٌّ يلاطفـــهُ فهل شـفاك طبيبُ اللوم والعـذلِ؟
بيْنٌ وهجـرٌ يَضيع الوصـلُ بينهما فكيف أرجو خِصـام الحبِّ بالمَلَلِ
يُميت بُثِّىَ فى صـــدرى ويَدفنـــه أنى أرى النَّفث بالشكوى من الفشلِ
هن اللآلئ حازتهـا حمولُهـــمُ وإنمـا أبدلوا الأصداف بالكِلِ (١)
ولستُ أدرِى أبالأصداغِ قد كَحَلوا الـ ـأجفان أم صبغوا الأصداغَ بالكَحَلِ!
ما يستريب النقا أنَّ الغصون خطت عليـــه لكن بأوراقٍ من الحُلَلِ
من يشهد الركبَ صرعَى فى محلِّهـــمُ يدعوه رَمْسا ولا يدعوه بالطلـــل

(١) الكلل : جمع كلة وهى غطاء يغطى الهودج ؛ ويلاحظ أن "الباء" فى قوله "بالكلل" دخلت على غير المتروك .

قـد أَلِفَ الحيُّ من مسراكِ طـارقةً تبيتُ أحراسُهم منهـا على وجـلِ

أمسى شحـوبى وإرهافى يُدلِّسنى على الرقيب بسُمرٍ بينهـم ذُبُـلِ (١)

لم يسألوا عن مقامى فى رحالِهـمُ إلا أتيتُ على الأعـذارِ والعِلـلِ

لله قـومٌ يُبيحون القِـرَى كرما وينهرون ضـيوفَ الأعينِ النُّجُلِ

لو عدِموا البيضَ والخَطِّىَّ أنجـدَهم ضربٌ دِراكٌ (٢) ورشْـقاتٌ من المُقلِ

كأنمـا بين جَفْنَىْ كلّ ناظرةٍ ترنو كِنانةُ رامٍ من بنى "ثُعَـلِ" (٣)

لا روضُ أوجههـم مَرعَى لواحظنا ولا اللَّمَى مَـوردُ التجميش والقُبَـلِ (٤)

تحكى الغمامـةَ إيمـاضا مباسمُهـم وليس يحكيهـا فى جَوْدها الهطِـلِ (٥)

خافوا العيونَ على ما فى براقعهـم من الجمـال فشابوا الحسنَ بالبَخَـلِ

يا رائد الركب يسـتغوى لواحظَهُ برقٌ يلاعب ماءَ العـارض الخَضِـلِ (٦)

هذا "جَمـال" الورى تُطفِى مناصـلُه نارَ القِـرَى بدماء الأينُق البُزُلِ (٧)

لا يسأل الوفـدَ عمّـا فى حقائبهـم إن لم يوافوا بهـا ملأى من الأمـلِ

وما رعين المطـايا فى خمـائله إلا سَخَطن على الحَوْذانِ والنَّفَـلِ (٨) (٩)

إن امتنعتَ حيـاءً من مواهبـه أولاكهـا بضروب المكرِ والحيـلِ

---

(١) السمر الذبل : الرماح الدقيقة . (٢) دراك : متتابع . (٣) بنو ثعل : قبيلة مشهورة بالرمى والإصابة . (٤) التجميش : المداعبة . (٥) الجود : المطر .
(٦) العارض الخضل : السحاب الندى . (٧) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل .
(٨) الحوذان : نبات سهلي حلو طيب الطعم . (٩) نبت من أحرار البقول له رائحة طيبة .

قصَّرتِ يا سحبُ عن إدراك غايتـــهِ فمـا بروقُك إلا حُمـــرةُ الخجـــلِ

ومصـلح بين جدواه وراحتـــه يسـعى ويكدَح فى صلح على دَخَـــلِ (١)

سيفٌ "لهاشمَ" مسلولٌ إذا خشُنتْ له الضرائبُ لم يَفـــرَقْ من الفَلَـــلِ

فى قبضة "القـائم" (٢) المنصور قائمُـــهُ وشَفرتاهُ (٣) من الأعداء فى القُلَـــلِ (٤)

بيضُ القراطيس (٥) كالبِيض الرِّقاق (٦) له وفى اليراع (٧) غِنًى عن أسمـرٍ خطِلِ (٨)

وطالما جـــدَّلَ الأقرانَ منطقُـــه حتى أقـــرُّوا بأنّ القـــولَ كالعملِ

يـــوَدُّ كلُّ خصيم أنْ يعمِّمهُ فضـلَ الحسام ويُعفيـه من الجـدَلِ

ما البأس فى الصَّـعدة الصَّماء (٩) أجمعـه فى القول أمضَى من الهندىّ (١٠) والأسـلِ (١١)

ومستغرِّين بالبغيـا مزجتَ لهـــمْ كيدا من الصَّاب (١٢) فى لفظٍ من العسلِ

ما آستعذبت لَهَوَاتُ (١٣) السـمع مشربَهُ حتى تداعت بنـاتُ (١٤) النفسِ بالهبَـلِ (١٥)

أطعتَ فيهـــم أناةً لا يسـوِّغهـا حـلمٌ، وقد خُلق الإنسانُ من عجـلِ

---

(١) الدخل : الخديعة والمكر . (٢) القائم : مقبض السيف . (٣) الشفرة : حدّ السيف . (٤) القلل : الرءوس واحدها : قـلة . (٥) القراطيس : الأوراق . (٦) البيض : السيوف . (٧) اليراع : القلم (٨) الأسمر الخطل : الرمح المهتز . (٩) الصعدة الصماء : قناة الرمح الصلبة . (١٠) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (١١) الأسل : الرماح . (١٢) الصاب : نبات مر الطعم . (١٣) لهوات : جمع لهاة وهى لحمة مشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم — وقد استعارها هنا للسمع — . (١٤) بنات النفس : الهموم والخواطر . (١٥) الهبل : الثكل .

ثم اشتَمَلْتَهُـــمُ الصَّمّاءَ[1] فانشـــعبوا ... "أيدى سَبَا"[2] فى بطون السهل والجبلِ

ليس الرُّقَى لجميـــع الداء شافيـــةً ... الكَيُّ أشـــفَى لحلدِ الأجربِ النَّغِـــلِ[3]

قـــل للعُـــربِ : أنيبى إنهـــا دولٌ ... والطعنُ فى النحر دون الطعنِ فى الدولِ

هيهـــات ليس "بنو العباس" ظلُّهـــمُ ... عن ساحة الدين والدنيـــا بمنتقـــلِ

حَمَى حقيقتَهـــم مُرٌّ مَذاقَتُـــه ... موســـد الرأى بين الرِّيث والعجلِ

موطَّأٌ فإذا لُـــزَّت[4] حفيظتُـــه[5] ... تكاشر الموتُ عن أنيابه العُصُلِ[6]

إيهـــا "عقيـــل" إذا غابت كتائبُـــهُ ... فُزتم وإن طلعتْ طِرتم مع الحَجَلِ[7]

هـــلَّا وقوفا ولو مقـــدار بارقـــةٍ ... وما الفِـــرار بمنجاةٍ من الأجلِ

فانْهَ عن "الرِّيف"[8] يا فَقْعًا بقَرقَرةٍ ... وآبنى الـــنزولَ على اليَربوع والوَرَلِ[9][10]

نسـجُ الخَدَرنَقِ[11] من أغلَى ثيابكُم ... وخـــيرُ زادِكُمُ دُهْرِيَّةُ الجُعَـــلِ[12]

---

(١) الصماء : يقال : اشتمل الصماء وهى أن يرد الرجل الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقـــه الأيمن فيغطيهما جميعا . (٢) أيدى سبا : يقال : تفرق القوم أيدى سبا : أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده ، وذلك أن الله أرسل على أرض سبأ — وهو أبو عامة قبائل اليمن — سيلا أغرقها وانتزع سبأ وقومه فتبددوا فى البلاد فضرب بهم المثل . والمراد بأيدى سبا جنوده الذين كان يسطو بهم فى غاراته وحروبه . (٣) النغل : الذى فسد جلده . (٤) لزت : هاجت واجتمعت . (٥) الحفيظة : الغضب . (٦) عصل : جمع أعصل وهو الأعوج . (٧) الحجل : طائر . (٨) الفقع : الرخوة من الكمأة ؛ و يقال للذليل : هو أذل من فقـــع بقرقرة ، أى أذل من كمأة فى أرض منخفضة لأنها لا تمتنع على من جناها ، وقيل : لأنها تداس بالأرجل . (٩) اليربوع : حيوان من فصيلة الفار طو يل الرجلين وقصير اليدين جدّا . (١٠) الورل : دابة على خلقة الضب إلا أنه أكبر منه . (١١) الخدرنق : ذكر العنكبوت . (١٢) الدهرية : التى أسنت وطال عليها الدهر . والجعل : ضرب من الخنافس تؤذيه رائحة الورد ، قال المتنبي :

* كما يضر أريج الورد بالجعلِ *

إن يعهدوا العـــزَّ فى الأطنابِ آونةً ... فذا أوانُ حُلول الذلّ فى الحُلَـــلِ (٢)

ترقّبوها من "الجُودى" (١) كامنـــةً ... فى نقعها ككمون الشمس فى الطَّفـلِ (٣)

إن عُطفتْ عنكُمُ يوما فإنَّ غدًا ... مع الصباح توافيكم أو الأُصُـلِ (٦) (٥) (٤)

بكلّ مرتعـدِ العِرنين ما عرَفَتْ ... حَـــوْ باؤه خُلُقَ الهيّابةِ الوَكَـلِ

تدعُو على ساعديه ، كلَّمَـا اشتملتْ ... على حنيّتـــه ، الأرواحُ بالشَّـــلِلِ (٩) (٨) (٧)

فى جَحفـــلٍ كالغمام الجَوْنِ ملتبسٍ ... بالـــبرق والرّعد من لَمعٍ ومن زَجَلِ (١٠)

يُزجِى قَـــوارحَ فاتت باعَ مُلجِمها ... كأنَّ راكبَهـا موفٍ على جبـــلِ

عوَّدها الكرَّ والإقـــدامَ فارسُها ... فأنت تحسَبُها صـــدرا بلا كَفَلِ

أمَا سمعـــتَ "لبولاذٍ" وأســـرتِهِ ... أحدوثةً شَرَدت فوضَى مع المَثَـــلِ (١١)

إذ حطَّه الحَيْنُ من صمّاء شاهقةٍ ... لا يلحَـــق الموتُ فيهـا مهجةَ الوَعِلِ

نخـــرَّ للفـــمِ والكفّين منعفـــرًا ... إنّ السيوفَ لمن يَعصيك كالقُبَلِ

تعافه الطـــيرُ أن تقتاتَ جثّتَـــهُ ... لعلمهـا أنه من أخبث الأُكُـلِ (١٢)

الأرضُ دارُك والأيامُ تُنفقهـا ... على بقائك والأمـــلاكُ كالخَـــوَلِ

متّـــع لواحظَنا حتّى نقـولَ لهـا : ... لقـــد رأيتِ جميعَ النـاس فى رجلِ

---

(١) الجودى : اسم جبـــل . (٢) الطفل : احمرار الأفق قبيل غروب الشمس .
(٣) أصل : جمع أصيل وهو الوقت مابعد العصر الى المغرب . (٤) العرنين : الأنف .
(٥) الحوباء : النفس . (٦) الوكل : العاجز . (٧) الجحفل : الجيش العظيم .
(٨) الجون : الأسود . (٩) الزجل : الصوت . (١٠) القوارح : جمع قارح وهو من الخيل بمنزلة البازل من الابل . (١١) الوعل : تيس الجبل . (١٢) الخول : الخدم .

* * *

وقال يمدح الوزير أبا العباس بن فَسَنجُس الملقّب بعَلاء الدين ، وكتب بها إليه بواسط، ويذكر حربَه لابن الهَيْثم أميرِ البطائح :

لا أعذِر المـــرءَ يصبو وهو مختـارُ ... الحبُّ يُجمَـعُ فيـــه العـارُ والنـارُ

فعـارُه سَـفَه العـــذّال إن هجَـروا ... ونارُه حُـــرَقٌ إن شطّت الدارُ

لـــولا كَهانة عيني ما درت كِبدى ... أن الخِمـارَ(١) سحـابٌ فيـــه أقمـارُ

يُهـــوَى بيـاضُ محيّـاها وحُمـــرتُهُ ... كما يروقـــك دِرهامٌ ودينـارُ

إيه(٢) أحاديث "نَعْمانٍ" وساكنـــه ... إنّ الحديثَ عن الأحباب أسمـارُ

يا حبذا روضُه الأحوَى إذا آحتجَبتْ ... عنّى الثغـــورُ حكاها منـــه نُـــوّارُ

وحبّـذا البانُ أغصانا كَرُمنَ فما ... لهنّ إلا الحَمامُ الـــوُرقُ أثمـارُ

ظَلِلتَ مُغْـــرًى بذى عينينِ تعـــذُله ... وقبـلَه قد تعاطى العشـــقَ "بشّارُ"(٣)

عنـد العـــذول آعتراضات ومَعنفـةٌ ... وفى العتـاب جـــواباتٌ وأعـــذارُ

لا سنَحتْ بعدهم عُفـــرُ الظباء ولا ... ترنّحتْ فى الغصـــون الخُضْر أطيارُ

كأننى يومَ "سُـــلمانَيْنِ" قد علِقتْ ... بى من أُسَامةَ(٤) أنيـابٌ وأظفـارُ

---

(١) الخمار : غطاء يوضع على رأس المرأة ، واذا نونته كان للاستزادة من أى حديث .

(٢) إيه : اسم فعل للاستزادة من حديث معهود

(٣) بشار : هو ابن برد الشاعر الضرير المشهور، وفى هذا البيت إشارة الى قوله : * والأذن تعشق قبل العين أحيانا *

(٤) أسامة : الأسـد .

أفَتُشُ الريحَ عنـــكم كلَّما نفحتْ ... من نحـــو أرضـكم نكباءُ معطارُ

وأسأل الركبَ أنباءً فيكتُمنى ... كأنكم فى صـــدورِ القـــوم أسرارُ

حـــتى الخيـال بدا جنبى ليوهمَـنى ... قُـربا ومن دونكم بيـــدٌ وأخطارُ

ما تطمئنُّ بـــكم دارٌ كأنّ "عَلا ... ءَ الدِّين" مطلبُـــه فى حيِّـــكم ثارُ

هـو الذى لوحمىَ مَرعًى لما سَرحتْ ... ســـوائم الدهر إلا حيث يختارُ

ولو تُجـاوره الأغصانُ ما خطَـــرت ... ريحُ النُّعـامَى(١) عليهـا وهى مغـــوارُ

يُحـــكَى له فى المعـالى كلُّ مأثُـــرةٍ ... تُصبى القـــلوبَ وتُروَى عنه أخبارُ

عظَّمتُمُ مَن له فى المجـــد مَكرُمـةٌ ... وأين مِّمَّـــن له فى المجـــدِ آثارُ

أنَّى أقام فـــذاك الشَّعبُ(٢) متـــجَعٌ ... وكلُّ يـــومٍ يُحَيَّا فيـــه مختـارُ

لولا ضمانُ يديه رىَّ عالِمَـــهِ ... لجاءت السُّحبُ من كفَّيه تمتـارُ

يلقَى العُفـاةَ ببشرٍ شاغـــلٍ لهـــمُ ... عن الســـؤال وللأنـــواء أنوارُ

وحظُّـــه فى العطايا أنَّ راحتَـــه ... بين العُفـاةِ وبين الرِّفـــدِ سُمّـارُ

أخـــو المطامـــعِ يلقـاه بذلَّتِهـا ... وينثـــنِى وهو فى عِطفيـــه نَظَّـارُ

أفـــنَى الرجاء فمـا للخيـــل ما نحتوا ... من الســـروج ولا للعِيس أكوارُ

لا يَنهَبُ الشـــكرَ إلا من كتائبِهِ ... يـــومَ التغـاورِ أضـــيافٌ وزُوّارُ

إذا القِـــرَى عَقَرت أُمَّ الحُـــوارِ(٣) له ... رأيتـــه وهـــو للأمال عَقَّـارُ

---

(١) النعامى: ريح الجنوب. (٢) الشعب: الحى العظيم. (٣) الحوار: ولد الناقة الى أن يفطم.

لله مقتبـــلُ الأيام همّتـــهُ ... لهـا من البأس والإقبـال أنصارُ

ثِقْ بالنجاح إذا ما آجتـاب سابغـــةً (١) ... لهـا "الـــثريّا" مسامـــيرٌ وأزرارُ

لا يتـــوارى ضميـــرٌ عن سريرته ... كأنما ظنُّـــه للغيب مِســـبارُ (٢)

من الورى هـــو، لكن فاقهـــم كرما ... كذلك الدرُّ والحصبـاءُ أحجـارُ

بأيِّ رأيٍ "أبـــو نصرٍ" يجـاذبه ... حبـلَ الخلاف وبعضُ النقض إمرارُ (٣)

أما رأى أنَّ ليثَ الغـاب مجتمعٌ ... لوثبـــةٍ (٤) وفنيـــقَ النِّيبِ (٥) هَـــدّارُ

ولا جُنـاحَ عـــلى مُرسٍ كلاكلَه (٦) ... اذا تقـــدّم إعـــذارٌ وإنـــذارُ

بدأتَهُ بآبتســـامٍ ظنَّـــه خَـــوَرا ... فآغترَّ والكوكبُ الصبحيّ غرَّارُ

الآن إذ كشفَتْ عن ساقهـا ورمت ... قناعَهـا الحـــربُ والفُرسان أغمـارُ، (٧)

غـــدًا يمسِّـــح أعطافَ الردَى ندما ... وكيف تنهضُ ساقٌ مُخُّهـا رارُ (٨)

يُغشِي الســـفائنَ نيرانَ الوغَى سـفَها ... والنـارُ أقـــواتُها الأخشابُ والقـارُ (٩)

إن كان للأجَـــم (١٠) العـادىِّ مـــدّرعا ... فالليثُ بين يراع (١١) الخيس مِـذعارُ

أو كان يغـــترُّ بالأمـــواه طاميـــةً ... فإن بالقـاعِ من كفّيه تيّـارُ

---

(١) اجتاب : لبس، والسابغة : الدرع . (٢) المسبار : أداة يعرف بها غور الجرح .
(٣) الإمرار : إحكام الفتـل . (٤) الفنيق : الجمـل الكريم على أهـله ولا يركب .
(٥) النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٦) الكلاكل : الصـدور — والمراد بها هنا الأحمال والأثقال — . (٧) أغمار : جمع غمر وهو الكريم الواسع الخلق . (٨) الرار : الفاسـد . (٩) القار : الزفت . (١٠) الأجم العادى : الشجر الملتف القديم .
(١١) اليراع : القصب، والخيس : مريض الأسد .

إذا تـــرنَّم حَـــولىٌّ البعـــوض له ترنَّمت فى قسىِّ "الـــتُّرك" أوتارُ

أنجِـــزْ مواعيـــدَ عزمٍ أنتَ ضامنُهـا ولا يُنهنهِـــكَ إرديٌّ وقِنـــطارُ

فإنمـا المـالُ رُوحٌ أنت مُتلفُهـا والذِّكرُ فى فلواتِ الدهرِ سَـــيَّارُ

لا تـــتَّرِكْ نُهـــزَةً عنَّتْ مســـلَّمَةً إلى عـــلاك فإن الدهرَ أطـــوارُ

وما ترشَّح يـــومُ المِهـــرَجانِ لهـا إلا وللسـعدِ إيـــراد وإصـــدارُ

لما رآك نـــوى نَـــذرا يقـــومُ به حتى أتاك وشـــهرُ الصـــوم مِضمارُ

وقـــد زففنا هـــداياه مُنمنَمـــةً (١) كأنّهـا فى رقاب المجـد تِقصـارُ (٢)

ولستُ ارخصُ أقـــوالى لسائمهـا إلا عليـــك، وللأشـعارِ أســـعارُ (٣)

* * *

وقال يمدح الوزير أبا المعـالى بن عبد الرحيم فى النيروز :

أَلَكم الى ردِّ الشـباب سبيلُ أم عنـــدكم لمشـــيبه تأويلُ؟

نُورٌ من الشـــعَراتِ ليتَ أفولَه فيهـا طـــلوعٌ والطـــلوعَ أفولُ

ما كان يشفع لى بجـدَّد هِجرةً فِقـــدانُهُ لكنّه تعليـــلُ

يا ليتـــه جَنَبَ الغـــرامَ وراءه فيقـــالَ : لا غِـــرٌّ ولا معـــذولُ

ها تلك أشجـانى كـما خلَّفتها لعبَ الزمانُ بهـا وليس تحـــولُ

---

(١) منمنمة : مزخرفة موشاة . (٢) التقصار : القلادة . (٣) فى الأصل "أشعار" وهو تصحيف .

يقتـادُنى البرقُ اليمـانِ كأنه ... من عند إيمـاضِ الثغور رسـولُ

وكأنَّ قلبي — والمهامهُ بيننا — ... حيٌّ على "وادى العِضـاهِ" حُلولُ

تُفتِي براقِعهـم، وما آستفتيتُها، ... أنّ اللّحـاظَ إذا آختلسنَ غُلولُ (١)

أُنظر خليلي من "قَرَارٍ" (٢) هل ترى ... قَطَنـا (٣) فطَرفُ العـامرىِّ كليـلُ؟

وحلفتُ ما بصَرِى بأصدقَ منكما ... نظرا ولكنَّ الغـرامَ دليلُ

قالوا : الديارُ وقد وقفت فزدانى ... بُثَّـا رسـومٌ رثَّةٌ وطـلولُ

ونَشِقتُ خفّاقَ النسيم فما شـفا ... دائى ، وهل يشفِى العليلَ عليلُ؟!

وكرَعتُ سَلسالَ الغدير وليس ما ... بُلّ الشـفاهُ به يُبَـلُّ غليـلُ

يا ضـالةَ الوادى أَحُثّ مطيَّتى ... أم عند ظبيكِ فى الكناسِ (٤) مَقيلُ؟

عيناه أسـلمُ لى ويُعجِبُ ناظرى ... مُقَلٌ كأن لحاظَهنَّ نُصـولُ (٥)

مُقَلٌ لغِـزلانِ "الحجازِ" وسِحرُها ... من "بابلٍ" مستجلَبٌ منقولُ

ولقـد طرقتُ البيتَ يُكره ربُّه ... والشوقُ ليس يَعيبـه التطفيـلُ

أيظُنُّ من عَقَر النجائبَ قومُه ... أن الدماءَ جميعَهـا مطلولُ

من دون سفكِ مدامعى ماشئت من ... حِـلْم ودون دمِى تغولك غولُ

وأنا آمرؤٌ لو مُـدَّ من غُلَوائه (٦) ... نطق، لقيل : كلامُـه تنزيلُ

---

(١) غلول : جمع غل وهو القيد . (٢) قرار : واد قرب المدينة . (٣) القطن : جمع قطين بمعنى القاطن . (٤) الكناس : بيت الظبي . (٥) نصول : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف . (٦) الغلواء : — وقد تسكن اللام — الغلو فى الشيء .

لا يطمع العظماءُ فى مـدحى ولا طمَعى على أبوابهـــم معقـولُ

ولو آستطعتُ لمـا آغتبقتُ بشَربةٍ مما يَمُدُّ "فُراتُهـم" "والنيلُ"

و إذا تأمّلتُ الرجالَ تفاوتت قِيَما ومـيَّز بينهـا التحصـيلُ

بعضٌ هُمُ غُرر الجيـادِ و بعضُهم (١) (٢) (٣) بين السنابك والصِّفاقِ حُجولُ

مِثل الحُلـى دماجُ وخلاخلٌ منـه ومنـه التـاجُ والإكليلُ

لـولاهُمُ غرَبتْ شموسُ محاسنٍ وهوَى ببـدر المكرمات أُفُـولُ

تبًّـا لهـذا الدهر لا مِيزانهُ (٤) قِسْـطٌ ولا فى قَسمه تعـديلُ

جَوْرٌ يساوى عالمـا متعـالمٌ فيـه ويُشبِهُ فاضـلا مفضولُ

لا درَّ درُّ المرء يقطعُ دهرَه رِخـوَ الإزارِ وعزمُه مفـلولُ

آلبيـدُ تزرعُهـا المناسمُ (٥) وهى لا تدرى أعرضٌ شَوطُها أم طـولُ

واليَعْمَلاتُ (٦) سياطُهـا وحذاؤها نسبٌ نماه "شَدقمٌ" (٧) "وجديلُ"

فاذا "كمالُ الملكِ" سَحّ سحابُهُ نبتَ الرجاءُ وأثمر المـأمولُ

سبقت مواهبُه المديحَ فظنَّ مَن عجِلتْ اليـه أنهـا بِرطيـلُ (٨)

---

(١) السنابك : حوافر الخيل . (٢) الصفاق : جلد البطن كله . (٣) الحجول : جمع حجل — بكسر الحاء — وهو البياض فى قوائم الفرس . (٤) القسط : العدل وهو من المصادر التى يوصف بها كما يقال : رجل عدل ، — ويستوى فيه الواحد والجمع — . (٥) المناسم : جمع منسم وهو الخف . (٦) اليعملات : النوق النجيبة المطبوعة على العمل . (٧) شدقم وجديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل فى النجابة . (٨) البرطيل : الرشوة ، ومنه « البراطيل تنصر الأباطيل » .

عَجِلٌ الى المعروف يَحسَب أنه ظـــلٌّ اذا لم يغتنمه يزولُ
كثُر الكلامُ به ، وفى أمثالهم من قبـله : أنّ الكرامَ قليلُ
وإذا جرى فى غايةٍ شهِدت له أن لا محلَّقَ فى مداه رسيلُ (١)
ضلَّتْ ركائبُ من يؤمُّ طريقَه، إنّ العـــلاءَ سبيلُه مجهـولُ
يتوارث المجـــدَ التليـدَ بمعشر أدنَتْ فروعَـهمُ اليـــه أُصولُ
جازوا على عَنَت الحسودِ فلم يجد عيبا، وماذا فى النجوم يقـــولُ ! !
لهمُ، إذا كرمُ الطبـاعِ هززْنَهُ، نصـــلٌ وأنت الرونقُ المحـــلولُ
وإذا آنتهى نسبٌ إليـــك فإنه فَلَقُ الصباح مع الضُّحى موصولُ
ولقد شـددتَ وَثاقَ كلِّ مُلمَّـةٍ يُلوَى عليهـا مُبرَمٌ (٢) وسحيـــلُ
وحَميت أعطانَ الأمور وإنمـا كانت غمـاما بالدماء تسـيلُ
وإذا آلتقت حِلَقُ البِطان (٣) فإنمـا يكفيك ثَمَّ رسـالةٌ ورســولُ
بدلا من القُب (٤) العِتاق ضـوامرٌ رُقشُ المتونِ (٥) صريرُهن (٦) صهيلُ (٧)
يَنبُتَن مثـل الروض إلا أنّه ترعاه أسمـاعٌ لنـا وعقـــولُ
ومن الصِّفاح البيضِ كل صحيفةٍ لتزاعهـا بالراحتين صليـلُ

(١) الرسيل : الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق . (٢) المبرم : الحبل المحكم الفتل ، والسحيل ضده . (٣) البطان : حزام الدابة . (٤) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٥) رقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة ببياض وسواد — والمراد بها هنا الأقلام — . (٦) المتون : الظهور . (٧) الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

سَحبت لكَ الأيامُ فضلَ ردائها مَرَحا يدوم بقاؤه ويطـــولُ
وتتابعت حِججٌ يؤرِّخ عصـــرَها عُمـرٌ به خُلدُ الزمان كفيلُ
ينتابك "النوروز" يجنُب إثرَهُ أعوامَ ســـعدٍ كلُّهن صقيـلُ
هو خطةٌ همَّ المُصيفُ بقصـدها شـوقا ونادى بالشـتاء رحيـلُ
أخذ الربيعُ زمامه حتى آستوى فى عارضـــيه نبتُه المطـــلولُ
بك أشـــرقت أيّامـه فكأننـا فى عصرِ "كسرَى يَزْدَجِرْدَ" نُزولُ

* * *

وقال يمدحُه أيضا :

ما ضاع من أيّامنا هل يُغرَمُ هيهات والأزمانُ كيف تقـــوَّمُ؟!
يومٌ بأرواحٍ يبـاعُ ويشـترَى وأخـوه ليس يُسامُ فيـــه دِرهمُ
سيان قلبي فى المشيب وفى الصِّبا لو يســـتوى شَـعرٌ أغرُّ(1) وأسحمُ
لى وقفـةٌ فى الدار لا رجعت بما أهـــوى ولا يأسِى عليهـا يُقدِمُ
لا تحسب الآثارَ لُعبـــةَ هازلٍ نار آدكارِك فى المعـالم تُضرَمُ
أوما رأيتَ عِمـادَها(2) فى ثؤيها مثلَ السِّوار يحول فيـــه المِعصمُ
وكفَاك أنى للنواعبِ عاتبٌ ولصُـــمِّ أحجـارِ الديار مكلِّـــم
ومن البـــلادةِ فى الصبـابة أننى مستخبرٌ عنهنَّ من لا يفهـمُ

(١) الأغر : الأبيض ، والأسحم : الأسود .
(٢) الثؤى : حفيرة حول الدار تمنع السيل ، وفى الأصل «غمارها فى ثوبها» وهو تحريف .

وأنا البليـغُ شكا اليها بثّـــه عبثـا فما بالُ المطـايا تُرزِمُ[1]

كلٌّ كنَى عن شـــوقه بلغـاته ولربّما أبكَى الفصيـــحَ الأعجمُ

ترجُو سُلوَّكَ فى رسومٍ بينهـا الـ ـأغصانُ سَكرَى والحمامُ متيَّمُ

هذى تميـــلُ إذا تنسَّمت الصَّبا والوُرق تذكر إلفَهـا فـــترنَّم

فمتى تروع العيسُ غزلانَ النقا بعصـابةٍ سئمَ العواذلُ منهـــمُ

النُّسكُ عند عفيفهم دينُ الهوى والنصح عنـد لبيبهم لا يُفهَـــمُ

حتّـام أرعَى وردةً لا تُجـــتنَى فى الخـــدِّ أو تُفّاحـــةً لا تُلثمُ

أيُذادُ عن تلك المحـاسنِ ناظرى وتريد منى أن يسَـــوَّغَها الفمُ؟

فى كـلّ يومٍ للعيون وقائعٌ إنسانُهـا الطمَّاحُ فيهـا يُكلَـــمُ[2]

لو لم تكن جَرْحَى غداةَ لقائهم ما كان يجرى من مآقيها الدمُ

ولو آقتدرتُ قسمتُها يومَ النوى؛ عينا تلاحظهـــم وأخرَى تَسْجُمُ[3]

دع لمحةً إن تستطع عُلَقَ الهوى فبـذاك تعلمُ كيف نام النوَّمُ

ولطالمـا آعتقب العواذل مسمعى فزجرنَ منه مُصْعَبًا[4] لا يُخطَمُ[5]

ما كنتُ أولَ من عصـاهُ فؤادُه وجنَى عليـــه مقنَّعٌ ومعـــمَّمُ

لم أدر أنَّ الحبَّ حومةُ مأزقٍ تُصـلِى ولا أنّ اللواحظَ[6] أسهـمُ

---

(١) ترزم : تحن وتئن . (٢) يكلم : يجرح . (٣) تسجم : تسح بدمعها كالقطر .

(٤) المصعب : الجمل الذى لا يركب لكرامته . (٥) يخطم : يوضع فى أنفه الخطام .

(٦) فى الأصل «المحاسن» وفى منتخبات البارودى «اللواحظ» وقد رجحناها .

أصفُ الأحبّةَ، واللسان يقول لى: وصفُ الوزير «أبى المعالى» أعظمُ
المستجير من المذمّة بالنَّدَى والمســتجار إذا أظلَّك مَغْــرمُ
فى كلّ يوم للمكارم عنــدَه سوقٌ، "عُكاظُ" دونَها والموسِمُ
وكأنّما أمواله من بَذلها نَهبٌ بأيدى الغانمين مقسَّمُ
فلو أنها وَجدتْ عليــه ناصرا لرأيتها من كفّه تتظلّمُ
أسمعتَ قبــلَ يمينــه وشمـاله بسـحائبٍ أو أبحــرٍ تتخــتَّمُ؟
فيهنَّ من قِصــدِ اليراع(1) أراقمٌ(2) تَقضِى وتَمضِى والقنـا يتحطَّــمُ
ماهنَّ إلا مــوردٌ من فوقــهِ طيرُ الرغائبِ والمطـالبِ حُوَّمُ
الجِــدُّ من عزماته متلقِّنٌ والمجــدُ من أخلاقه متعــلِّمُ
متهلّــلٌ للوفــد يُحسَب أنه بدرٌ أحاط بجانبــيه الأنجُــمُ
تُثنِى عواذله عليــه بعــذلهم ولربّمـا نشَرَ الثنـاءَ اللُّــوَّمُ
خلعتْ عليــه المكرُماتُ ملابسا مازال ينقُشها المـديح ويرقُــمُ
عشِق المعالىَ فهْو من شغفٍ بها عنــد الرقاد بغــيرها لا يَحــلُمُ
بصــوابه فى الرأى ثُقِّفت القنا وبعزمه صُقِل الحسامُ المِخـذَمُ(3)
يحيى بســطوته مسارحَ لحظـهِ فالعــزُّ فى أبيـاته مســتخدَمُ

(١) قصد اليراع : كسر الأقلام . (٢) الأراقم : الحيات . — وهى هنا على التشبيه — . (٣) المخذم : القاطع .

وإذا تلمّح قلت : صقرٌ ناظـــرٌ ... وإذا تغاضَى قلت : أطرقَ أرقمُ (١)

ثبتُ الجَنانِ كأنّما فى بُرده ... يومَ الزعازع "يذبُلٌ" "ويلملمُ" (٢)

رفعتْ له هِمّـاتُه وزَماعُـــه ... بنيانَ مجدٍ ركنُه لا يُهـــدَمُ (٣)

طَـوْلٌ تشرّد فى البـــلاد فمنجدٌ ... يَروِى الذى يَرويه آخرُ متهـــمُ

لله أنتَ إذا تسـلّبت الـــرُّبَى ... وشـكا الأُحاحَ سِماكُها والمِرْزَمُ (٤)

لِيُردَّ مَن جاراك رأسَ طِمِرّةٍ ... ما كلُّ طِـرْفٍ فى السّباقِ مطهَّمُ (٥) (٦) (٧)

للمجـــد أثقـالٌ تعِجُّ إفالُهـــم ... منهـا وينهَـزها الفنيقُ المُقَـــرَمُ (٨) (٩) (١٠) (١١)

حاشاك أن يَثنِى طباعَك فى الندى ... ثانٍ وينقُصَ من خِلالك مُـبرِمُ

إن تَصنع الحسنَى فإنك زائدٌ ... أو تُسـبغ النُّعمَى فأنت متمّـمُ

وأنا الذى سيّرتُ شكرك فى الدُّنَى ... حتى تلاه مُعـــرِقٌ أو مُشئمُ (١٢)

وجلبتُ من بحر الثناءِ لآلئـا ... فى نحـــرِ ما أو ليـــتنيه تُنـظَّمُ

أو ردتُ آمالى غـــديرَك آمنـا ... من أن يكون وراءَ شهـــدٍ عَاقمُ

ورضعتُ ثدىَ ندالك من دون الهوى ... ثقـةً بأنّ رضيعَـــه لا يُفطَمُ

---

(١) الأرقم : الثعبان . (٢) يذبل ويلملم : جبلان . (٣) الزماع : المضاء .

(٤) الأحاح — بالضم — : العطش وحرارته ، والسماك والمرزم : نجمان . (٥) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٦) الطرف : الجواد . (٧) المطهم : التام الحسن .

(٨) تعج : تصيح وترفع صوتها . (٩) إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .

(١٠) ينهزها : ينهض بها ؛ والفنيق : الفحل لا يركب لكرامته . (١١) المقرم : المكرم الذى لا يحمل عليه . (١٢) الدنى : جمع الدنيا ، — وإذا جمعت مع أنها واحدة فلاعتبار أقسامها .

أهدَى لك "النيروزُ" فى أغصانِه ... زَهرا بأوراقِ العـــلاء يُكَمَّـــمُ

فى كلِّ يومٍ خيـــلُه وركـابُه ... جَبهاتُهنَّ بطيب ذكرك تُوسَمُ

لا زالت النَّعماءُ عنـدك، حَلْبُهـا ... ملءُ الإناء وبطنُهـا لا يُعقَـــمُ

والدهر مجنـــوبٌ وراءك كلّمـا ... واتاك أســـعده القضـاءُ المبرَمُ

كالنِّقسِ[1] ليلتُـه وطِـرسٍ يومُـهُ ... والنُّجحُ يَكتُبُ والسـعادةُ تختِمُ

* * *

وقال يمدحُ بَرَكةَ بن المقلَّد العُقَيليّ، ويلقّب زعيم الدولة :

تُرى رائحٌ يأتى بأخبـار مَن غـــدا ... وهل يكتُمُ الأنبـاءَ من قد تزوَّدا

أُحبّ المقـالَ الصدقَ من كلّ ناطقٍ ... ســوى ناعبٍ قد قال : بينُهُـمُ غدا

ألَا آستوهِبا لى الأرحبيَّةَ[2] هَبَّـة ... لنُحدثَ عهـــدا أو لنضربَ موعدا

حرامٌ عـلى أعجازهنّ ســياطُنا ... فيـا سائقيْها آستعجِلاهنَّ بالحُـــدا

متى ترِدا المـاءَ الذى وَردتْ به ... ظبـاءُ "سُلَيمٍ" تَنقَعا غُـلّةَ الصدى

فلا تُشـغَلا عنـــه بلـــثمِ حَبـابِهِ[3] ... تظنَّانِه ثغـــرا عليـــه تبـــدَّدا

فقـد طـال ما أبصرتُمـا ظبيَ رملةٍ ... فشبّهتُماه ذا دَمالجَ أغيـــدا

فرشتُ لجنبِ الحبّ صدرى وإنمـا ... تهابُ الهوى نفسٌ تخاف من الردى

---

(١) النقس : المداد الأسود . (٢) الأرحبية : الإبل المنسوبة الى الأرحب وهو فحل من الفحول النجيبة ؛ أو هو آسم قبيلة تنسب اليها . (٣) الحباب : نفاخات الماء والخمر التى تعلوها .

ونفَّرتُ عن عينى الخيالَ لأنه ... يحاولُ مَدِّى نحو باطله يدا

أرى الطيفَ كالمرآة يخلُق صورةً ... خداعا لعينى مثلما يَسحَر الصَّدى (١)

أتزعمُ أنّ الصبرَ فيك سجيّةٌ ... وتشجَى إذا البرق التِّهامىُّ أنجدا

وقالو : أتشكو ثم تَرجِعُ هائما؟ ... فقلتُ : غرامٌ عاد لى منه ما بدا!

تُعاد الجسومُ إن مرضنَ ولا أرى ... لهذى القلوب إن تشكّين عُوَّدا

فلا تحسبوا كلّ الجوانح مُضغةً ... ولا كلَّ قلبٍ مثلَ قلبىَ جلمدا (٢)

وحىَّ طرقناه على زوْرِ موعدٍ ... فما إن وجدنا عند نارهمُ هُدى

وما غفلتْ أحراسُهم غيرَ أنّنا ... سقطنا عليهم مثلَما سقَط النَّدى

فلما ٱلتقينا حشَّ قلبى فراقُهم ... فلم ينكروا النارَ التى كان أوقدا

نزحتُ دموعى بعدَهم من أضالعى ... مخافةَ أن تطغَى عليها فتجمُدا

وفى العيش مَلهًى لامرئٍ بات ليلَه ... يشاور فى الفتك الحسامَ المهنَّدا

إذا ما ٱشتكت قَرْحَ السهاد جفونُهُ ... أداف لها من صِبغة الليل إثمِدا (٣)

يظنّ الدجَى فرعا أثيثًا نباتُهُ ... ويحسَبُ قَرن الشمس خدًّا موردًّا (٤)

ويرضَى من الحسناء بالرِّيم إن رنا ... لحيلا ما قيه وأتلعَ أجيدا (٥)

---

(١) يسحر : يخدع ؛ والصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته . (٢) الجلمد : الصخر . (٣) أداف : أذاب وخلط ؛ والإثمد : حجر يكتحل به . (٤) الفرع الأثيث ، الشعر الكثيف . (٥) الريم — ويهمز — الغزال ؛ والأتلع الأجيد : الطويل الجيد .

كما "بزعيم الدولة" الأمم ارتضت ... على الدين والدنيا زعيما وسيدا

أقاموا بدار الأمن في عرصاته[1] ... كأنهم شدوا التميم المعقدا

رمى عزمه نحو المكارم والعلا ... مصيبا فكان المجد مما تصيدا

إذا أمّ السارون نور جبينه ... كفى الركب أن يدعو جديا[2] وفرقدا

تلألأ في عرنينه نور هيبة ... تخر له الأذقان في الترب سجدا

أباح حمى أمواله كل طالب ... من الناس حتى قيل : ينوى التزهدا

له روضة في الجود أكثر وردا ... من المنهل الطامي وأوفر ورّدا

تناكص عن ساحاته السحب، إنها ... متى حاكمته في الندى كان أجودا

وهل يستوي من يمطر الماء والذي ... أنامله تهمي لجينا[3] وعسجدا

ومن برقه نار ومن برق وجهه ... تهلل مرتاح الى الجود والندى

قليل هجوع العين تسري همومه ... مع الجاريات الشهب مثنى وموحدا

ومن كان كسب المجد أكبر همه ... طوى بردة الليل التمام[4] مسهدا

متى ثوب الداعي ليوم كريهة ... تأزر بالهيجاء واعتم وارتدى

وقد علمت أشياخ "جوثة"[5] أنه ... أمدهم باعا وأبطشهم يدا

---

(١) عرصات : جمع عرصة وهي ساحة الدار . (٢) جدي وفرقد : نجمان . (٣) اللجين والعسجد : الذهب والفضة . (٤) الليل التمام — بكسر التاء — هو أطول ما يكون من ليالي الشتاء، ويقال أيضا : ليل التمام — بالاضافة — . (٥) جوثة : قبيلة .

لهم واصَلَ الطعنَ الخلاجَ(١) فأصبحت تَشَكّى الرديناتُ(٢) منـــه تأوُّدا

رأى الودَّ لا يُجـــدى وليس بنـافع سـوى نقمات السيف والرمح فى العدا

فما يقتـــنى إلا حساما مهنـــدًا وأسمرَ(٣) عسّـالا وأقـــودَ(٤) أجردا

متى يَرْمِ قوما بالوعيد وإن نأت ديارهمُ عنـــه أقام وأقعـــدا

وما الرمح فى يمـــنَى يديه مسـدَّدا بأنفـذَ منـــه سهـمَ رأيٍ مسـدّدا

صهيـــلُ الجيـاد المقرَبات(٥) غِنـاؤه فلو شاء سمّاها "الغريضَ" "ومَعْبدا"(٦)

ويُذكِره بزلَ النجيع(٧) من الطُّـلَى(٨) عِشارٌ(٩) جلبنَ البـابليَّ المـبرَّدا

فلو لم يكن فى الخمر للبأس مشبهٌ وللجود لم يجعـــلْ له الكأسَ مَوردا

بعثت لسكّان "العراقِ" نصيحةً مناركةَ(١٠) الرئبـال(١١) فى غيـــله سُـدَى

ولا تأمنـوا إطراقه إنّ كيْـــده ليستخرج الضبَّ الخبيثَ من الكُدَى(١٢)

أرى لك بالعليـاء نارا فَراشُهـا ضيوفُك يُقرَوْنَ السَّديفَ(١٣) المسَرْهَـدا(١٤)

فلا تُفنِيَنَّ العِيسَ(١٥) بالعَقْـر إنهـا مـــتى تَفنَ تجزُرْهُم إماءً وأعبُـــدا

(١) الخلاج : المضطرب المهتز . (٢) الرديانيات : الرماح — منسوبة الى امرأة تسمى "رديئة" كانت تقوم الرماح ؛ والتأود : الثنى . (٣) الأسمر العسال : الرمح المهـتز .
(٤) الأقود الأجرد : الفرس الذلول المنقاد القصير الشعر . (٥) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٦) الغريض ومعبد : مغنيان معروفان . (٧) النجيع : الدم .
(٨) الطلى : الأعناق ، واحدها طلية . (٩) البابلى المبرد : الخمر . — منسوب الى بابل — .
(١٠) الرئبال : الأسد . (١١) الغيل : مربض الأسد . (١٢) الكدى : جمع كدية وهى الأرض الغليظة ؛ ويقال : ضب الكدية وضباب الكدية لولعها بحفرها . (١٣) السديف : شحم السنام . (١٤) المسرهد : السمين . (١٥) العيس : الإبل .

وكم موقفٍ أســكرتَ من دمه القنا وأشـبعتَ فيـه السـيفَ حتى تمرَّدا

واوتجحد الأقرانُ بأسَـك فى الوغى أنتـك النسـورُ بالذى كان شُهَّـدا

إليـــك نقلناهـا أخامصَ لم تجـد سوى بيتك الأعلى مُناخا ومَقصِـدا

ولو بعُـدَ المسرَى زجرنا على الوجَى (١) أغـــرَّ وجيهيًّـا (٢) ووجنـاءَ جَلْعَـدا (٣)

ومثلك من يرجـو الأسـيرُ فِكاكَه ولو كان فى جَـور الليـالى مقيَّـدا

لئن كنتَ فى هـذا الزمان وأهـــلِه كبيرا لقد أصبحتَ فى الفضل مفردا

* * *

وقال وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

حرامٌ عـــلىَّ طُـروقُ الديا رِ ما دام فيهـا الغزالُ الربيبُ

أشاهـد فى جانبيهـا هـــوايَ لغـــيرى ومالىَ فيـه نصيبُ

وقـــد كان فوضَى فكان المنى تعـــللنى، والتمـــنِّى كذوبُ!

فلمَّـا تصـــيَّده قانـــصٌ ألدُّ على ما حـــواه شَـــغوبُ،

تداويتُ من مرضٍ فى الفـؤاد بيأسىَ، واليأسُ بئسَ الطبيبُ!

فقد وهبَ الثأرَ ذاك الحريصُ ونام على الحقـدِ ذاك الطلوبُ

ومن عزَّ مطلبُـــه مُهـــمَلا فكيف به وعليـــه رقيبُ؟!

فلا حظَّ فيـــه سـوى لمحـةٍ تُنافس فيهـا العيونَ القـــلوبُ

(١) الوجى : الحفا . (٢) الوجيـه : فرس تنسب اليه جياد الخيل . والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين . (٣) الجلعد : الصلبة الشديدة .

وُجـــود الأمـــير بأمثـاله فكلُّ بعيـدٍ عليـه قـريبُ

وهـوب الجيـادِ وبيضِ القيا (١)ن والظبي يرتجُّ منه الكثيبُ

وعَقّـار كُـومِ الصَّفايا (٢) (٣) إذا تعـــذَّرَ عند الضُّروع الحليبُ

تَعيثُ الأخـــلّاءُ فى ماله كما عاث فى جانب السِّربِ ذيبُ

وما يسـحَرُ القـولُ أخلاقَـهُ ولكنّـه الكرمُ المستجيبُ

* * *

ظفِرتَ ، وويلُ آمّها حُظوةً، ببـدرٍ تُزرُّ عليـــه الجيوبُ

إذا رُدِّد الطَّـرفُ فى حسـنه أثار البـديعَ وماج الغريبُ

عُبـوسٌ يُولَّد منـــه السرورُ ومن خُلُقِ الخندريسِ (٤) القُطوبُ

وتيـهٌ كأنْ ليس بدرُ السماء يُلمُّ الكسوفُ به والغُـروبُ

ولـــولا حيـاءٌ تقمَّصـــتُهُ لأجلكَ حجَّ إليـــه النسيبُ

سأطـــوِى على لهَبٍ غُلَّـــتى إلى أن يُعطَّـــلَ (٥) ذاك القَليبُ

وأعلمُ أنْ ســيباحُ الحمى إذا أظهـر الشعَراتِ الدبيبُ

طِـرازٌ يَمـنِمُ فى العـارضيْن يُزيَّنُ (٦) منـــه الرداء القشيبُ

فـا ذلك الحسنُ مســتقبَحا بشَـعرٍ ولو لاح فيه المشـيبُ

---

(١) الكثيب : تل الرمل — والمراد به هنا الكفل فى ارتجاجه — . (٢) كوم : جمع كوماء . وهى الناقة الضخمة السنام . (٣) الصفايا : جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن .

(٤) الخندريس : الخمر . (٥) القليب : البئر — وفيه كناية حسنة — . (٦) القشيب : الجديد .

* * *

وكتب إليه وقد بلغه عنه عتبٌ فى تأخّرِ الزيارة :

قد طال للماطلِ أن يُقتَضَى ... وأن يعافِى الحبُّ من أَمرضا

سلُوا الذى حالفنى فى الهوى : ... بما الذى كفَّر إذ أعرضا؟ !

ملآن غيظا وفؤادى به ... مقلَّبٌ فى جمراتِ "الغضا"

نادِ على نفسك : هذا القِلَى[1] ... جزاءُ من حَكَّم أو فوَّضا !

صاحِ ترى برقًا على "جاسِمٍ" ... كأنّه هِنديّةٌ[2] تُنتَضَى،

أذكرنى عهدَ "عقيقِ الحِمَى" ... ولا يُعيد الذكرُ ما قد مضَى

سرَى مع الطيف، فهذا لمن ... يسهَر، والطيفُ لمن غمَّضا

إن لم يكن شجوِى فقد شاقنى ... سيّانِ مَن قاتَل أو حرَّضا

تالله لو تُضمِرُ أحشاؤه ... ضميرَ أحشائى لَمَا أومضا

حىّ غزالا بين أجفانه ... أسنَّةُ الحينِ وسيفُ القضا

رامٍ وما "القارةُ"[3] آباؤه ... يَستغرق[4] السهمَ وما أنبضا

إياك تلقاه بلا جُنَّةٍ ... خوفَ سلاحَىْ سُخطه والرِّضا

ما تُجمِعُ الأضدادُ، والرأس لِمْ ... قد جمَعَ الأسودَ والأبيضا ! !

---

(١) القلى : البغض . (٢) الهندية : السيوف — منسوبة الى الهند — . (٣) القارة : قبيلة مشهورة بالرمى : وفى الأصل : « القادة » وهو تحريف . (٤) استغرق السهم : بلغ به غاية المد . وأنبض : جذب وتر القوس لتصوت .

كأنّ فرعى حَلبـــةٌ(٢) أرســـلوا(١) دُهما(٣) وشُهبا(٤) فوقها رُكّضا

طالبـــةً شـأوَ امرئٍ سـابقٍ كلُّ جَنـاح خَلفَـه هُيِّضا(٥)

شـيِّدتِ الاباء من قبـــله له البنـاءَ الأطولَ الأعرضا

مَعـاشرٌ كانت مساعيهُـــم أغطيةَ الأرض وحشـوَ الفضا

مذ غمسـوا فى المـاء أطرافَهم ما أَجَنَّ الماءُ ولا عَرْمَضا(٦)

لو وطِئـوا الصخر بأقدامهـم أو لَمسـتهُ راحُهـــم رَوَضا

لم تعـدَم الدنيـا ولا الدينُ مِن أبنائهـــم وزارةً أو قَضا

بينـا ترى أقلامَهـــم رُعَّفا(٧) حتى ترى أســيافَهم حُيَّضا

ولم يـــزل واطئُ أعقابهـــم ينهَض حتى لم يجـــد مَنهَضا

طاب ثَـــراه فنما فـــرعُهُ ويُخـــرِج الزُّبدةَ من أمخضا

محكَّم فى العـلم إن شـاء أن يختَـــلَّ(٨) فى مَرعاه أو يُحمِضا

كِنانةُ(٩) الآداب فى كفِّه مـــتى رمَى أسهمَها أغرَضا(١٠)

يَفهم مَغزَى القول من قبل أن يُرفـــعَ أو يُنصَب أو يُخفَضا

---

(١) الفرع : الشعر . (٢) الحلبـة : الخيـل تجرى للسباق على رهان وهى هنا بمعنى ساحة الجرى . (٣) الدهم : السود . (٤) الشهب : البيض . (٥) هيض : كسر . (٦) عرمض : ظهر به العرمض وهو الطحلب . (٧) رعفا : قاطرة ؛ وأصل الرعاف خروج الدم من الأنف . (٨) يختل : يختبس فى الخلة وهى نبات حلو ، ومنه : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها . والحمض : ما ملح وأمر من النبات تأكله عند سآمتها من الخلة . (٩) الكنانة : كيس من أدم توضع فيـه السهام . (١٠) أغرض : أصاب .

إيهٍ (١) "أبا نصرٍ" وأنت آمرؤٌ ... لا يستردُّ الدهرُ ما أقرضا

منحتنى الودَّ فجازيتُه ... بالشكر والمُثنِي كمن عوّضا

خيَّم فى قلبي نظيرٌ له ... مذ عقد الأطنابَ ما قوّضا

مثل خلال فيك أثوابها ... أبَى لها التطهيرُ أن تُرحضا (٢)

وكلُّ ما بينيه هذا الهوى ... بالنأي والتفريق لن يُنقضا

لا ينفع القربُ بجسمٍ اذا ... لم يك قلبٌ مُصْغيا مُنغضا (٣)

كم من بعيدٍ عاشقًا وامقا ... ومن قريبٍ شانئا مبغضا

ما زُخرُفُ القول يُجْدٍ وقد ... غُيِّض فى الأحشاء ما غُيِّضا (٤)

والسيفُ إن كانَ كهاما فهل ... يُمضيه أن أُذهِبَ أو فُضِّضا؟! (٥)

أنبئتُ ريبا فىَّ جمجمتَه (٦) ... ويبلُغُ التصريحَ مَن عرَّضا

مرَّ كما مرَّ نسيمُ الصَّبا ... مزعزعا بالرِّقِ ماءَ الأضى (٧)

دُعابةٌ ساءت ظنونى لها ... ما ألينَ السيفَ وما أجْرضا (٨)

لم أدر : إنسانٌ به ناطقٌ ... أم حيَّة القُفِّ (٩) الذى نَضنَضا؟! (١٠)

لكنّ سمعى قاء ما قاله ... كأنه بالصاب قد مُضمِضا

---

(١) إيه : بمعنى زد . (٢) ترحض : تغسل . (٣) المنغض : المتحرك ، والمراد به هنا المتحرك بالمحبة والود لا فتور فيه . (٤) غيض : غار . (٥) الكهام : غير القاطع .
(٦) جمجمته : أخفيته . (٧) الأضاة : الغدير وجمعه أضى . (٨) أجرض : أغص .
(٩) القف : حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة . (١٠) نضنض : حرك لسانه لينفث به .

يروعـــنى عتبُ خليـــلى ولا ... يروعـــنى الليثُ إذا قَضقضا (١)

وتسكُن الأسرارُ منّى حشًى ... ليس بهنّ مُخـــدَجا (٢) مُجهَضـا

هيهات ! ما الزورُ حُلَى شيمتى ... ولا لباسُ الغـــدر لى مَعرِضـا

ولا لَبـــونى بالأسى (٣) حافـــلا ... ولا عِشـارى (٤) بالمـــنى مُخَّضـا

معترفٌ بالحقّ من قبل أن ... يوجَبَ للصـاحب أن يُفرَضا

وكيف أجفو من هو الروح إن ... فارقتِ الجسمَ فُـــواقا (٥) قضى

ما الذنبُ إلا للزمان الذى ... إن ألبس الإنسـان ثوبا نَضا

تقلَّبتْ بى كلُّ حالاتـــهِ ... وليس فيهـا حالةٌ تُرتَضَى

إما عـــلَى رَمضـائه (٦) ماشـــيا ... أو راكبا شامسـةً (٧) ريِّضـا (٨)

من يكن الدهر له ماتحـا (٩) ... لا بدّ أن يشرَب ما خَوّضا

جُلْ فى طِلاب الرزق تَظفَرْ به ... فالسَّجلُ (١٠) ممـــلوءٌ إذا خُضْخِضا (١١)

لطال جوعُ الأُسْدِ لو أصبحت ... وأعتمتْ (١٢) فى خِيسها رُبَّضـا (١٣)

أذمُّ أيامى عـــلى أنـــنى ... لأحمـــدُ الله عـــلى ما قضى

---

(١) قضقض الأسد : كسر فريسته بأسنانه . (٢) المخدج : الناقص الخلق وإن كان لوفته .
(٣) اللبون : الغزيرة اللبن . (٤) العشار : النوق التى نجبت أو هى التى ينتظر نتاجها بعد عشرة أشهر .
(٥) الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزع . (٦) الرمضاء : الأرض الحارة . (٧) الشامسة : الدابة الممتنعة . (٨) الريض : المنقادة الذلول . (٩) الماتح : نازح الماء من البئر . (١٠) السجل : الدلو : (١١) خضخض : حرك فى الماء . (١٢) الخيس : بيت الأسد . (١٣) ربض : جاثمة فى مرابضها .

* * *

وقال يمدحُ الوزيرَ أبا الفرج بن فَسانْجُس الملقَّب بذى السعادات فى النيروز :

هو منزلُ النجوَى بخالى الأعصرِ ... فمـــتى تجاوزُهُ الركائبُ تُعقَـــرِ

أشـتاقُ دارَهُمُ وليس يشـوقنى ... إلا مجـاورةُ الغـــزال الأحورِ

وأفضِّـل الطيفَ المُـلمَّ لأنهـم ... هَجَـروا ، وأن طُيوفَهم (١) لم تَهجُـرِ

أرضَى بوعـــدٍ منهُمُ لم يُنتظَـــرْ ... ومن الخيـال بزَورةٍ لم تَعـــبُرِ

لا ماؤهم للمشـــتكى ظمأً ولا ... نيرانُهـــم للقـابس المتنـــوِّرِ

أثرَوْا ولم يقضُـوا ديونَ غريمهم ... واللُّؤمُ كلُّ اللُّؤْم مطلُ الموسِـــرِ

هل ترعوون بأنَّةٍ من مدنفٍ ... أو تسمحون لمطلبٍ من مُقـــترِ؟

أو تتركون من الدموع بقيَّةً ... يلقى بهـا يومَ التفـرُّق مَحْجرى؟

ما آجتاز بعضكُمُ بأسرابِ المهـا ... إلا آعترفن عليه مقـلةَ جُـؤذُرِ

يا من تبلَّد بين آثار الحِمَى ... يقفـــو مَعـالِمها بعيـــنَىْ مُنكِرِ،

أُنشُدْ قضيبَ البان بين مُروطِهم (٢) ... وآطلب كثيبَ الرمل تحت المئزرِ

و إذا أردتَ البدرَ فآبعث نظرةً ... لمطالع بين "اللِّوى" "فمُحَجَّرِ"

أترُدُّ يا روضَ "العقيق" ظُلامةً ... رُفعتْ إليك من القِلاصِ (٣) الضُّمَّرِ

---

(١) فى الأصـل "ظنونهم" وهو تحريف .

(٢) المرط : كساء يؤتزر به .

(٣) القلاص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة .

إياك أن تطأ اللّعاع (١) بمنسم (٢) منها وأن ترعى الجميم (٣) بمشفر (٤)

لولا النجاءُ (٥) من الرواقص بالفلا (٦) لم يُفجَع "النجدىُّ" "بالمتغوّر"

فصَمِمْنَ حتى لاوعت أسماعُها تَصهالَ رعدٍ فى حَبِيٍّ (٧) ممطرِ

وعمِين حتى لا رأت أبصارُها بَرقا كخاصية الحِصان الأشقرِ

إن كنتَ تنظرُ ما أرى فانظر الى بانٍ على أكتادِ (٨) نخلٍ موقرِ (٩)

وكأنما رفعوا قبابَهُمُ على شجرٍ بربّات الهوادج مثمرِ

أمتّعى وحشَ الفلا بحمائم ما ذنْب طرف الهائم المستهترِ (١٠)؟!

خلّفتُمُ خِلَّ الصفاء وراءكم كالميْتِ إلا أنّه لم يُقبرِ

بمدامع لمّا تَغِضْ ومكاسرٍ لم تتجبر وجرائحٍ لم تُسبَرِ

وإذا العواذلُ أطفأت صبَواتِه شبّت لظاها زفرةُ المتذكّرِ

احذرْ عذارك والعذارُ مغلّس (١١) فاذا بدا صبحُ المشيبِ فأقصرِ

وضّحْ (١٢) تجنّبَهُ الغوانى خيفةَ العدوَى فإن يقربْ إليها تنفِرِ

ما كنت أحسبُ أنّ سيفَ ذؤابتى ينبو بترديد الصّقال الأزهرِ

---

(١) اللعاع : النبت الناعم الأخضر أول ما يبدو . (٢) المنسم : الخف . (٣) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٤) المشفر — بالكسر و بفتح — للبعير كالشفة للإنسان والمحفلة للفرس . (٥) النجاء : سرعة السير . (٦) الرواقص : النوق ترقص فى مشيها . (٧) الحبى : السحاب المعترض أعتراض الجبل . (٨) أكتاد : جمع كتد وهو الكتف . (٩) موقر : مثقل . (١٠) المستهتر : الذى يتبع هواه . (١١) مغلس : مظلم — كناية عن سواده — . (١٢) الوضح : ضوء الصبح .

صدأُ النُّصول (١) من الشعور (٢) أدلُّ من ... لونِ الجلاء على كريم الجوهرِ

أ أسير فى الليـــل البهيم فأهتدى ... وأضِـــلُّ فى إدلاج (٣) ليـــلٍ مقمرِ؟!

ومدحتَ لى صِبْـغَ المشيبِ بأنه ... كافورةٌ ونسـيتَ صِبْـغَ العنـبرِ

وإذا الثنـاءُ على الوزير قَرَنتـــه ... بهما أقـرَّا للذكىِّ الأعطـرِ

"فلذى السعادات ابنِ جعفرَ" شيمةٌ (٤) ... من قَرقفٍ صِرفٍ ومِسك أذفـرِ

فى الأرض سبعةُ أبحرٍ، ويمينُـه ... وشِمـالُه تجـرى بعشرةِ أبحـرِ

وهما سحـائبُ، ماؤهنّ (٥) لُجينُه ... وبروقُهن من النضار الأحمـرِ

قَسمت أناملُه المواهبَ فى الورى ... فكأنهـم زَجَروا قـداحَ الميسرِ

وإذا عِشـارُ المـال عُذنَ بكفّهِ ... فلقـــد عقَلن نفوسَهنّ بمَنحَرِ

ومعـــذَّلٍ، أعيَـا على عُـــذَّاله (٦) ... فى الجود قَصُّ جناحِ ريحٍ صرصرِ

وهو السخىُّ وإنمـا حسدوا اسمَهُ ... فدعَـــوْه فيما بينهـم : بمبـــذِّرِ

طلبوا الذى أُجرِى إليـه فخُيِّبوا ... ومن العنـاء طِلابُ مالم يُقـدَرِ

والأكرمون حَكَوه فى أفعاله ... فعُـــزُوا الى كرمٍ عليـــه مزوَرِ

مازال يبحث عن سرائر وفده ... حتى أجاب إلى السؤال المضمَرِ

---

(١) النصول : خروج الشعر من خضابه . (٢) فى الأصل : «السعود» : وهو تحريف .

(٣) الإدلاج : السير أول الليل . (٤) القرقف : الخمر . (٥) النضار : الذهب .

(٦) الصرصر : الريح الشديدة الهبوب والبرد .

يغزو إليـــه المُقترونَ لعلمهم ... أنَّ النـوالَ لديه غـــيرُ مخفَّرِ

فى كـلّ يومٍ يُلجِمون لغـارةٍ ... فيســنُوه غير محرَّماتِ الأشهـــرِ

مستنشق عِطـــرَ الثناء بسـمعه ... ما كـلّ طيِّبـة تُشَـــمُّ بمَنخِرِ

متيقِّـــظٌ فمتى تُصِـــبه نَفثـــةٌ ... للشكر فى عُقَـــدِ المطامع يُسـحَرِ

يسعَى ويكدحُ ثم يُتلفُ ماحوى، ... عاداتُ أروعَ للأنام مســخَّرِ

بالله نُقســمُ : أنه لا خـــيرَ فى ... حسبٍ ولا نسبٍ لمن لم يُشكَرِ

لو كان مجهـولَ المغارس أخبرت ... عنـــه شمـائلُه بطِيب العُنـصُرِ

قـــد زان مَخبَرَه بأجمـــلِ مَنظرٍ ... وأعانَ مَنظرَه بأحسن مخـــبرِ

ما مَن نتوج أو تمنطـقَ عسجداً ... كمطـــوَّق بالمكرماتِ مســوَّرِ

تحـكى أنابيبُ الـيراع بكفّه ... فعلَ الرماح تخاطرت فى "سَمهرِ"(١)

وكأنهـا الخطباءُ فـــوقَ بنـانهِ ... لكن بلاغتُهـا كلامُ المنـــبرِ

لا تبَعـــدنْ هِمـمٌ له لو أُودِعت ... عندالكواكب لادّعاها "المشترى"

وعزائمٌ يَلحُمْن مثـــلومَ الظُّبـا ... ويُقِمنَ أصـلابَ القنا المتأطِّـرِ(٢)

إطـراقهُ يُخشَى، ويُرهَبُ صَمتُه، ... والسـيفُ محذورٌ وإن لم يُشهَرِ

لولاك ما آنتبـه الثرَى بمَناسمٍ(٣) ... خُلطتْ بطونُ صـعيده بالأظهرِ

---

(١) سمهر : قرية فى الحبشة تنسب اليها الرماح .

(٢) المتأطر : المثنى .

(٣) المناسم : الأخفاف .

وسواهمٍ "لبنات نعشٍ" لحظُها (١) وخِفافُها تفلى "بنـاتِ الأَوْبرِ"

فأنتـك أمثالَ السَّـعالِي (٢) زُوّجتْ أشـــباحَ رُكبانٍ بِكَنَّـةِ "عَبقَرِ" (٣)

غصَبوا النجومَ على السُّرَى وتعلَّموا (٤) خوضَ الظـلام من المطيِّ الزُّوَّرِ

لا ينظـرون وِصابَهـم وشحوبَهم (٥) (٦) إلا بِمـرآة الصـــباح المُســـفرِ

لم يلبســـوا الأدراع إلا رِيبـــةً (٧) لا خيفـــةً من أبيضٍ أو أسمـرِ

إن لم يُنيخـوا فى ذَراك فإننى لكفيلُ كلِّ مهنّئٍ ومبشِّـرِ

جدِّدْ "بنوروز" الأعاجم رتبةً (٨) سَمْتَ "المجرة" أوفويقَ "الأنسُرِ"

وآسرَحْ سَوامَك فى رياضِ سعادةٍ وعمـــيمِ عُشْبٍ بالعـــلاء منوِّرِ

فاذا وردت فماء أعذبِ مَـــوْرِدٍ واذا صدَرتَ فرَوْح أفسحِ مَصدَرِ

أهـديتُ من كلِمى اليـك تحيَّـةً (٩) غراءَ تسـترعى حنينَ المِزهَرِ

ولو آدخرتُ المـالَ أو أبقيتُـــه (١٠) يوما أثبتُ بأبيـــضٍ وبأصـفرِ

---

(١) السواهم : النوق الضامرة ؛ و بنات أوبر : ضرب من الكمأة تشبه القلقاس أو اللفت ولونها كلون التراب . (٢) السعالى : الغيلان . (٣) عبقر : أرض يقال إنها مملوءة بالجن . (٤) فى الأصل : « المط » . (٥) الوصاب : المرضى ، واحدها : وصب — بكسر الصاد — . (٦) الشحوب : تغير اللون من السفر . (٧) الأبيض والأسمر : السيف والرمح . (٨) يشير إلى كوكبين : هما النسر الطائر والنسر الواقع . (٩) المزهر : العود . (١٠) فى الأصل هكذا « أبت » والأبيض والأصفر : الفضة والذهب .

* * *

وقال يمدح عميـدَ المُلك أبا نصر [محمـد بن](١) منصور بن محمد الكُنْدرىّ وزير طُغْرُلْبك عند وصوله إلى العراق فى محرم سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة] :

أكذا يُجـازَى ودُّ كلّ قـرينِ ... أم هـذه شـيمُ الظباءِ العِـين؟!

قُصُّوا علىَّ حديث من قتَلَ الهوى ... إن التأسِّىَ رَوْحُ كلِّ حـزينِ

ولئن كتمتم مشفقين فقُـدوتى ... بمصارع "العُذرىِّ"(٢) و"المجنونِ"

فوق الركابِ ولا أطيل مشبِّها ... بَـلْ ثَمَّ شهوةُ أنفسٍ وعيـونِ،

هُزَّت قدودُهُمُ وقالت للصَّـبا ... هُزأً : أعند البان مثلُ غصونى؟!

وكأنما نقَلتْ مآزرُهـم إلى ... جَدَدِ الحمى(٣) "الأنقاءِ"(٤) من "يبرينِ"

ووراء ذيالك المقبَّـلِ مـوردٌ ... حصـباؤه من لؤلؤ مكنونِ(٥)

إنما بيوت النحل بين شفاههم ... مضـمومةً أو حانةُ الزَّرَجـونِ(٦)

تـرمى بعينيـك الفِجاجَ مقلِّبا ... ذاتَ الشِّمال بهـا وذاتَ يمـينِ

---

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان حيث استوعب تاريخ هذا الممدوح . (٢) العذرى والمجنون : عروة بن حزام عاشق عفراء بنت عمه ، المنسوب إلى بنى عذرة ، وقيس بن الملوح عاشق ليلى . (٣) الجدد : ما استرق من الرمل . (٤) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . و يبرين : موضع بأصقاع البحرين معروف بكثرة رماله . (٥) الحصباء : الحصى الصغار . (٦) الزرجون : الخمر — فارسى معرب — .

لو كنتَ "زرقاءَ اليمامة" ما رأت (١) من "بارق" (٢) حيًّا على "جَيْرون" (٣)
شكواك من ليـل التّمام (٤) وإنما أرقَى بليـل ذوائبٍ (٥) وقـرون (٦)
ومعنِّف فى الوجدقلت له : أتئد فالدمـعُ دمعى والحنـينُ حنينى
مانافعى — إذكانليس بنافعى — جاهُ الصبا وشـفاعةُ العشرين
لا تُطـرِقن خجلا للومةِ لائم ما أنت أوّلُ حازمٍ مفتـون
أأسومهم — وهم الأجانب — طاعةً (٧) وهواى بين جوانحى يُصـبينى؟
دَيْنى على ظَبَياتهـم ما يُقتضَى فبأىّ حُكْمٍ يقتضون رهـونى؟!
وخشيتُ من قلبى الفـرارَ اليهمُ حتى لقـد طالبتُـه بضمين
كلّ النّـكال أطـيق إلا ذِلّةً، (٨) إنّ العـزيزَ عذابُه بالهون
يا عينُ مثلُ قَذاكِ رؤيةُ معشرٍ عارٍ عـلى دنيـاهُمُ والدّين
لم يُشـبهوا الإنسانَ إلا أنهـم (٩) متكوّنون من الحَمَا المسـنون
نَجَسُ العيون فإن رأتهـم مقلتى طهّرتُهـا فنزحتُ ماءَ جفـونى

(١) زرقاء اليمامـة : امرأة مشهورة بحـدّة بصرها وكانت ترى ما بعـده ثلاثة أيام واسمها حذام — بالبناء على الكسر — . (٢) بارق : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة . (٣) جيرون : اسم دمشق قديما — وفى ذلك أقوال كثيرة يرجع اليها فى مظانها — .
(٤) ليـل التمام : — بالكسر — أطـول الليالى . (٥) الذوائب : شعر النواصى .
(٦) القرون : الضفائر . (٧) كتب بجانب هذه الكلمة على الهامش : «أصل هـذه القافية لم يكن ظاهرا» . وهذا يدل على أن الناسخ أثبت هذه الكلمة من عنـده ، ونحن نرجح أن تكون «يعصينى» لمطابقتها لكلمة «طاعة» فى الشطر الأول . (٨) فى الأصل «إلا» وهو تحريف .
(٩) الحمأ : الطين ، — وسهلت الهمزة للضرورة — .

أنا إن هُمُ حسبوا الذخائر دونهم ... وهُمُ إذا عدّوا الفضائلَ دونى

لا يُشمِت الحسّادَ أنَّ مطالبى ... عادت إلىَّ بصفقةِ المغبونِ

لا يستديرُ البدرُ إلا بعد ما ... أبصرتُه فى الضُّمر (١) كالعُرجونِ

هذا الطريقُ اللَّحْبُ (٢) زاجرُ ناقتى ... واليمُّ قاذفُ فُلكىَ المشحونِ

فاذا "عميدُ الملك" حلَّ ربعه ... ظَفِرَا بفال الطائر الميمونِ

مَلكٌ إذا ما العزمُ حثَّ جيادَه ... مرِحتْ بأزهرَ (٣) شامخِ العرنينِ

يا عَمْرُ ما أبصرتُ فوق جبينه ... إلا اقتضانى بالسجودِ جبينى

يحلو النواظرَ فى نواحى دَسْتِه (٤) ... والسرجِ بدرُ دجًى وليثُ عرينِ

عمَّت فواضلُه البريّةَ فالتقَى ... شكرُ الغنىِّ ودعوةُ المسكينِ

قالوا — وقد شنُّوا عليه غارةً — : ... أصِلاتُ جودٍ أم قضاءُ ديونِ؟

أمّا خزائنُ مالِه فمباحةٌ ... فاستوهبوا من علمه المخزونِ

كرمٌ إذا استفتيته بجوابه : ... منعُ اللُّهَى (٥) كالمنع للماعونِ!!

ما الرزق محتاجا بعرصته (٦) إلى ... طلبٍ وليس الأجرُ بالممنونِ

لو كان فى الزمن القديم تظلَّمت ... منه الكنوزُ الى يدَىْ "قارونِ"

---

(١) الضمر : الهزال ، والعرجون : أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا . (٢) اللحب : الواضح . (٣) العرنين : الأنف . (٤) الدست : المجلس ، أو هو صدر البيت . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا ، والماعون : الزكاة . (٦) العرصة : ساحة البيت .

وإذا آمرؤ قعدت به همّـاتُه خلّى سـبيلَ رجائِه المسـجونِ

أقسمتُ أن ألقَ المكارمَ عالمـا أنّى برؤيتــه أبَرُّ يميــنى

شهدتْ علاه أنَّ عنصُرَ ذاتِه مِسـكٌ وعنصُرَ غيره من طـينِ

ساس الأمورَ فليس تُخلَى رغبةٌ من رهبـة وبسـالةٌ من لينِ

كالسيف رونقُ أَثْرِه[1] فى متنـهِ ومضاؤه فى حــدِّه المسـنونِ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا نصر محمـد بن محمد بن جَهـير، ويهنئه بوزارته للخلافة، وأنفذها اليه من واسـط فى سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة]، ويعرِّض بآبن دارست الوزير وآبن حُصَيْن الكاتب :

لِحَـاجةُ قلبٍ ما يُفيـق غُرورُها وحاجةُ نفسٍ ليس يُقضَى يسيرُها

وعينٌ الى الأطلالِ تُزجِى سحابَهـا إذا لوعةُ الأحشاءِ هبَّ زفـيرُها

أكلِّفهـا هطـلا على كلِّ مـنزلٍ فلو أنهـا أرضٌ لغـارت بُحـورُها

وما تجمع العينُ التوسُّمَ والبـكا فهـل تعـرفانِ مقـلةً أسـتعيرُها

وقفنا صـفوفا فى الديار كأنهـا صحائفُ ملقـاةٌ ونحن سـطورُها

يقول خليـلى والظِّباء سـوانحٌ : أهذى التى تهوى؟ فقلت : نظيرُها!

لئن أشبهتْ أجيـادُها وعيونُهـا لقد خالفت أعجـازُها وصدورُها

---

(١) الأثر : جوهر السيف .

فيـا عجبي منهـا يَصُـــدّ أنيسُهـا ... ويدنو على ذُعرٍ الينـا نَفُـــورُها

وما ذاك إلا أنَّ غِزلانَ "عامرٍ" ... يثقنَ بأن الزائرين ضُـقورُها

ألم يكفِها ما قـد جنتهُ شمومُها ... على القلب حتى ساعدتها بدورُها

نكَصنا على الأعقاب خوفَ إنائها ... فمـا بالها تدعـو : نَزَالِ، ذُكورُها

ووالله ما أدرى غَـداة نظرننَـا ... أتلك سهام أم كئوسٌ تديرُها؟

فإن كنَّ من نَبـلٍ فأين حَفيفُها (١) ... وإن كنَّ من خمـرٍ فأين سرورُها!؟

أيا صاحبيّ آستأذنا لىَ خُمَّـرَها (٢) ... فقد أذِنتْ لى فى الوصول خدورُها

هبـاها تجافتْ عن خليلٍ يروعُها ... فهـل أنا إلا كالخيـال يزورُها؟

وقد قلتما لى : ليس فى الأرض جَنَّةٌ ... أما هـذه فوق الركائب حُورُها!؟

فلا تحسَـــبا قلبى طليـــقا فإنمـا ... لها الصدرُ سجنٌ وهو فيه أسيرُها

يعِـزُّ على الهِـيم الخوامسِ وِردُها (٣) ... إذا كان ما بين الشفاه غديرُها

أراكَ "الحمى" قل لى: بأىّ وسيلةٍ ... وصلتَ الى أن صادفتـك ثغورُها

وما لى بهـا علمٌ، فهل أنت عالم : ... أأفواهها أولى بهـا أم نحـــورُها؟!

يطيب النسيمُ الرطبُ فى كلّ منزلٍ ... وما كلُّ أرض يستطابُ هجيرُها

وأنَّ فروعَ البان من أرض "بِيشَةٍ" (٤) ... حبيبٌ إلىّ ظلُّهـا وحَرورُها

(١) الحفيف : دوى صوت السهام .
(٢) خمـر : جمع خمار وهو كل ما غطى الرأس .
(٣) الهيم الخوامس : الإبل العطاش ترد فى اليوم الرابع لظمئها .
(٤) بيشة : موضع معروف بكثرة الأسود .

أَلَذُّ من الورد الجنيّ عَرارُها ... وأحلَى من الشهدِ المصـفّى بَرِيرُها (١)

على رِسْلكم فى الحبّ، إنّا عصابةٌ ... إذا ظَفِرتْ فى الحبّ عفّ ضميرُها (٢)

سَواءٌ على المشتاق ــ والهجرحظُّه ــ ... أألقت عصاها أم أجدَّ بُكورُها

لعمرُك ما سحــرُ الغوانى بقـادرٍ ... على ذات نفسى والمشيبُ نذيرُها

وما الشعَراتُ البيضُ إلا كواكبٌ ... مطالعُها رأسى وفى القلب نُورُها

ضياءٌ هـدانى فاهتـديتُ لمـاجدٍ ... سُهولُ المعـانى طُـرقُه ووُعورُها

أجابَ به اللهُ الخـلافةَ إذ دعت ... وزيرا فكان من أجنّ ضميرُها

به غَصّ ناديهـا وأشرقَ سـعدُها ... وأُفعمَ واديهـا وسُـدّت ثُغورُها

تَبـاهَى به يومَ الرحيـل خيامُها ... وتُزهَى له يومَ المقـام قصـورُها

وقد خفيتْ من قبـله معجزاتُها ... فأظهـرها حتى أقرّ كَفورُها

فما رأيه إلا سُمُـوطُ لآلئ ... يرصّـع منهـا تاجُهـا وسريرُها

ولا عجبٌ أن تستطيلَ عِمـادُها ... وهـذا الهمامُ الأريحيّ وزيرُها

فقـل للّيـالى : كيف شئتِ تقلّبى ... ففى يدِ عبـلِ (٣) الساعدينِ أمورُها

يدٌ عبِقت بالمكرُمات وضُمّخت ... وما الطيبُ إلا مِسكها وعبـيرُها

إذا كان خاتامُ (٤) الخلافةِ حَلْيَهـا ... فأىّ افتـخار يستزيد نَفَـورُها

---

(١) البرير : أوّل ما يظهر من ثمر الأراك .
(٢) الرسل : الرفق والتؤدة .
(٣) العبل : الضخم .
(٤) الخاتام : الخاتم .

وما صيغ لولا معصماهُ سِـــوارُها ... ولا صين لولا مَنكباه حريرُها

أمانيُّ فى صـــدر الوزارةِ بُلِّغتْ ... به كُنهَها حتى آستحقَّتْ نُذورُها

لوتْ وجهها عن كلّ طالب مُتعـةٍ ... إلى خاطبٍ حِلَّ عليـــه سُفورُها

ومن ذا "كفخر الدولة" آستامها له ... وما كلُّ نجم فى السماء منـــيرُها

آلانَ[1] رأينـا فى مجالس عزِّها ... مجالسَ تُملَا بالعَـــلاء صـدورُها

كأنَّ على تلك الأرائك ضيغما ... له نأمةٌ[2] لا يجـابُ زئـــيرُها

إذا مَثَـلَ الأقوامُ دون عَرينِه ... تسـاوَى به ذو طيشهـا ووقورُها

تكاد لِمـا قد أُلبست من سكينةٍ ... ترِفُّ على تلك الرءوس طيـورُها

دعوا المجـد للتراق إلى كل قُـلَّةٍ[3] ... يشُـقُّ على العَوْدِ[4] الذلول حُدورُها

لذى الخَطَراتِ المخبراتِ يقينَـــه ... بمستقبَل الحالاتِ ماذا مصـيرُها!

ألم تعلموا أن النعائمَ فى الثرى ... وأن البُزاةَ فى الشِّعاب وُكورُها

وقد علمت أبنـاءُ "هاشمَ" كلُّها ... بأى آبن هَـــمٍّ قـد أمرَّ مَريرُها[5]

بمكتهِلِ الآراء لـو زاحمـوا به ... جبالَ "شَرَوْرَى" لارتجَّتْ[6] صُخورُها

مقـــيم بأطرافِ المكارم سـائل ... ركابَ بنى الحاجات: أين مسيرُها؟!

---

(١) يريد «الآن» تخفف للضرورة. (٢) النأمة: صوت الأسد. (٣) القلة: رأس الجبـل. (٤) العود: الجمل المسن؛ والحدور: الانحدار. (٥) المرير: الحبل المحكم الفتل. (٦) ارتجت: مالت واهتزت.

جزى اللهُ ربُّ الناس خـيرَ جزائه ركائبَ تخـدى بالمكارم عِـيرُها

وأسقَ جيادا سِرنَ بالبأس والندى من الساريات الغـاديات غزيرُها

تناقلن من علياءِ دارِ "ربيعـةٍ" و"بَكرٍ" بأنواءٍ يفيض نميرُها (١)

تخطّت شُعوبا من ذؤابة "عامرٍ" لها العـزُّ حامٍ والنجاحُ خفـيرُها

وساعدها من آلِ "جُوثَةَ" (٢) عصبةٌ إذا ثوّب الداعى يعـزُّ نصيرُها

حماةُ السـيوف والرماح حِمَامُها وأحشاءُ ذؤبانِ (٣) الفلاة قبورُها

قِبابهـم السـمرُ الطوالُ عِمادُها ومُقرَبَةُ الخيلِ العتاقِ سـتورُها

وأفنيـةٌ مثـلُ الروابى جِفانُها ومثـلُ الجبـال الراسيات قدورُها

إذا طَرَقَ الأضيافُ غنّت كلابُها وناحت بشـجوٍ شاتُها وبعـيرُها

فماخَطَت "الجُودِى" (٤) حتى تراجفتْ اليمنَ آكام "العراقِ" وقُورُها (٥)

وكادت لها "بغدادُ" يوم تطلّعت تسـيرُ مغانيها وتَجـحُ دُورُها

فلم تك إلا هِجـرةٌ "يثربيّـةٌ" حقيقٌ على رهطِ "النبىِّ" شُكورُها

فلله شمسٌ، مغربُ الشمسِ شرقُها وفى حيثما شاءت طُلوعا ذُرورُها (٦)

أعدْتَ الى جسم الوزارة رُوحَـهُ وما كان يُرجَى بعثُها ونُشـورُها

---

(١) النمير : العذب الصافى . (٢) جوثة : موضع أوحى ؛ وبميم جوثة منسوبون اليهم .

(٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) الجودى : جبل فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل . (٥) قور : جمع قارة وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو هى الصخرة العظيمة .

(٦) الذرور : الطلوع .

أقامت زمانا عنـــد غيرك طامثـا (١) وهـــذا الزمان قُرءُهـا (٢) وطَهورُها

من الحقّ أن يُحبَى بهـا مستحقُّها ويُنزَعَهـا مردودةً مســتعيرُها

إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها أشار عليهـا بالطـلاقِ مُشـيرُها

أظنّ ٱبنُ "دارستَ" الوزارةَ تَلعةً (٣) "بفارسَ" قد عُدَّتْ عليه بُدورُها (٤)

وإن هضاب المجد ليست بمَزلَقٍ؛ لأحنفَ (٥) كابى الحافرين عُثـورُها

ألمّـا يكن فى نسجِ "تُوَّجَ" (٦) شاغلٌ له عن تعاطى رتبـةٍ لا يطورُهـا (٧)

أقول وقـــد واراه عنّـا حِجابُه : رويدَكَ دون الفاحشات سُتورُها

وأعلقه بٱبن "الحُصَيْن" سفاهةٌ ألا خابَ مولاها وسـاء عشيرُها

فأعدَى إليـــه رَأيَهُ فأبادَه كما أهلك "الزَّبّاءَ" (٨) يوما "قَصيرُها"

وهل نجمه الهـاوى سوى دَبَرانهـا (٩) وهـل ريحُـه الهوجاءُ (١٠) إلا دَبورُها

وأطـــربه تحت الرّواق نُهـاقُه (١١) وليس يروق الأُتْنَ (١٢) إلا حَميرُها

وما كان ظنّى أن للـذئب وقفـــةً وقـد جرَّ أرسانَ (١٣) الأمور هَصورُها (١٤)

(١) الطامث : الحائض . (٢) القرء : الطهـر من المحيض ، وفى الأصـل « قرها » وهو تحريف . (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض . (٤) بدور : جمع بدرة وهى كيس فيه عشرة آلاف درهم . (٥) الأحنف : الذى تميل قدماه كل واحدة الى أختها بأصابعها . (٦) توج : مدينة بفارس تصنع فيها ثياب من الكتّان ذات ألوان حسنة . (٧) لا يطورها : لا يقرب منها . (٨) الزباء : لقب ملكة الجزيرة وقصتها مع قصـير بن سـعد مشهورة . (٩) الدبران : منزل للقمر . (١٠) الهوجاء : الريح التى لا تستوى فى هبوبها ؛ والدبور : الريح الغربية . (١١) فى الأصل «نهامة» وهو تحريف . (١٢) الأتن : جمع أتان وهى الأنثى من الحمير . (١٣) الأرسان : الحبال ، واحدها رسن . (١٤) الهصور : الأسد .

فأرضُ رُعاءِ البَهْـــمِ إلا تُقِـــرَّه يُعقَّرْ بنـابٍ لا يُبِـــلُّ عقـــيرُها

ولا تُلقيَنَّ البأسَ عنـد آحتقارِه ألا ربما جرَّ الخطـوبَ صـغيرُها

بودّيَ لو لاقيتُ مجـــدَك تاليًـا (١) مناقبَ أُســـديها له وأُثيرُهـا (٢)

ولكنني أبعدتُ في الأرض مذهبي لإعزاز نفسٍ قد جفاها عَذيرُهـا (٣)

وهجهج بي (٤) عن أرض "بغدادَ" ذِلّةٌ (٥) كوخز سنانِ السـمهريّ حُصورُها (٦)

لأمثالها تعـــلو الجيـادَ سُروجُها ويلتقم الحَرْفَ (٧) العَلَنـــداةَ كُورُهـا (٨)

فـكدت بأن أنسى لذاك فصاحتي سوى أنّ طبعا في الحَمام هديرُها

تركنا رُبَى "الزوراء" (٩) جَنادبُ يعلو (١٠) في الهجير صَريرُهـا (١١)

وقلتُ : بـــلادُ الله رحبٌ فسيحةٌ فهل معجزي أَخوصة (١٢) أستجيرُها

وقد تترك الأســدُ البـلادَ تنزُّهًـا إذا ما كلابُ الحيّ جَدَّ هريرُهـا

أقامت بمثـــواك الليـالي مُنيخةً مكـرَّرةً أيامُهـا وشُهورُهـا

يؤرِّخُ من ميلاد سعدك عَصْرُهـا وتُحصَى بأعمـار النسور دُهورُهـا

فدونكها للتـاج يُبتـاعُ دُرُّهـا "فرزدقُها" غوّاصها و"جريرُها"

وقـد زادها حســنا لعينيك أنهـا على مسمعَيْ "داود" يُتلَى "زَبورُها"

(١) أسدى الثوب : جعل له سدى . (٢) أثار الثوب : جعل له نيرا وهو ضد أسدى .
(٣) العذير : النصير . (٤) هجهج بي : زجرني . (٥) السمهري : الرمح — منسوب الى سمهر وهي بلدة بالحبشة — . (٦) الحصور : الأسر . (٧) الحرف العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٨) الكور : الرحل . (٩) يزو : يثب ؛ والجنادب : الجراد . (١٠) الهجير : شدة الحر . (١١) صريرها : صوتها .
(١٢) الأخوصة : مجثم الدجاجة والنعامة .

وقال يمدحه، ويهنئه بعوده الى الوزارة بعد أن عُزِل عنها :

قـد رجـعَ الحقُّ الى نِصـابِهِ ... وأنت من كلّ الورى أولَى بِهِ

ما كنت إلا السـيفَ سلَّته يدٌ ... (١) ثُمّ أعادتـه إلى قِـرابِهِ

هزَّتهُ حتى أبصـرتْهُ صـارما ... ورونقُـه يُغنيه عن ضِرابِهِ

أَكرِمْ بهـا وزارةً ما سلَّمت ... ما آستُودِعت إلا الى أربابِهِ

مشـوقة إليـك مذ فارقتَها ... شوقَ أخى الشَّيب إلى شـبابِهِ

مثلُك محسـودٌ ولكن معجز ... أن يُدرَكَ البـارقُ فى سحـابِهِ

حاولهـا قومٌ ومن هـذا الذى ... يُخْرِجُ ليثا خادرا من غابِهِ

يُدمِى أبو الأشـبال من زاحمَـهُ ... فى خِيسـهِ بظُفـره ونابِهِ

وهـل سمعتَ أو رأيت لابسا ... (٢) ما خلَع الأرقمُ (٣) من إهـابِهِ

لا تحسَـبا لهوَ الحديث ماحيا ... (٤) حَـتما قضـاه الله فى كتابِهِ

مرُّ النسـيم غاديا ورائحـا ... لا يُزلقُ الأعصمَ (٥) عن هِضـابِهِ

وليس يُعطى أحـدا قيـادَه ... أمرٌ، لسـانُ المجد من خُطَّابِهِ

تيقَّنـوا لمـا رأَوهـا صـعبةً ... أن ليس للجـوِّ سـوى عُقـابِهِ

---

(١) القراب : غمد السيف . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الإهاب : الجلد .
(٤) فى الأصل «ختما» وهو تصحيف . (٥) الأعصم : تيس الجبل يعتصم به .

إن الهـــلالَ يُرتجَى طـــلوعُه بعـــد السِّرارِ (١) ليـــلةَ ٱحتجابِهِ
والشمس لا يُوءَس من طُلوعِها وإن طواها الليـلُ فى جِلبـابِهِ
ما أطيبَ الأوطـانَ إلا أنهـا للمـــرء أحـــلَى أثَرَ ٱغـــترابِهِ
كم عَودةٍ دلَّت عـلى دوامها، والخُـــلدُ للإنسان فى مآبه
لو قَرُبَ الدُّرُّ عـــلى جالبـــه ما لجَّجَ الغـائصُ فى طِـــلابه
ولـــو أقام لازما أصـــدافَه لم تكن التيجانُ فى حسـابه
من يعشق العلياءَ يلقَ عنـدها ما لقِىَ المحبُّ من أحبـابه
طورا صـــدودا ووصالا مرّةً ولذّةُ الـــوامقِ فى عتـابه
وربّمـا ٱعتاصَ (٢) الذى تأمُلُه وأصبحَ المخوفُ من أسبابِهِ
ما لـــؤلؤ البحـر ولا مَرجانُه إلا وراءَ الهول من عُبـابِهِ
ذلَّ "لفخرالدولة" الصعبُ الذُّرَى وعـــلَّم الأيام من آدابِهِ
وٱســـتخدم الدهرَ فمـا يأمره إلا أتى الطـاعةَ فى جوابه
يكاد من تهذيبـــه أخلاقَهُ أن يســـتردَّ الغـدرَ من ذئابِهِ
قـــد طأطأتْ أيامُه أعناقَها خاضـــعةً تســـير فى رِكابِهِ
كأنهـا عصائبٌ من طالبى ثـــوابِهِ أو خائـــفى عِقـابِهِ

(١) السرار : آخر الشهر .
(٢) اعتاص : صعب وصار عويصا ، وفى الأصل : «اعتاض» وهو تصحيف .

إن أخطأتْ واصلت آعتذارَها وإن أصابت فهو من صـوابهِ

يا ناشـد الجُود وقـد أضـلَّه مالك لا تبغيـــه فى جَنـابهِ؟

حيث أقام أبصرَ الناسُ الندى تُشـــير كفاه الى قِبـابهِ

ترى وفودَ الشـكر حولَ بيتـــه كأنهـا الأوتادُ فى أطنـابه

ما ثوَّروا(١) الآمال عن صـدورهم إلا أناخت بفِنـاء بابهِ

وكيف لا يهـــوَى الرجاءُ رَبعَه وليس مَرعاه ســـوى أعشابهِ

قَـلَّد أيدى المكـرُماتِ إذنَهُ فرفَعتْ من طَرَفْ حِجـابهِ

لا تسئلنَّ عن مدى معروفه أو تســـل الوسميَّ(٢) عن مَصابهِ؟!

يكفيـك ما يبسُـطه من بِشره أن تطلبَ الإذن الى حُجَّابهِ

يطغَى بتكرير السـؤال رفـدُه والدَّرُّ جيَّاشٌ(٣) على آحتـلابهِ

هو الذى أفعـالُه من حسـنِها كأنمـا آشتُقِقن من ألقابهِ

مَن حسَبُ السـؤددِ فى صميمهِ ونسبُ العليـاء فى لُبـابهِ

كالسمهرىّ عزمُه لو لم يكن ينقُص عنـــه الرمحُ بآضطرابهِ

شـكرا وزير الوزراء تســـتزد أضعافَ ما بُلِّغتَ من وَهابهِ

قِدمتَ كالغيث أصاب ظامئا ســـوَّفه الحَـدَّاعُ من سَرابهِ

كم ساجدٍ لمّا سموتَ طالعـا كأنه صـلَّى الى محـرابهِ

(١) ثوروا الآمال: هاجوها وجعلوها ثائرة. (٢) الوسمى: أول المطر. (٣) جياش: متدفق.

وصائم رؤياك قـد أغنته عن طعـامه طِيبـا وعن شرابهِ
ولو أطاق الدَّستُ سـعيا لسعى مســتقبِلا يختـال فى أثوابهِ
كان حشاه قلِقا حتى آحتبى فى صــدره من كان من آرابه
أقمت فى نعماءَ مطمئنَّــةٍ تُحكِّم الفــؤادَ فى إطــرابهِ
تسـاعد الدنيـا عــلى زينتها وتغلب الدهر عــلى أحقـابهِ
ألقت عصاها وآرتمت ركابُهـا فى سُرَرِ الوادى وفى شِــعابهِ
قد أُعفىَ المـارنُ (١) من خَشاشـهِ (٢) ورُوِّحَ الغـاربُ (٣) من أقتـابهِ (٤)
عــلى يديك المرتجَى إنعـامُها تابَ غرابُ البين من نُعابهِ

* * *

وقال أيضا فيه ، ويذمُّ آبن دارست، ويذكرُ مصيرَ هذا الى العراقِ من البلاد العُليا، وهذا من السفلَى :

قالوا : وزيرانِ، هوَى نجمُ ذا ونجمُ هـذا قـد علا طالعـا
كذلك الدهرُ يُرَى خافضـا طورا وطورا قد يُرَى رافعـا
قلتُ : قياسٌ ويحكم زِبْرِجٌ (٥) جوهرُه لا يقبــلُ الطابعـا (٦)

(١) المـارن : الأنف . (٢) الخشاش : خشبة تعترض أنف البعير . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) أقتاب . جمع قتب وهو الرحل على قدر السنام . (٥) الزبرج : الذهب .
(٦) فى الأصل «الطانعا» وهو تصحيف .

هذا أتى من "آمِد"[1] ساميا وذا أتى من "فارِس" خاضعا
كم بين من وُلِّيَ من فوقها فقـــرٌّ فى مركزها وادعا،
وبين من رُقِّيَ من تحتها نخـــرٌّ من ذِروتها واقعا
نطَّرِحُ الباطنَ ما بيننا ونستفيدُ الظاهر الذائعا
ابن "جَهير" وآبنُ "دارِسْتِكم" بأىِّ لفظٍ يُعجِبُ السامعا
أليس مطبـــوعا على قلبـــه من ظنَّ تيسا أسـدا رائعا!

* * *

وقال يمدحُ ولدَه عميدَ الدولة، ويهنئُه بالخِلَع عليه وآستخلافه على الوزارة :

قـــد بانَ عذرُك والخليطُ مودَّعُ وهوَى النفوسِ مع الهوادج يُرفَعُ
لك حيثما سمت الركائبُ لفتـــةٌ أترى البـــدورُ بكل وادٍ تَطلعُ!
لله مطـــوىٌّ عـــلى زفَـــراتهِ لم يقضِ من ظمأ ولا هو يَنْقَعُ
قرُبت أمانىُّ النفـوس وعنـدَه أمـــلٌ تُحُبُّ[2] به الركابُ وتوضِعُ
ونأتْ مَطارحُ قلبـه عن سمعـه فالعـاذلون بهنّ حَسرَى[3] ظُلَّـــعُ[4]
ما خاف فى ظُـلَمِ الصـبابةِ ضلَّةً إلا ودلَّتْـــه الـــبروقُ اللُّمَّـــعُ
فى الظاعنين من الحِمَى ظبيٌ له الـ أحشـاءُ مرعًى والمآقى مَكرَعُ

(١) آمد : بلد قديم حصين يحيط بأكثره نهر الدجلة كالهلال . (٢) الحبب والإيضاع : ضربان من السير . (٣) حسرى : معياة . (٤) الظلع : التى فى مشيها غمز يشبه العرج .

ممنوعُ أطرافِ الجمال، رقيبُـــه حِذِرٌ عليـه، والغَيـــورُ البرقُـعُ
عهِـدَ الحبـائلَ صائداتٍ شِبهَهُ وآرتابَ، فهو لكلِّ حبلٍ يقطعُ
لم يـــدرِ حامِي سِربهِ أنّى اذا حُرِمَ الكلامُ له، لسـانى الإصبعُ
وإذا الطُّيوف الى المضاجع أُرسِلت بتحيـــةٍ منه فعيـــنى تسـمعُ
ويح الألى آنتجعوا الغمامَ وعندهم بين المحـاجرِ ديمـــةٌ(١) ما تُقلعُ
لجـئوا الى عزِّ الخدور وفى الحشا بيتٌ أعزُّ من الخـــدور وأمنعُ
هـــل فى قِبابهم اللواتى رفّعـوا مبنيَّـــةٌ أطنـابهُنَّ الأضـــلُعُ؟!
لهمُ مَصيفٌ فى الفؤاد ولو سُـقِي ماءَ الوصـال لكان فيـه مَربَعُ
يا كاسرَ النَّجلاءِ تُرسِـــل نظـرةً خَطفا كلحظ الريمِ(٢) وهو مروَّعُ
لسوى أسنّتك المجنُّ مضـاعَفٌ ولغير أسهمك السـوابغُ(٣) تُصـنَعُ
لى حيـــلةٌ(٤) فى كلّ رامٍ مُغرِضٍ لو أنه فى غـــير قوســـك ينزِعُ
أطيبْ بأطلالِ "الأراك" ونفحةٍ باتت بمسراها الرجالُ تَضَـــوَّعُ
ومواقفٍ لم ألقَ مَولًى راحمـا فيهـا ولم أظفَر بخِـــلٍّ يشـــفعُ
لولا الذين البيـــدُ من أوطانهم ما كان يملِكنى الفضـاءُ(٥) البلقعُ
آنستُ من أطلالهم ما أوحشوا وحفِظتُ من أيّامهم ما ضيّعوا

(١) الديمة: المطرة الدائمة. (٢) الريم — ويهمز — الغزال. (٣) السوابغ: الدروع. (٤) المغرض: الذى يصيب الغرض وهو الهدف. (٥) البلقع: القفر.

ورضيتُ بالمُهـدى إلىّ نسيمَهم إن المحب بما تيسَّر يَقنَعُ

ولقد حللتُ حُبَى الظلام بفتيـةٍ أَلِفَتْ وجوهَهُم النجـومُ الطُّلَّعُ

قَرَوُا الهمومَ جسـومَهم ونفوسَهم وبطونُها بسـواهُمُ ما تشـبعُ

وسَرَوا بأشباجٍ تجـاوَزها الردى إذ لم يكن فيهـا له مستمتَعُ

لا قتْ بهم خُوصُ(١) المهارَى مثلما لاق بأربَعِها الثرى واليَرْمَعُ(٢)

فى حيثُ لا زَجَلُ(٣) الحُداة مردَّدٌ خوفَ الهلاك ولا الحنينُ مرجَّعُ

قلِقَت بهـم قلقَ اللديغ كأنما ظنَّت سياطَهُمُ أراقمَ تلسـعُ

فتَـل الذُّءوبُ لحومَها بشحومِها(٤) فتشابهت(٥) أشباجها والأنسُعُ(٦)

متباريات بالنَّـجاء(٧) كأنما وضَعت رهونا سُـوقُها والأذرعُ

وإلى "عميد الدولة" اعتسفت بنا أنضاؤها(٨) حتى هنـاها المرتَعُ

من عندَه الظلُّ الظليلُ ومنهلُ الـ ـعذب المصفَّق والجنـابُ المُمرِعُ

والغـادياتُ الساريـاتُ بريقُهـا ولِبانُهَـا يسق الرجاءَ ويُرضـعُ

ما زال يُفهمنـا العـلاءُ صنيعَه حتى علمنـا ما الأغرُّ الأروعُ

---

(١) خوص : جمع أخوص وخوصاء، وهى التى غارت عينها . والمهـارى : جمع مهرية وهى الإبل المنسوبة الى مهرة بن حيدان وهى نجائب تسـبق الخيل . (٢) اليرمع : حصى بيض تلمع وهى رخوة إذا فتتت انفتت . (٣) الزجل : الصـوت . (٤) فى الأصل "فتشابهن" .

(٥) أشباج : جمع شبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر . (٦) أنسع : جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد، والساق والقدم (٧) النجاء : السير السريع . (٨) أنضاء : جمع نضو وهو المعيا المهزول من السير .

يخشى سهامَ الذمّ فهو مسالما ومحاربا بنواله يتدرَّعُ

غرسَ الصنائعَ فاجتنى ثمراتِها شكرا، وكلُّ حاصدٌ ما يزرعُ

عيدانُ مجدٍ لا تلين لغامزٍ وجبالُ عزٍّ مَرْوُها(١) ما يُقرَعُ

ومناقبٌ يقضِى لها متعنِّتٌ فى حكمه ويجيزها(٢) متتبِّعُ

كم أزمةٍ خَرِسَتْ رواعدُ سُحبها وسحابةٍ فيها خطيبٌ مِصقَعُ

وإذا المطالبُ باللئام تعثَّرت ظلّت مواهبُه بهنّ تُدَعدِعُ(٣)

تبِعوا مساعيَهُ فلمّا أبصروا بُعدَ المسافة أفردوه وودَّعوا

إنّ المعالىَ صعبةٌ لا تُمتطَى والمأثُراتُ ثنيّةٌ(٤) ما تُطلَعُ

يقِف الثناءُ عليه وقفةَ حائرٍ ممّا تسُنُّ له يداه وتشرَعُ

إن قصّرت مُدّاحه عن وصفه فعجائب البحرين ما لا تُجمعُ

قلِقُ اللواحظ أو تقرُّ بزائرٍ كالمضرحىّ(٥) لصيده يتوقَّعُ

فهناك أبلجُ ما وراء لثامه ملأنُ من ماء البشاشةِ مُترَعُ

هو قِبلةُ المجد التى ما مِلَّةٌ إلا وتسجُدُ نحوها أو تركَعُ

تتناسب الأهواءُ فى تفضيله والقولُ فى أديانها يتنوَّعُ

---

(١) المرو : حجارة براقة صلبة، واحدها مروة. (٢) فى الأصل «ويجيرها» وهو تصحيف.

(٣) تدعدع : تقول لها : دع دع وهى كلمة — ساكنة الآخر — تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش، كما يقال : لعا.

(٤) الثنية : طريق العقبة وهى المرقى الصعب فى الجبال. (٥) المضرحى : الصقر، أو النسر الطويل الجناح، وكلاهما مشهور بحدة البصر.

عِلمًـا بأنّ الشمس ما فى عينهـا ... رَمَدٌ ولا ثوبُ الســـماء مرقَّعُ

يا دهرُ لا تَعرِضْ لمن آراؤه ... فى مَفصِـل الجُـلَّى تَحُزُّ وتَقطـعُ

اطُـفَت وجلَّ فعالهـا ولطالمـا ... (١) نزحَ النجيعَ من العروق (٢) المِبْضَـعُ

وله عزائمُ ضـاق عنهـا ذَرعهُ ... (٣) كالسيل غصَّ به الطريقُ المَهيعُ

شوسٌ (٤) إذا آستدعتْ أنابيبَ القنا ... أبصرتَها من سُرعة تـتزعزعُ

إياك تبحثُ فى جوانبِ (٥) كُدْيةٍ ... (٦) بالحارشينَ ضِبابُها لا تُخـدعُ

أنسيتَ إذ قارعتَـه عن مجـده ... (٧) فرجعتَ مفـلولا وأنفُك أجدعُ

أيّامَ جاهـدَ فى أبيـه بهمّـةٍ ... هجـعَ الظلام وعينُهـا ماتهجَـع

حتى آطمأنَّ من الوزارة نافـرٌ ... (٨) وثُنى إليـه (٩) لِيتُهـا والأَخـدعُ

وآسـتُرجعتْ عذراءَ لم يَنعَمْ بهـا ... بعـلٌ كما آرتجع الوديعـةَ مودعُ

ومشى أمام جيـادهِ مسـتقبلا ... من كان أمسِ وراءَهنّ يُشيّعُ

بالرفق تحـطُّ الوعولُ (١٠) من الذُّرى ... (١١) ويصاد يَربوعُ الفـلا المتقصّعُ

هـذا أمـيرُ المؤمنين وظنّـه ... بالغيب مِرآةٌ تضيء وتلمـعُ

---

(١) النجيع : الدم . (٢) المبضـع : المشرط . (٣) المهيع : الواسـع .

(٤) شوس : جمع أشوس وشوساء وهو الجرئ على القتال الشديد . (٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب . (٦) الحارش : صائد الضب من كديته التى حفرها . (٧) أجدع : مقطوع . (٨) الليت : صفحة العنق . (٩) الأخدع : عرق فى الرقبـة .

(١٠) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (١١) اليربوع : حيوان أشبه بالفأر إلا أنه كبير عنه قصير اليدين . (١٢) المتقصع : الداخل فى القاصعاء وهى جحر اليربوع .

لمـا تنسّم من شمـائِلِ عِطْفـــهِ ارجَ الكفاية فائحـا يتضـــوّعُ،

ناجاه بالوادى المقـــدّس نابذا كَلِمًا تلين لهـا القلوبُ وتخشعُ

وكساه من حُلل الدِّمَقْسِ(١) جلابيا كالروض بل منه أغضُّ وأنصعُ

فكأنهـا نُسجَت بجنّـــةِ عبقـرٍ(٢) أو ظـلَّ يرقُمُهـا الربيعُ ويطبَـعُ

لو أنهـا دِمَنٌ أقامت بينهـا وُرْقُ الحمـائم تستهِلُّ وتسـجَعُ

إن أُكملتْ حسنا فقد زُرِّت على جسـدٍ يكلَّل بالعـــلا ويرصَّـعُ

وأعاضه من تاج "فارسَ" عِمةً إذ عنـــده تاجُ الأعارب أرفعُ

كالليـل إلا أنهـا قد طُـرِّزت شـــفَقا على آفاقهـا يتشعشعُ

ما أشرقُ الألوان إلا سُـــودُها ولأجل ذا لونُ الشبيبة أسـفعُ(٣)

أمثالُهـا فـــوق الرءوس وهـذه فوق الرزانةِ والحصانة توضـــعُ(٤)

وحباه من قُبّ(٥) العتاقِ بضـامرٍ كالذئب زعزعَ منكبيْه مَطمَـعُ

لا تُثبِت العينـانِ أين مقـــرُّهُ فى الأرض لولا نقعُـــه المترفِّـعُ(٦)

يقظانُ تحسَب سَرجَه ولجامَـــه فى لُجّـــة أمواجُهـا تتدفَّـــعُ

يخطو فيختصر البعيدَ من المَـدى بقـوائم مثـلِ البليـــغ تُوقِّـــعُ

بالســـبق منفـــردٌ بلَى فى متنه منـه الى طُـرُق المعـالى أسرعُ

(١) الدمقس : الحرير . (٢) عبقر : موضع تنسب اليه الجن . (٣) الأسفع : الأسود . (٤) كذا فى الأصل ويحتمل أن تكون «الحصافة» . (٥) قب العتاق : الخيل الضامرة البطن ، واحدها : أقب وقباء . (٦) النقع : الغبار .

إن الخليفـــةَ للزمان وأهـــلِهِ طَودٌ من الحَـدَثانِ لا يتضعضَعُ

هو فى الدجى بدرٌ ينير وفى الضحى شمسٌ لها فى كل أفـقٍ مطلعُ

و"بنو جَهـيرٍ" دَوحةٌ فى ملكه أفنانُها وغصونُها تتفـرّعُ

بوزيرها وعميـدها وزعيمها و"جهـيرها" أبدا يُضَرُّ ويُنفَعُ

القـارحُ(١) المـوفى عليها سابقٌ ورَباعُها(٢) وثَنِيُّها(٣) والمُجـذَعُ(٤)

كلٌّ له يـومَ الفخار مناقبٌ ثمّ الأكابرُ فضلُها لا يُدفَـعُ

لله أربعـةٌ بهـم هـذا الورى وكذا حكَوْا أن الطبائع أربعُ

"أمحمـدُ بن محمـدِ بنِ محمـدٍ" وعُلاكَ منصتةٌ تجيبُ وتسـمَعُ،

لا كان هـذا الدهرُ إن عطاءَهُ بالله يسـمُجُ فى العقول ويفظُعُ

ما بال أقـوامٍ به لو أُنصِـفوا رُدّوا على باب النجاح ودُفِّعـوا

ما كان قطُّ لهم على دَرَج العـلا مرقًى ولا عند الصنيعة موضعُ

وأرى المعـايشَ بينهم مقسـومةً كالغُـنم(٥) يُخمَسُ(٦) تارة أو يُربَعُ

وأعابهم(٧) نفـرٌ بلا سببٍ سـوى أن المعـايبَ بين قومٍ تجمَعُ

---

(١) القـارح : من الخيـل بمنزلة البازل من الإبل . (٢) الرباع : — من الخيل — ما استتم السـنة الرابعة . (٣) الثنى : — من الخيـل — ما استتم السـنة الثالثة .
(٤) المجذع : الذى صار جذعا وهو ما قبل الثنى . (٥) فى الأصل « كالغنيم » وهو تصحيف .
(٦) يربع ويخمس : يؤخذ ربعه وخمسه . (٧) كذا بالأصل ، والوارد فى المعاجم « عاب » بغير التعدية بالهمزة ، ولعلها « قد عابهم نفر ... الخ » .

أأذادُ عن بَرْدِ الحياض ومثلُهـم يُدعَى إلى العَذبِ الزلالِ فيكرَعُ
فآبذُرْ عـوارفَك الجسـامَ بتُربةٍ يزكو بها ثمرُ الجميـلِ ويونعُ
هـذا مقالى إن هززت فعنـده ما يَحسُنُ المطبوعُ والمتطبِّعُ
ويدى إذا آستخدمتَها وبسطتَها حسدتْ أناملَهـا الرياحُ الشُّرَّعُ
ما بى إلى الشفعاء عندك حاجةٌ ولسانُ فضلك شافعٌ ومشفِّعُ

* * *

وقال يودِّعه عند توجُّهِه فى الرسالة إلى خراسان :

من رأَى المجـدَ يُثير القِـلاصا (١) والعُـلا تُزجى العِتاقَ (٢) الخِماصا (٣)؟!
والقِبـابَ البيضَ قد وعَدُوهـا بالمعـالى فآستطالتْ خِراصـا (٤)
"بعميد الدولةِ" الأرضُ تُطوَى حين (٥) لا ترجو النجومُ خَلاصا
وبِفِـاجُ السـعى بين يديه تشترى الآمالَ منـه رِخاصـا
مـذ رأيناهُ سحابا عجِبنـا كيف يحتـلُّ ويأوى العِراصـا (٦)
كرمٌ فاضَ فما آختصَّ أرضـا دون أرضٍ بنـداه آختصـاصا
من يحبّ العزّ يَدأبْ اليـه وكذا من طلب الدُّرَّ غاصا
قـرّت الأعينُ بالقـربِ منـه فأراد البعـدُ منها القِصـاصا

(١) القلاص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل . (٢) العتاق : الخيل النجيبة .
(٣) الخماص : الضامرة البطن . (٤) خراص : جمع خريص وهو السحاب . (٥) فى الأصل «حيث» . (٦) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار .

لو ملكنا الأرضَ أو لو أطقنا ... لسَـــددنا بُراها الخَصاصا (١)

وعقَلنا الناجياتِ خـــلاءً (٢) ... وربَطنا المُقْـــرَباتِ (٣) آرتهاصا (٤)

فهِمتْ ما حملتْ فى ذُراها ... من جمالٍ فآرتقصنَ آرتقاصا

ماجدٌ إن خاف أسهمَ ذمٍّ ... لبس الجـــودَ عليه دِلاصا (٥)

أدواتُ الفخـــرِ ألفَنَ فيه ... حسَبا عِـدًّا (٦) وعِرقا مُصاصا (٧)

رُبَّ عزمٍ إن يُحَكِّمْ [به] (٨) لم ... تجد الأقـــدارُ عنـــه مَناصا

ساهرِ القلب اذا رامَ عُظمَى ... إن كرَى النـومِ للأعينِ حاصا (٩)

فذفتْ منـــه الليـالى بقِـــرنٍ ... تنكُص الأبطالُ عنـه آنتكاصا (١٠)

محسـنٌ بالرأى ضربا وطعنا ... يُخجل البيضَ ويُخزِى الخِراصا (١١)

ساحر الألفاظ لوشاء ظبيا (١٢) ... أسر الوحش بهنَّ آقتناصا

كلما أبصـــرَه حاســـدوه ... كُلِّلتْ (١٣) تلك العيـــونُ حُصَاصا

كشـعاع الشمسِ ترجع عنـــه ... مَضْرِحيّاتُ (١٤) العيـــون عِماصا

(١) الخصاص : كل خرق أو خلل فى باب أو غيره ، — والمراد : كل ما انفـرج من الأرض ، وفى الأصل : «الخضاص» وهو تصحيف . (٢) الناجيات : الإبل تنجو بصاحبها . (٣) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٤) الآرتهاص : الرص وذلك بأن يكون بعضها بجانب بعض . (٥) الدلاص : الدرع الملساء اللينة وجمعها دلاص أيضا وقيل : دلص — بضم الدال واللام — . (٦) العد : القديم . (٧) المصاص : الخالص من كل شىء . (٨) ليست بالأصل . (٩) حاص : خاط . (١٠) القرن : الشجاع ؛ والانتكاص : الرجوع . (١١) الخراص : الرماح . (١٢) كذا فى الأصل ولو خيرنا لقلنا « صيدا » ليكون المعنى أعم . (١٣) الحصاص : داء يتناثر منه الشعر — والمراد به هنا تناثر شعر أهداب العيون لشدة ما يبهرها من الضوء — . (١٤) المضرحى : الصقر أو النسر — وكلاهما يوصف بحدة البصر — .

ففـــداه كـلُّ جَهـــمِ المُحيَّـا (١) مانـعٌ عـــجدَه (٢) والرَّصـاصـا

كالشَّموسِ (٣) الصَّعبِ إن ذلَّـوه زادهـم ذُعرا ولَجَّ قِـماصـا

مســـتهامٌ بالغـــوانى اذا ما صقَلتْ خـدًّا وأرختْ (٤) عِقاصـا

أين تبغى؟ قد زحَمتَ الثريّا فى مَـــداها وٱنتعلتَ (٥) النَّشاصـا

غايةٌ لـــو ذو جَناحٍ اليهـا طار لٱعتاصت عليـــه (٦) ٱعتياصا

أنتمُ آلُ "جَهـــيرٍ" عـــديدٌ لا رأتْ فيـــه البنـانُ ٱنتقاصا

كلّمـا قيـل: الرحيـــلُ قريبٌ غَصَّ بالبـارد حَلْقى ٱغتصـاصا

وأرى قلـــبى سيقتصّ، إمّا سـرتَ، آثارَ المطىِّ ٱقتصاصا

اِقْضِ فى أمرى بمـا أنتَ قاضٍ فبإنعامك أرجـــو الخَـــلاصا

ردَّك الله إلينـا سـليما بـــك أيامُ الزمان (٧) تَواصَى

* * *

وقال يمدحُه عندَ عودِه من هذهِ السَّفرة، وقد صاهرَ نظامَ المُلك فى شـعبان سنة ٱثنتين وستين [بعد الأربعمائة]:

اذا نثرَ النـاسُ "الهِرَقْلِيَّةَ" (٨) الصُّـفْرا نثرتُ على عليـائك الحمـدَ والشُّكرا

---

(١) الجهم: العابس غير الطلق. (٢) العسجد: الذهب. (٣) الشموس: الأبى المتنع. (٤) عقاص: جمع عقصة — بكسر العين — وهى الضفيرة. (٥) النشاص: السحاب. (٦) اعتاص: صعب واشتد. (٧) يريد: تتواصى أى يوصى بعضها بعضا، ويقال: تواصى النبت أى آتصل بعضه ببعض. (٨) الهرقلية: دنانير منسوبة الى هرقل ملك الروم.

وصغتُ[1] من الذهن المصفّى بدائعا ... أقرّط أسماعَ الرُّواةِ بها شَذْرا[2]

فلا تحسبَنَّ الدُّرَّ فى البحرِ وحدَه ... فقد تُخرِج الأفواهُ من لفظها دُرَّا

ومن كان جسمَ المكرمات وروحَها ... تحلَّى ثناءً لا لُجَينا[3] ولا تِبرا

يُحيَّا بريحان المحامدِ سمعُه ... ويكفيهِ أن كانت مناقبه عِطرا

ولست براضٍ غيرَ وصفك تحفةً ... ولا قاضيا إلا بمدحتك النَّذرا

بلغتَ "عميدَ الدولة" الغايةَ التى ... ركائبُ أبناءِ المنى دونَها حَسرَى[4]

وما زلتَ تُغلى[5] المجدَ حتى جعلتَهُ ... عليك حبيسا لا يباعُ ولا يُشرى

وكم طالبٍ فيه نصيبا وإنه ... ليَقبِضُ كفَّيه إذا عَرف السِّعرا

تطيعك فى المعروف نفسٌ حيِيَّة ... إذا سُئلتْ جدواك تستقبحُ العُذرا

أظنُّك فى الدنيا تُريد زهادةً ... فلستَ بمستبقٍ لعاقبةٍ ذُخرا

وقد كانت النَّعماءُ جادت بنفسها ... فأنشأتَها فى عصرك النشأةَ الأخرى

مواهبُ يُعطين الغنىَّ على الغِنَى ... مَزيدا ويتركن الفقيرَ كمن أثرى

يوافين[6] سرًّا والسحابُ برعدها ... تبوح بما توليه إن أرسلتْ قَطرا

فدًى لك صيفىُّ الغمامة فى الندى ... يَظُنّ سؤالَ السائلين به مكرا

اذا حامت الآمالُ حول حِياضه ... سمعنَ بها من كلِّ ناحيةٍ زَجرا

(١) فى الأصل «وضعت» وهو تصحيف . (٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير وهو أيضا الذهب .
(٣) اللجين : الفضة . (٤) حسرى : كليلة معياة . (٥) فى الأصل « تعلى » .
(٦) فى الأصل « توافيك » وهو تحريف .

ألستَ من القـــوم الذين نداهُـــمُ حبائلُهم ، والراغبون بهـا أسرى
يبيتون فى المشتى خِماصًا(١) وعنـدهم من الزاد فضلاتٌ تُصان لمن يُقرى(٢)
خشَوا أن يضِلَّ الضيفُ عنهم فرفَّعوا من النـار فى الظلماء ألويةً حُمـــرا
أفادوا الذى شاءوا وأفنَوه عاجـــلا فقـــد جمعتْ أيديهم العُسرَ واليُسرا
تواليـــك حبَّاتُ القـــلوب كأنما خُلقتَ سرورا فى الضمائِر أو سِرّا
فإن كانت العينان داعيـــةَ الهوى فقدأبصرتْ من شخصك الشمسَ والبدرا
وإن كان للنفس الطروبِ تتيُّمٌ فأجدرُ أن تَهـــوَى خلائقَك الزُّهرا
فقـــد جنَح الأعداءُ للسّـلم رغبـةً إليك، وأىّ الناس لا يعشـــق البِرّا؟
فأما سَـــقام الحاسدين فما له شـفاءٌ وقـــد كادتهُـــمُ نِعَمٌ تَتْرَى
تساوت يداك بسـطةً وسماحةً فلم تفخر اليمنى بفضـل على اليسرى
ومعترَكٍ للقـــوم مزَّقتَ جمعَـــه بحـــدِّ لسانٍ يُحسن الكرَّ والفرّا
وفحشاء أدّتها إليـــك جهـالةٌ جعلتَ رتاجَ(٣) الحلم من دونها سِترا
سما بك فوق العـــزّ قلبٌ مشـيعٌ(٤) اذا ركب الأهوالَ لم يستشر فكرا
وهمّـــةُ وثّابٍ على كلّ ذِروةٍ يَنـال على أكتادها(٥) النَّهىَ والأمرا
ألا ربَّ ساعٍ فى مَـــداك كَبَتْ به مطاياه أو قالت له رِجـــلُه : عَثْرا

(١) الخماص : الجياع . (٢) يقرى : يضاف . (٣) الرتاج : الباب العظيم المغلق ، وفى الأصل «رياح» وهو تصحيف . (٤) المشيع : الشجاع . (٥) الأكتاد : الأكناف .

وملتمِسٍ فى عـــدِّ فضـــلك غايةً ... ومن يَشبُرُ(١) الخضراءَ أو يترِف البحرا؟!

خذوا عن غُبار الأعوجيّات(٢) جانبا ... وإلا فقـــد ضيعتمُ خَلفها الحُضرا

وخلُّوا لهـذا البـازلِ القَرمِ(٣) شَـــولَه(٤) ... فإنكُمُ لم تَحذِقوا الهَـــدْر والخَطْرا

فتًى سالَبَ الأعداء حِرصا على العـلا ... فأَجلَوا له عنها وما عَقَـــد الأُزْرا(٥)

وهـــل يُعجب الروضُ المنوّرُ أعينا ... رعَتْ فى محيّاه الطـــلاقةَ والبِشرا

كأنَّ الحيـاءَ أنهلَّ فى وجَنـاته ... فكانَ لهـا ماءً وكانت له غُـــدْرا(٦)

تحـــدّثه الغيبَ الخـفىَّ ظنـــونُه ... فتحســـبُها قد أودِعتْ صُحُفا تُقرَا

وقالوا : هو الغيث الذى يغمُر الربَى(٧) ... فقلت لهـــم : ما زدتمونى به خُبرا

فقالوا : هـــو الليثُ المعفِّر قـــرنَهُ ... فقلت : بحـــقّ الله أيُّهـــما أجرا؟(٨)

حلفت بهـا تَهـــوِى عـلى ثَفِناتها(٩) ... من الأين(١٠) مرخاةً أزمَّتُهـا صُعرا(١١)

تجـــرِّر أذيالَ الرياح وراءَها ... إذا كتبتْ سطرا محتْ قبـلَه سطرا

تَنَزَّهُ عن حَمل الأوانسِ كالدُّمى(١٢) ... وتحمِل فى كِيرانهـا الشُّـعثَ والغُـبْرا

إلى حيثُ لا تُجزَى بحسن صنيعهـا ... إذا ما قضَوا نُسكا جزَوها به نَحـرا

---

(١) يشبر : يقيس بالشبر . (٢) الأعوجيات : النجائب من الإبل المنسوبة الى أعوج وهو فحل ، والحضر : العدو . (٣) البازل القرم : الفحل الكريم . (٤) الشول : جمع شائلة — وهى من الإبل — : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها .
(٥) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٦) غدر : جمع غدير وهو النهر . (٧) فى الأصل : «يعمر» وهو تصحيف . (٨) يريد أجراً . (٩) ثفنات : جمع ثفنة وهى مايقع على الأرض من البعير اذا استناخ . (١٠) الأين . الجهد . (١١) صعرا . مائلة .
(١٢) كيران : جمع كور وهو الرحل .

وبالبيت محفوفا بمن طاف حوله إطافةَ سِمطيْ لؤلؤ قلّدا نحرا،
تُفاضُ سجوفُ(١) الرَّقم فى جنباته على ماثلٍ تَعرَى السيوفُ ولا يعرى،
حمًى لا يخاف الطيرُ فى شجراتهِ قنيصا ولا تخشى الظباءُ به ذُعرا،
وبالحجرِ الملثومِ سمعا وطاعة ونعلم أنْ ما يملك النفع والضرا،:
لأنت إذا صَكُّوا القِداح على العلا أحظُّهمُ سهما وأسرعُهم قَمرا(٢)
وأعلاهُمُ كعبا وأحلاهُمُ جَنًى وأوفاهُمُ عهدا وأرفعُهم ذِكرا
كفاك نجاحُ السعى فى كلّ مطلب همتَ به أن تزجُرَ الأُدْمَ(٣) والعُفرا
بعزمٍ كما أطلقت أُنشوطةَ الحُبَى وجِدٍّ كما نفَّرتَ عن مَربإ صَقرا
رأيتك طودا للخليفة شامخا وسيفا على شانيه يختصر العمرا
إذا عرَضتْ حَوجاءُ كنتَ قضاءَها وإن طرَقتْ غمّاءُ سَدّ بك الثغرا
دعاك لأمرٍ ليس يُحكِم فتلَه سواك وهجّيراك(٤) أن تُبرِمَ الأمرا
فأرسلتَها من « بابلٍ » وكأنما تُقلقِلُ من تحت السروج قَطًا كُدْرا
صدمَت بها الأجبالَ والقُرُّ(٥) كالحٌ تجلّلها ثلجا وتُنعلها صخرا
تَذكّرُ مَرعىً « بالعراقِ » وموردا وهل ينفع المشتاقَ ترديدُه الذكرا

---

(١) سجوف الرقم . ستائر الخز. (٢) قمرا : مصدر قمره — بفتح الميم — لاعبه فى القمار فغلبه .
(٣) الأدم والعفر : — من الخيل والنوق والظباء — البيض والتى لونها كلون العفر وهو التراب .
(٤) هجيراك : بمعنى دأبك وشأنك . (٥) القر . البرد .

إذا رَبأتْ (١) فى قُنَّـــةٍ (٢) خِلت أنهـا ... خُدارِيَّةُ (٣) العِقبانِ طالبـــةً وَكرا

فزاحمن فيها الشُّهب حتى طمعن أن ... يحلِّين منهنّ القلائدَ والعُـــذْرا (٤)

بكلِّ منيفٍ يقصُـــر الطـــيرُ دونه ... ولا تجـد النكباءُ من فوقه مَجرى

وطـودٍ بحـولىّ الجليـــدِ معمَّمٍ ... كما زار لونُ الشيب فى هامةٍ شَـعرا

كأنا كشـــطنا عنـــه جِـلدةَ بازلٍ (٥) ... كسا شحمُه جنبيـــه والمتنَ والظهرا

أقامت به الأنواءُ تُهـدى لك القِرى ... ولم تقتنـــع بالمـاء فاحتلبت دَرَّا

فرشنَ بِكافورِ السماء لك الربَى ... فشابهنَـــه لونا وخالفنَـــه قِشرا

اذا خلَصت منها الجيـادُ رأيتها ... وما خالطت لونا محجَّلةً غُرّا

وقاسمها بُعـــدُ المدى فى جسومها ... فأفنى بها شـطرا (٦) وأبقى لهـا شـطرا

ولمـا دَحَت قُود (٧) الهضاب وراءَها ... ورنّحها طـــولُ القيادِ لها سُكرا،

رمتْ صحصحانَ (٨) "الرِّىّ" (٩) منها بأعين ... تردّد فى أعطافه نظـــرا شَزرا (١٠)

هناك دعا داعٍ من الله مسمِعٌ ... فلبَّاك من ضمَّتْ معالمُها طُـــرّا

يحيُّونِ ميمـونَ النقيبـــةِ ماجدا ... ويَلقون بالتعظيم أعظمَهم قـدرا

---

(١) ربأت : اتخذت مربأ . (٢) القنة : رأس الجبل . (٣) الخدارية : العقاب السوداء . (٤) العذر : جمع عذار وهو ما سال من اللجام على خد الفرس . (٥) البازل : الجمل المسن . (٦) فى الأصل «به» وهو غير واضح . (٧) قود . جمع قائد ؛ وهو المستطيل من الجبل على وجه الأرض . (٨) الصحصحان . ما استوى من الأرض . (٩) الرى : بلدة بفارس ، — والنسبة اليها : رازى . (١٠) النظر الشزر : أن يكون بجانب العين كنظر الغضبان .

ولاقيتَ ربَّ التـاج يرفـعُ حُجْبَـهُ ويطرُد ، ما ناجيتـه ، التيهَ والكِبرا
وحاورتَه حـتى شغفتَ فـــؤادَه ألا ربّمـا كان البيانُ هـــو السحرا
رأى فيـك ما يهواه مجـدا وسؤددا فما كنت إلا فى مجالسه صـــدرا
وحسبُك فخرا ان تجَهّزتَ غاديا فقضَّيتَ أوطار النبوّة من "كِسرى"
مليـــكٌ حمَى الرحمنُ بيضـةَ مُلكه فمـا فى الورى من يستطيع لها كَسرا
كتائبُـــه فى كلّ شرق ومغرب مدرَّعـــةٌ فتـــحا ، مؤيّدةٌ نصـــرا
كَفاه "نظـامُ الملك" أكبرَ همّه وأتعبَ فى آرائه السرَّ والجهـــرا
همـامٌ إذا ما هزَّ فى الخطب رأيَهُ فلا عجبٌ أن يُخجل البيضَ والسُّمرا (١)
إذا هو أمضَى نعمةً قـــد تعنَّست تخيَّر أُخرى من مواهبه بِكرا (٢)
ومن رأيه الميمونِ عقدُ حبـالِه بحبلك حتى قد شـــددتَ به أَزْرا
لئن كنتَ أنت "المشترِى" فى سمائه علوًّا لقد قارنتَ فى أفقه "الشِّعْرَى"
فأصـــبحتُما "كالفرقدَيْن" تناسُـــبًا فأكرِمْ بذا حَمْوًا وأكرم بذا صِهرا
وقضَّيتَ ما قضَّيتَ ثم عطفتَهـا تَبارَى كما ينسابُ فى الشَّعَر المِدرى (٣)
وأُبت كما آبَ الربيـــعُ الى الثرى يَخيـــط على أعطافـه حُلَلا خُضرا
ففى كلّ يوم ما أغبَّ مبشِّر يؤدّى إلى "بغداد" من قربك البُشرى

---

(١) البيض والسمر : السيوف والرماح . (٢) تعنست : طال مكثها بلا زواج حتى خرجت من عداد الأبكار . (٣) المدرى : المشط .

ولما أطمأنّت فى "جَلُولاءَ"(١) عالجتْ بذاك النسيم الرطبِ أكبادَها الحرَّى

فأقسمتَ لا تنفكّ تحت لُبودِها(٢) إلى أن توافى حَلبةَ(٣) القصْرِ والقصرا

وعُجتَ بها تطوِى منازلَ أربعا إلى منزلٍ، يا بعدَ ذلك من مَسرَى!

ولله فينا نِعمةٌ إثرَ نعمةٍ وعَوْدك محروسا هو النعمة الكبرى

فلا كان يومٌ لستَ فى صدره ضُحًى ولا كان ليلٌ لستَ فى عَجْزه فجرا

* * *

وقال يمدحُه ويهنئه بالنيروز الفارسىّ، وأهدَى إليه كُتُبًا عِوض الدرهم والدينار :

وددتُ التصابى فيك إذ كان عاذرى وعاديتُ حلمى إذ غدا عنك زاجرى

ومالى سوى قلبٍ يضلّ ويهتدى فإما الهوى فيه وإما بَصائرى

وإنى لأدرِى أنما الغُنْجُ(٤) واللَّمَى(٥) وبيضُ الطُّلَى(٦) هنّ القذى(٧) فى المحاجرِ(٨)

ولكنّها نفسٌ تروضُ طباعَها بما حملته من عذاب الجآذِرِ(٩)

عدِمتُ فؤادى يبتغى الآنَ رشدَه فهلّا قُبيل الحبّ كان مشاورى!

---

(١) جلولاء : قرية بفارس على بعد سبعة فراسخ من بغداد . (٢) لبود : جمع لبد، وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج . (٣) الحلبة : محلة واسعة فى شرقى بغداد ؛ والقصر : اسم لجملة مواضع ؛ فمنها : قصر الأحمرية فى نواحى بغداد ؛ وقصر أم حبيب بنت الرشيد من الجانب الشرقى من بغداد .
(٤) الغنج : الدلال . (٥) اللمى : سمرة فى باطن الشفة — وهى مستحسنة عند العرب — .
(٦) الطلى : الأعناق . واحدها : طلية . (٧) القذى : ما يقع فى العين فيوجعها .
(٨) محاجر : جمع محجر وهو ما دار بالعين . (٩) الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .

فما بالنا نُعطَى الدنيَّة فى الهوى ... وفى الروع لا نعطَى ظُلامةَ ثائرِ

كأنا جميمُ(١) الروض يقطِف نَوْرَه الـ ... ـباءُ ولا يحـــلو لأُسْـــدِ خوادرِ(٢)

وإنّ انقيـادى طوعَ ما أنا كارهٌ ... يدلُّك أنّ المرءَ ليس بقـادرِ

لواحظُنا تجني ولا علمَ عنـدَها ... وأنفسُـــنا مأخوذةٌ بالجـرائرِ

ولم أرَ أغبَى من نفوسٍ عفائفٍ ... تصـــدّق أخبارَ العيون الفواجرِ(٣)

ومن كانت الأجفانُ حُجّابَ قلبِه ... أَذِنّ على أحشائه للفَـــواقرِ

اذا لم أفـــز منكم بوعدٍ فنظرةٍ ... اليكم، فما نفعى بسمعى وناظرى؟!

وما زال لى عنـــد الظباء ظُلامةٌ ... تُرَدُّ الى قاضٍ من الحبّ جائرِ

لعمرُك مابى فى الصـــبابة حيرةٌ ... تقسّم فكرى بين ناهٍ وآمرِ

تصامتُ عن عذل العذول لأنه آحـ ... ـتجاجٌ لسالٍ وآعتـــذارٌ لعـاذرِ

وكيف بنسيانى الذى حفِظ الصِّبا ... وبات به طيفُ الخيال مسامرى

بلى إنّ بَردَ اليأس يطفئُ حُرقةً ... ولو سُقيت منـــه قلوبُ الهواجرِ

وإنّا اذا ضلّت من "الحَزْنِ" نفحةٌ ... فزِعنـا الى نِشـــدانها بالمناخرِ

أصـعِّد أنفاسى اذا ما تمرّغت ... على تُربه هـوجُ(٤) الرياح الخواطرِ

---

(١) الجميم : النبت الناعض المنتشر . (٢) الخادر : اللازم لعرينه والمقيم به .

(٣) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تقصم الظهر . (٤) هوج : جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت .

وأذكرُ يوما قصَّر الوصلُ عمرَهُ كأنا ٱلتقينا منـــه فى ظلِّ طائرِ

متى غنّت الورقاءُ كانت مدامتى دموعى، وزفراتى حنينَ مَزاهِرِ (١)

خليلىَّ هذا الحُلمُ قد أطلق الأسَى وبثَّ حُبولَ (٢) الشوق بين الضمائر

ولم يبق فى الأحشـاء إلا صُبابة (٣) من الصبر تجرى فى الدموع البوادرِ

فَلَيْـا بأعنـاقِ المطىِّ فربّمـا أصبنا الأمانى فى صدور الأباعرِ

وإن لم يكن فى ربّة الخدر مَطمعٌ (٤) قنَعنـا بآثار الرســوم الدوائرِ

مَرابط أفـراس ومَبرك هَجمةٍ (٥) وملعب ولدان ومجلس سامرِ

وسُـفعٍ (٦) أثافٍّ (٧) كانّ رَمادَها حمـائمُ لكن هنَّ غيرُ طوائرِ

ويا حبّـذا تلك النُّـؤىّ (٨) وليتها تروح خلاخيلى وتغدو أساورى

اذا أنتَ لم تحفَظ عهـودَ منازلٍ فلستَ لعهـد النازلين بذاكرِ

سقاها الذى أضحت ينابيعُ فضلهِ تَمُـدُّ شآبيبَ الغيوثِ البواكرِ

بجودُ "عميدالدولة" العُشبُ والحيا ومقـترَحُ الراجى وزادُ المسـافرِ

كُفيتَ به أن تطلبَ الرزقَ جاهدا على زعمهم بالسـعى أو بالمقـادرِ

---

(١) مزاهر : جمع مزهر وهو العود . (٢) حبول : جمع حبل وهو معروف والمراد الحبائل . (٣) الصبابة : البقية . (٤) الدوائر : البوالى . (٥) الهجمة : قطيع من الإبل ما بين السبعين والمائة . (٦) سفع : جمع أسـفع وسفعاء وهى السـوداء . (٧) الأثافى : جمع أثفية وهى ثلاثة أحجار توضع عليها القـدر . (٨) النؤى : جمع نؤى وهو الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل .

تظَلُّ قَلوص الجُود(١) ترقُص تحتَـهُ اذا حُديتْ يوما بنغمة شاكِرِ

تحدَّثْ ولا تحرَجْ(٢) بكلّ عجيبـــةٍ من البحر أو تلك الخلال الزواهِرِ

فما ذاق طعمَ الريِّ من لم تُسَـقِّه أناملُه من صـــوبها المتواترِ

وكم من كســـير للّيالى قد ٱلتقت عليـــه أياديه ٱلتقاءَ الجبائرِ(٣)

ومنتَهب الجـدوى يُريك سحابُه زمانَ الربيع السكبِ فى شهر "ناجرِ"(٤)

يسـابقُ بالفـــعلِ المقـالَ كأنه يرى الوعدَ فنًّـا من مِطال الضمائرِ

فأنت تراه ماطـــرا غـــيرَ بارقٍ ولست تراه بارقا غيرَ ماطـــرِ

مواهبُ سمّـاها العفاةُ صنائعـا وهنّ نجومٌ فى سمـاء المآثرِ

ملوم على بذل البضائع فى النـدى وما تاجرٌ فى المكرُمات بخاسِرِ

قَطوبٌ وأطرافُ القيانِ عوابثٌ ضحوك وأطرافُ القنا فى الحناجرِ

به ٱزدانت الدنيـا لنـا وتلفّتت الينا الليـالى بالخـــدود النواضِرِ

تعلَّمت الأيامُ منـــه بشاشـــةً أعادت إلى الدهرِ هَشَّ المَكاسِرِ(٥)

يذيبُ السؤالُ شَحمةَ الرفدِ عنده وهل يجُد العنقودُ فى كفِّ عاصِرِ

أبَى أن تهُـــزَّ العُنجُهيَّـــةُ(٦) عِطفَهُ يقيناً بأنّ الكبرَ إحـدى الكبائرِ

ولا عيبَ فى أخلاقه غيرَ أنهـا فـــرائد دُرّ مالهـا من نظـائرِ

(١) القلوص : الفتية من الإبل . (٢) تحـرج : تأثم . (٣) الجبائر : جمع جبيرة وهى عيدان تجبر بها العظام . (٤) ناجر : الشهر الواقع فى صميم الحر . (٥) المكاسر : غضونُ الوجه . (٦) العنجهية : الجفاء والكبر والعظمة .

وما النـاسُ إلا كالبحور فبعضُها عقـيمٌ و بعضٌ معـــدنٌ للجواهرِ
فتعسًا لأقـــدام السُّـعاةِ و راءه ألم ينتهـــوا عنـــه بأوّل عاثرِ!
يُقِـــرُّ له بالفضـــل كلُّ منازع اذا قيل يومَ الجَمع: هل من مُفاخرِ؟
أخو الحزم ليست فى نواحيه فرصةٌ لنُهـــزةِ مغتالٍ ونَفثـــةِ ساحر
اذا ركَضتْ آراؤه خلفَ فائتٍ تدارك منـه غائبـا مثـل حاضرِ
متى تأتِه مستشـــفعا بصنيعهِ اليـــك فقـــد لاقيتـــه بأواصرِ
تتبَّـع أوســاطَ الأمور مجانبـا توَرُّطَ عجـلان ووَنيـــةَ قاصرِ
وقـــد علم النُّزَّاعُ أن ديارَه اذا آنتجعـــوها نِعم دارُ المُهاجرِ
تسلَّوا عن الأوطان بالأبطح الذى يلائم مَرعاه لبـادٍ وحاضرِ
يطاول بالأقـــلام ما تبلغ القنـا (١) و يفضُل أفعـالَ الظُّبَا بالمخـاصرِ
من العصبةِ الغُرِّ الذين سـعودُهم بآرائهـــم لا بالنجوم الســـوائرِ
فوارسُ هيجاءٍ وقولٍ، ركوبُهـم ظهورُ الجيـادِ أو ظهورُ المنـابرِ
يظن الضيوفُ أن دارهمُ "مِنًى" ودهرَهُمُ عيـــدٌ لعُظم المنـاحرِ
وما أوقدوا النيرانَ إلا ليفضَحوا بها الليلَ إن أخفى مسالكَ زائرِ
وقد علمتْ (٢) تلك المكارم والعـلا وقـــد ولدتهـم أنهـا غـيرُ عاقرِ

---

(١) مخاصر: جمع مخصرة وهى عصا صغيرة يشير بها الملك.
(٢) فى الأصل: «أن»، وفى مختارات البارودى «تلك» فرجحناها لوضوح المعنى بها.

أيا "شرفَ الدين" المشرَّف عصرِه ومن حلَّ فيه ، بالعطايا البواهرِ (١)

تناولْ "بنيروز" الأكاسرِ غبطةً تضاحك أفـواهَ الأمانى الفواغرِ

هو اليومُ لا فى حُلَّة الصيف رافلٌ ولا فى سرابيـل الشـتاء بخاطرِ

يكاد لسانَا طِيبـهِ واعتـداله يُبينـان أنّ الدهرَ ليس بجـائرِ

ولما رأيتُ المـال عندك هيِّنـا جعلتُ هـداياه رياضَ الدفاترِ

فإنك من حمـد الرجال وشكرِهم (٢) كثيرُ (٣) الكنوزِ واللُّهَى (٤) والذخائرِ

* * *

وقال يمدحُه، ويشكرُه على تعهّدِه بالعيادةِ من ألمٍ نالَه :

أبَى اللهُ إلا أن تجـودَ وتُنعِـما خلائقُـك اللائى تَفيضُ تكرُّما

لك المثَـلُ الأعلى بكلِّ فضـيلةٍ إذا ملأ الراوى بها النَّجدَ أتهـما

لآلىءُ من بحـر الفضائلِ إن بدت لغائصِها صـلَّى عليها وسلَّما

ولـو ملَكتْها الغانيـاتُ بجيـلةٍ لزنَّ بها جِيـدا وحَلَّين معصـما

وكم لك فى غُمّاتِها من عزيمـةٍ تُسابق بالنصـر الخميسَ العَرمرَما (٥)

يُفـلِّل حدَّاها الحسـامَ مصمِّما ويُخـجِل عِطفاها الوشـيج (٦) مقوَّما

وما الجـودُ إلا ما قتلتَ به اللُّهَى (٤) فلم تُبـق دينارا ولم تُبـق درهما

(١) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل : «الطواهر» ولعلها "الظواهر" . (٢) فى الأصل : «فان يك» وبها لايستقيم المعنى فرجحنا ماوضعناه . (٣) فى الأصل هكذا «كير» (٤) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٥) العرمرم : الكثير . (٦) الوشيج : شجر الرماح .

فما يتعاطاك السحابُ اذا همى ... ولا البحرُ يحكى ضَفَّتيك و إن طما

وهل يقدِر الأقوامُ أن يتكلَّفوا ... مكارمَ قد أعيتْ "سِماكا" و"مرزَما" (١)

نهضتَ بأثقالِ المعالى ولو دُعِى ... إلى حملها العَودُ (٢) الدِّيافيُّ (٣) أرزما (٤)

فسبّان من يبغى عُلاك وطالبٌ ... ليبلغَ أسبابَ السمواتِ سُلَّما

وما المدحُ مستوفٍ علاك وإنما ... حقيقٌ على المنطيق أن يتكلَّما

ألم ترَ أنّ الأرضَ رحبٌ فسيحةٌ ... ونحن نولِّيها قلائصَ (٥) سُهَّما (٦)

أتتنى "عميدَ الدولة" المِنَّةُ التى ... نفختَ بها رُوحا وأحييتَ أعظما (٧)

كأنّ الرسولَ المُسمِعى نَغماتِها ... رسولٌ تلا وحْيًا من الله مُحكما

فأُلبستُ منها صِحّةً هى جُنَّتى ... إذا ما قِسِىُّ الدهرِ فوَّقنَ أسهُما

ودارتْ [بها] (٨) كأسُ الشفاء وعُلِّقتْ ... علىَّ رُقًى منها تُداوِى المتيّما

فقد كدتُ فى عَجزى عن الشكرِ أن أرى ... لسانىَ مجروما (٩) وقلبى مُفحَما

ولكنّها ريحُ الثناءِ إذا جرت ... بذكرِك لم أملِكْ لسانا ولا فما

وأفضالُك الروضُ الربيعىُّ إن دعا ... بزَهرته وُرقَ الحمام ترنَّما

---

(١) السماك والمرزم : كوكبان من أنواء المطر . (٢) العود : الجمل الشديد .
(٣) الديافى : منسوب إلى ضرب من إبل قرية بالشام يقال لها دياف ، وأهلها نبط الشام .
(٤) أرزم : صات من ثقل ما يحمله . (٥) القلائص : الفتيات من النوق . (٦) السهم : الهزيلة المتغيرة اللون . (٧) فى الأصل : « أسنى » . (٨) ليست بالأصل .
(٩) المجروم : المقطوع .

فلا ضحِـك الإصـــباحُ إلا تحلّتَـــهُ ببهجتِـــك الغـــرّاءِ ثغـــرا ومبسِما

ولا دجتِ الظلمـاءُ إلا أعرتَهـا شمـائلَك الغُـــرَّ اللوامـــعَ أنجُمـا

تطيعـك أيام الزمان مصـــيخةً[1] بأسماعِهـا حـــتى تقـــول وَترسُمـا

ســتأتيك من مدحى قوافٍ بديعـــةٌ ينـافس فيهـا الجـاهليُّ المُخَضرَما[2]

وإنى بمنثـــورِ الكـلام لعـالِمٌ ولكنَّ حسـنَ الدرّ فى أن يُنظَّـــما

* * *

وقال يمدحُه :

أبَيْنـا أن نطيعَكُمُ أبَيْنـا فلا تُهـــدوا نصيحتَكُم إلينـا

ركِبنا فى الهـوى خطَـرا فإما لنـا ما قـد كسَبنا أو علينـا

فما تسألُكم عن كلِّ صبٍّ كأنَّ لكم على العشاق دَينـا!

ولـو لم يَرضَ ربُّك ما رضينا لَمـا أنشَا لنـا قلبـا وعينـا

بنفسى رامياتٍ ليس تفنَى نُصـولُ سِهامهنّ اذا رمينـا

كأنّهـمُ أعـدوا للـــرزايا بكلِّ كحيـلةٍ[3] زِيرا[4] وقَينـا

تعوَّضنَ الخيامَ من المطايا وحسبُك بالخيـام قِلًى[5] وبَينـا

ولوّينَ البنانَ فقلتُ زجرا بميعـادى وآمالى لـوَينـا

عجـائبُ فى الصـبابة لو عقلنـا نحبُّ محاسنا فتصير حَيْنَا

---

(١) مصيخة : مصغية . (٢) المخضرم : الذى عاش فى الجاهلية والإسلام. (٣) الزير : الذى يحب مجالسة النساء ومحادثتهن . (٤) القين : العبد . (٥) القلى : البغض .

تسائلُ عن ثُمامات "بُجزَوى" (١) وبانُ "الرمل" يعلم مَن عَنَينا

وقد كُشِفَ الغِطاءُ فما نبالى أصَرَّحْنا بذكرِك أم كَنَينا

ولو أنى أنادى : يا "سُليمَى" لقالوا : ما أردتَ سوى "لُبَينَى"

ألا لله طيفٌ منكِ يسقى بكاسات الردى زُورا ومَينا

مطيَّته طَوالَ الدهرِ جفنى (٢) فكيف شكا اليك وَجًى (٣) وأينا

فأمسينا كأنا ما افترقنا وأصبحنا كأنا ما التقينا

ولولا نُورُ أزهرَ شمَّرِىٌّ (٤) تبلَّج (٥) فى الظلام لما اهتدينا

"عميد الدولة" المعطِى القوافى رُهونَ سِباقهنَّ اذا جرَينا

فتًى يبنى على الغُلَواء (٦) بيتا اذا نزل المقصِّر بينَ بينا

يقول لإبله : مُوتى هُزالاً ولا ترعَىْ بأكناف الهوَينَى

إذا ما السُّحبُ بالأمواهِ سَحَّتْ تهلَّل (٧) عسجدا وهَمى (٨) لُجينا

بكلِّ قرارةٍ وبكلِّ ربعٍ رياضٌ من نداه قد انتشينا

غصونُ مكارم قَيظا وقُرًّا (٩) نُصيب بها ثِمارا يُجتَنَينا

وما سلبَ الشتاءُ الأرضَ إلا تسربلنَ المحامدَ فاكتسَينا

جرَى والسابقُون إلى المعالى بفاء فُوَيقها وأتَوا دُوَينا

(١) الثمام : نبت ضعيف له خوص . (٢) الوجى : الحفا . (٣) الأين : التعب والنصب . (٤) الشمرى : الماضى فى الأمور المجرب . (٥) تبلج : أضاء . (٦) الغلواء : الغلو فى الشىء . (٧) العسجد : الذهب . (٨) اللجين : الفضة . (٩) القر : البرد .

* * *

وكتب إليه وقد عَرَض عليه تقليدَ عملٍ من أعمالِ العراقِ لم يُرضِـه، ويَزرِى على جماعةٍ من العمال :

قـد حصَلنا من المعـاش كما قيـ ـل قديما : لا عطرَ بعد عَروس (١)

ذهبَ القـومُ بالأطايبِ منـــه ودُعينـا إلى الدَّنيّ الخســيس

لا جميـلٌ بمثله يحسُن الذكـ ـرُ ولا عامرٌ خرابُ الكيس

واذا ما عدِمتُ فى الأمر هـذيـ ـن فسـيَّانِ نهضـتى وجلوسى

عُرِضَت قبلَنـا "تَبـالةُ" "للحـ ـجّاج" فآعتافهـا بوجهٍ عَبـوس (٢)

وتولَّى أمر "العـراقين" صالٍ نارَحربٍ تُزْرى بحربِ "البسوس" (٣)

جلسـةٌ فى الجحيم أحرَى وأولى من رحيـل يُفضِى إلى تدنيس

ففـرارا من المـذلّة فى "آ دَمَ" كان الفـرارُ من "إبليس"

أتـرانى مزاحمًـا لأناسٍ قُلِّدوهـا بالسـيف والدبّوس

بين ذى عُجـمة وآخرَ منقـو ـصٍ وذى جِنَّـةٍ وذى تنميس (٤)

وبطينٍ وأبرصٍ وهمـا دا ءانِ غضًّـا من قـدرِ كلّ رئيس

---

(١) مثل يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس . (٢) يشير الشاعر الى تولية الحجاج بن يوسف الثقفىّ على تبالة وهى أول عمل وليه فسار اليها ، فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة ؟ فقال : تسترها هذه الأكمة ، فقال : لا أرانى أميرا على موضع تستره عنى أكمة ؛ أهونْ بها ، وكر راجعا ، فقيل فى ذلك : أهون من تبالة على الحجاج . (٣) أنظر صفحة ٣ شرح ١ (٤) التنميس : التليس .

معشر ليس يبـــلغ الذمُّ فيهـــم حدَّه إن وصـــفتهم بتيـــوس

غايةُ العـلمِ عنـــدهم وتمـامُ الـ ـفضل حسنُ المركوب والملبوس

ما آفتخار الفتى بثـــوبٍ جديدٍ وهو من تحته بعـرضِ لبيس[1]؟!

والغـــنَى ليس باللُّجَيْن[2] و بالتِّبـ ـر ولكن بعـــزّةٍ فى النفـوس

عادة للزمان يَجـــرِى عليهـا أن تصـير الأذنابُ فوق الرءوس

قد حويتُ الذى به ينجح السـعـ ـىُ فمن لى بحظىَ المنحـــوس

و إذا صحَّ لى هوى "شرف الديـ ـن" تولَّى النعيمُ قتـــلَ البـوس

قـد توثَّقْتُ يا صروفَ الليـالى من أياديه فآحمُقى أو كِيسي[3]

لىَ ما شـئتُ روضـــةٌ وغديرٌ ومِـراحٌ من ربعـــهِ المأنوس

* * *

وقال يمدحُه و يهنّئه بعيد الأضحى والمهرجان :

يا صِحـابى وأينَ منّىَ صَحـــبى صرَعتهـــم عيونُ ذاك السَّرِب

يومَ أبدَوا تلك الوجوهَ علمنـا أنمـا يُشهَر السـلاحُ لحَـــرِب

لحظـاتٌ أسماؤهنّ آســـتعارا تُ وما هنّ غـير طعنٍ وضرب

إن أُجبْ داعىَ الهوى غيرَ راضٍ فالصـدَى[4] بالنـداءِ كُرْهًـا يلبِّى

---

(١) اللبيس : الخلق الممزق . (٢) اللجين : الفضة . (٣) كيسى : أى كون كيسة ذات عقل . (٤) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت فيه بمثل صوته .

هل أرى فى السهادِ صُبحًا بعينى ... من أرى فى الرقاد ليـــلا بقلبى
أمـــلٌ كاذبٌ : قِطافُ ثمـارٍ ... من غصونٍ ملتفّـــةٍ بالعصْبِ (١)
كلّمـا رنّح النسـيمُ فـروعَ الـ ... ـبان هزّت أعطـافَها بالعُجبِ
إنّ روضَ الخـدودِ ليس لرعيٍ ... وخمـــورَ الثغور ليست لشُربِ
أرِنى ميتَـــةً تطيبُ بهـا النفـ ... ـسُ وقتـــلًا يلذُّ غـــيرَ الحبِّ
لاتَزُلْ بى عن "العقيقِ" ففيهِ ... وطـــرِى إن قضَـــيتُه أو نحبى
أجميـــلٌ ألّا أزورَ ديارا ... يوم بانوا دفنتُ فيهـا لـــبّى!
لا رعيتُ السوامَ إن قلتُ للصُّحـ ... ـبةِ : خِفّى عنه، وللعيس : هُبّى
وقفـــةٌ بالركابِ تُجمـعُ فيهـا ... فرحـــةٌ لى وراحةٌ للرَّكْبِ
فى كِناس "الأَرْطَى" (٢) (٣) شبيهةُ لعسا ... ءَ حَماهـا العفافُ مثـلَ الحُجْبِ (٤)
يُتمـارَى أهـذه من نِتـاج الـ ... ـوحش أم تلك من بناتِ العُربِ؟!
قبلما آستضحكَتْ لنا ما طمعنا ... أن نرى الدُّرَّ فى الزلال العذبِ
طلعتْ وِجهـةً وقابلهـا البـــد ... رُ فسوّت ما بين شرقٍ وغربِ
كلُّ شىء حسبتُه من تجنّيـ ... ـها سـوى عدّها الصبابةَ ذنبى
وســدادُ رأىُ العـذول ولكن ... ليس يُعفِى الغرامُ من قال: حَسبى!

(١) العصب : ضرب من الثياب يصبغ ثم ينسج . (٢) الكناس : بيت الظبى .
(٣) الأرطى : شجر ثمره كالعناب . (٤) اللعساء : التى فى شفتها سواد — وهو مستحسن عند العرب — .

ربّما أقلع المتيّمُ بالعذ ... ـرِ وزاد آستهامةً بالعتبِ

مثلما آزداد فى الندَى "شرفُ الـ ... ـدين" لجَاجًا على الملام الصعبِ

مشرق الوجه باذل الفـم بالنَّيْـ ... ـل، وحسنُ الغديرِ زهرُ العُشبِ

كاد أن يرفع الموازينَ إعلا ... مًا لَنا أنّ مالَه للنهبِ

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

واهب الخُرّد العطابيلِ والكو ... ـمِ المطافيلِ والعتاقِ القُبِّ

(٧)

وبُدورِ النُّضار أعجلها الطـا ... لبَ تِبرا عن سبكها والضربِ

شرفُ صغّر الذى عظّموه ... من كرامِ أخبارُهم فى الكُتُبِ

غمَس الشكر فى سلاف أياديـ ... ـه فخيّاه باللسان الرَّطْبِ

لا سقَى الله معشرا وهو فيهم ... لم يَرْجُونَ بارقاتِ السُّحبِ!!

(٨) (٩)

عرفَت فضلَه الرجالُ فألقت ... بالمقاليدِ لِلخشاشِ النَّدبِ

(١٠)

طبَعوا بَهرَجَ المعالى ليحكو ... هُ وليس النبيُّ كالمتنبِّى

من له رِحلتا "قريشٍ" الى المجـ ... ـد تؤوبان من علاءٍ بكسبِ

كيف لا يملأ الحقائبَ شكرا ... وهو فى متجَر المكارم يُربى

---

(١) خرد : جمع خريدة وهى المرأة الحيية . (٢) عطابيل جمع عطبول : وهى المرأة الجميلة الطويلة . (٣) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٤) مطافيل : جمع مطفل وهى ذات الطفل . (٥) العتاق : الخيل النجيبة . (٦) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٧) بدور : جمع بدرة وهى كيس توضع فيه النقود . (٨) الخشاش : الشجاع ، وفى الأصل «الحشاش» وهو تصحيف . (٩) الندب : الماضى السريع الى الفضائل . (١٠) البهرج : الزائف .

شنَّ غاراتِه على عازبِ (١) السـؤ ددِ ما يقـترِحْ يحـوز ويَسبي

همـمٌ لا ترَى العـلوَّ علوّا أو تُدلَّى على النجـوم الشُّهبِ

طاعنـاتٌ فروعُها فى الدَّرارِى (٢) ضـارباتٌ عروقُهـا فى التُّربِ

سابقاتٌ وفـدَ الرياح اذا يو مُ رِهانٍ أجراهما من مَهَبِّ

شرفٌ دلَّ حاسـدُوه عليـه ودليـلُ القِـرَى نُباحُ الكلبِ

إنّ هـذا الهمامَ قـد عطَّل الرم ـحَ وأبدَى كَهامـةً (٣) فى العضبِ (٤)

صـقَل الرأىَ بالتجاربِ حـتى هو أنقى مَتنٍ (٥) وأذلقُ غربِ (٦) (٧)

وحَمى فى رِباعـه غابةَ الليـ ـث بتـدبيره وبيتَ الضبّ

ذو هبـاتٍ يُدنى لمحتلبِ (٨) الخيـ ـرِ لَبـونًا (٩) تدرُّ من غـيرِ عَصبِ (١٠)

من صريحٍ يعطيك زبدًا بلا مخـ ـضٍ ويُغنيك عن تعنّى الوَطبِ (١١)

ومتى يعـترضه محتطبُ الشـ ـرِّ يجـدْ عنـده وَقـودَ الحـربِ

أسمرا كالرشاءِ (١٢) يُرسـله الرا مُ (١٣) فى كلِّ طعنـةٍ (١٤) كالجُبِّ

وغَموضَ الحدين من جوهرِ الـ ـموت مُوَلًّى على النفوس لغصبِ

---

(١) العازب : الشارد . (٢) الدرارى : النجوم . (٣) الكهامة : الكل ، يقال : سيف كهام أى كليل غير قاطع . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) المتن : الظهر . (٦) أذلق : أحدّ . (٧) الغرب : الحد . (٨) فى الأصل : «لمجتلب» ، وهو تصحيف . (٩) اللبون : الغزيرة اللبن . (١٠) العصب : شدّ فخذى الناقة لتدر . (١١) الوطب : إناء يحلب فيه . (١٢) الأسمر : الرمح . (١٣) الرشاء : الحبل . (١٤) الرامح : حامل الرمح .

وسَبوحا قَــوداءَ تحتلب الجِـر (١) (٢) يةَ فى حافرٍ كمثلِ القعبِ (٣)

لوذعىٌّ تهيـج منـــه الأعادى قانئَ الظُّفـر من فـؤادٍ وخِلْبِ (٤)

عنـــدَه للأمور أشـفَى دواءٍ وعلاجُ الشـئون خـــيرُ الطِّبِّ

أبدا حزمُـــهُ برغـــم الليـالى غُدَّةٌ أمسكتْ لَهَـاةَ الخَطْبِ (٥)

هو إما الذُّعافُ رقـــرقه الصِّـ (٦) (٧) ـلُّ لحـاويه أو هِنـاءُ النُّقْبِ (٨) (٩)

تقتضِى المشكلاتُ منـه مقالا يتولَّى حـــكَّ القلوب الجُرِبِ

حِـكَمٌ لو أصابهـا حىُّ "عَدوا (١٠) نَ" آدَعوها "لعامرِ بنِ الظَّرِبِ"

إنمـا أنت يا "محمدُ" للنـا س شبيهُ المبعوثِ من "آل كعبِ"

ذاك كان الربيـعَ إذ قَحَط الـ ـدِّينُ وأنت الربيعُ عامَ الجـدبِ

أطلـــعَ الله للخـــلافةِ نجمـا منك عن سعدك المخلَّد يُنبِى

دولةٌ مذ دُعيتَ فيها "عميدا" غَنِيتْ عن عَمودِهـا والطُّنُبِ (١١)

فلهـا السَّـــرحَ بالبسالةِ يحمِى ولهـا الفئَ بالأمانةِ يَجـــى

وإذا رايـــةٌ أُمدّتْ بإقبـا (١٢) لك سارت منصـــورةً بالرُّعبِ

---

(١) السبوح : الفـرس . (٢) القوداء : المنقـادة الذلول . (٣) القعب : القدح الضخم الغليظ ، و يقال : حافر مقعب أى مدور كالقعب . (٤) الخلب : جلباب الكبد أو هو غلاف البطن . (٥) اللهاة : لحمة معترضة فى أعلى سقف الحلق . (٦) الذعاف : السم . (٧) الصل : الثعبان . (٨) الهناء : القطران . (٩) النقب : الجرب . (١٠) عدوان : قبيـلة من العرب منها عامر بن الظرب — بكسر الراء وسكنت هنا للضرورة — وهو من حكماء العرب المشهورين و يقال : إنه أول من قرعت له العصا . (١١) الطنب : حبـل يشد به سرادق البيت . (١٢) كذا فى الأصل ، وفى مختارات البارودى : « صارت » .

كيفَ لم تَلبَس السِّوارَ حُلِيًّا ... فى يدٍ أُولعت بكشفِ الكربِ

قَرَّ عينا بمهرجانٍ وعيـــدٍ ... أتحفا بالحبيبِ نفسَ المحبِّ

لم يُطِقْ واحدٌ قضاءَ أياديـ(١)ـك فوافاك مستغيثا بِتِرْبِ

حَوْلُ هذا مستوفِزٌ لرحيـــلٍ ... وثناءٍ، وطَوْلُ هـذا لقُربِ

جُمعا فى غِـــلالةٍ نسجِ "أيلو(٢) ... لَ"(٣)، لها رقّةُ الفؤاد الصبِّ

فتلقَّ السرورَ من كلّ وادٍ ... وتملَّ النعـــيمَ من كلّ شِعْبِ(٤)

كلّما جادت الليالى بمنٍّ ... منه صابت أيامُهنّ بضربِ

لستُ فيـه أُهدِى هديّةَ مثلى ... بل هداياىَ شكرُ عبـــدٍ لربِّ

أنا لولاك لم أحُكْ بُردةَ الشِّعـ ... ـر ولا كان لؤلئى للثَّقبِ

غـــيرَ أنى إذا زجرتُ القوافى ... فيك خبَّت على طريقٍ لَحَبِ(٥)

والمديحُ العتيقُ(٦) للعِـــرض واقٍ ... والمديحُ الهجينُ(٧) بعضُ الثَّلبِ

قلّ نفعى بما حويتُ فيا ليـ ... ـتَ ذوى الجهلِ يستبيحونَ سَلْبِى

آنظُر المنهـــلَ المصفَّقَ مَورو(٨)ـدًا فأطويه جازئا(٩) بالرَّطْبِ

لِمَ يستنزلُ الزمانُ جدودى ... وهى من عزِّك المنيع بهَضْبِ(١٠)

---

(١) التِّرب : من يولد معك فى سنك . (٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .
(٣) أيلول : اسم شهر من شهور السنة الرومية . (٤) الشعب : الطريق فى الجبل . (٥) اللحب : الواسع الواضح . (٦) العتيق : الكريم . (٧) الهجين : غير الأصيل .
(٨) جازئا : مكتفيا . (٩) الرطب : العشب الأخضر . (١٠) الهضب : الجبل .

أتُرانى مثلَ الكواكب، أبطا هُنَّ سيرا مادار حولَ القُطبِ!
إنهـا عَقْبـــةٌ لضيقٍ تجَـــلَّى ثم تُفضِى الى مجـالٍ رَحبِ

* * *

وقال يمدحه :

ما فاز بالحمـــدِ ولا نالَهْ من عشقتْ راحتُـــه مالَهْ
لا والذى يرضَى لمعـــروفهِ أن يفتح السائلُ أقفـالَهْ
تِرْبُ المعالى من له فى النَّدَى بادرةٌ تُخـــرِسُ سُـــؤَّالَهْ
بفـاجئ الراجى بأوطارِه كأنّه وســـوَس آمالَهْ
مُنيتُـــهُ للطارق المجتـــدى أن يدرُجَ الأرضَ فتُطوَى لَهْ
مثل "عميدِ الدولةِ" المرتقِى بحيثُ أرسَى المجـــدُ أجبالَهْ
ذو الرأى قد شـــدَّ حيازيمَهُ(١) يصـارع الدهرَ وأهـــوالَهْ
اذا عَرا خطبٌ تصـــدَّى له يوقدُ فى جُنحيْه أجـــذالَهْ(٢)
مُصيبُ سهم الظنِّ لا ينطوى غيبُ غـــدٍ عنـــه اذا خالَهْ
كأنَّ فى جنبيـــه ماويَّةً(٣) تريه ممـا غاب أشـــكالَهْ
بازلُ عامينِ ارتضَى وخدَه(٤) فى طَـرْقه العـــزَّ وإقبـالَهْ(٥)

(١) حيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر، أو ما يشد عليه الحزام . (٢) أجذال : جمع جذل وهو أصل الشجرة وغيرها . (٣) الماوية : المرآة . (٤) البازل : الجمل المسن .
(٥) كذا بالأصل ، ويحتمل أن تكون « وإرقاله » معطوفة على قوله : وخده ، والوخد والإرقال : ضربان من السير السريع .

لا يشهـدُ المغـنمَ إلا لكى (١) يقسِمَ فى الغازين أنفالَهْ

إذا زعيمُ الجيش حامَى عـلى (٢) مِرباعـه أنهبَ أمـوالَهْ

فعـادةُ الجـود وإسرافُـه قد كثّرا بالشكر إقـلالَهْ

سامٍ اذا تِهتَ عليه وإن (٣) وادعتَـه طأطأ شِمـلالَهْ

كأنمـا أقسمَ حبُّ العـلا عليـه : أن يُتعِب عُـذّالَهْ

فلا ينُـوا عنـه عتـابا ولا (٤) أقوالهُـم تزجُـر أفعـالَهْ

كم قد عرَتْه من يدٍ أتلفتْ درهمَـه فيـه ومثقـالَهْ

خرَّفَ حتى حقـروا عنـده (٥) مَنْ وزَن المـالَ ومَن كالَهْ

مشتبهُ الأطرافِ ، أعمـامُهُ (٦) يظنُّهـا القـائفُ أخـوالَهْ

إن جذَب الفخرُ بأبرادِهـم (٧) فكلُّهـم يسحبُ سِربالَهْ

فى كلِّ جمعٍ صـالحٍ هـاتفٌ ما يأتـلِي يضربُ أمثـالَهْ

أما ترى الرقشاءَ فى كفِّه (٨) كأنهـا سمـراءُ (٩) ذبّالَهْ (١٠)!

اذا تثنَّتْ فـوق قِرطاسِهـا رأيتَهـا بالفضـلِ مختـالَهْ

---

(١) الأنفال : الغنائم . (٢) المرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .

(٣) الشملال : الناقة السريعة الخفيفة ، والمعنى أنه يذيخها كناية عن تواضعه لمن يوادعه . (٤) ينوا : يفتروا . (٥) كذا بالأصل ولعلها « خرق » بمعنى توسع فى العطاء . (٦) القائف : الذى يعرف النسب بفراسته . (٧) أبراد : جمع برد وهو الثوب . (٨) الرقشاء : الحية — والمراد بها القلم على التشبيه — . (٩) يريد بالسمراء قناة الرمح . (١٠) ذبالة : دقيقة .

فتـارةً تشـفِى بِدِرياقِهـا وتارةً بالسُّـمِّ قتّـالَهْ

ينفُثُ فى أطرافِهـا رُقيـةً تعـالجُ الـسِّعىَّ وأغـلالَهْ

قد صيَّرت "سحبانَ" فى "وائلٍ" (١) كأنّـه عَجـماءُ صَلصالَهْ

لا رجَعتْ نُعماه حَسرَى كما راجعَ هـذا القلبُ بَلبـالَهْ

عاودَه من دائه نَكسُهُ من بعد أن شارف إبلالَهْ

ولو صحا طـورا لعنَّفتُـه فى حبّـه بيضاءَ مِكسالَهْ،

أو رشأً قـد لثَّمـوا وجهَـه فجاء مثلَ البـدر فى الهـالَهْ

أبعْـدَ ما عمَّم كافورُهُ رأسى وأعفَى الرأسُ صَقّالَهْ؟،

أجيبُ طيفا زار، عن زورةٍ وأسأل الربـعَ وأطـلالَهْ

ويطرُدُ التحصيلَ من خاطرى صهباءُ أو صـفراءُ سلسالَهْ

وليس خِدْنى بالهِـدانِ (٢) الذى هجوعُـه يألفُ آصالَهْ

لا يترجَّى الضيفُ إمراعَـهُ ولا يخـاف الجـارُ إمحـالَهْ

لكنّه الأشعثُ (٣) فى سِربِهِ يحـدو إلى العلياء أجمـالَهْ (٤)

يبيت ضبُّ القاع من خوفِهِ مستثفرا (٥) دهمـاءَ شـوّالَهْ

---

(١) العجماء : البهيمة ، والصلصالة : المصوتة .

(٢) الهدان : الوخم الثقيل .

(٣) الأشعث : المغبر شعر الرأس .

(٤) أجمال : جمع جمل وهو معروف .

(٥) مستثفرا : أى واضعا تحت ذنبه ، والدهماء الشوالة : العقرب ، لأنها تشول بذنبها أى ترفعه . وتزعم العرب أن الضب يستثفر العقرب فاذا أدخل الحارش يده فى جحره لصيده لسعته .

أشهَى له من قَينـــةٍ مطربٍ (١) عناقُـــهُ جرداءَ صَـــهَّالَهْ (٢)

قـــد عاشر الوحشَ بأخلاقه وباين الحيَّ وجُهَّـالَهْ

كلٌّ له فى ســـعيهِ مَذهبٌ وكلُّ عيشٍ فـــله آلَهْ

وهذه الأيامُ إن حُقِّقت شرّابَـــةٌ للخـــلقِ أكَّالَهْ

* * *

وقال فيه ولم يتمها :

أكرِمْ بوجه الراكبِ المُعنِقِ (٣) يخـــبرُنا : أنَّا غدًا نلتـــقِ

حجـابُ قلبى فُـــزْ بهِ خلعـــةً فتحفـــةُ البشرَى على الشـــيِّقِ

تُراهُمُ زمُّوا بحمـــلِ الصَّـــدَى رسالةَ العـــانى الى المطـــلَقِ؟

وٱستفهموا الطيف وقالوا له : تعـــلَمَ (٤) من عشَّاقِنا مَـــن بقِى؟

أنا الذى ضمَّتْ غَداةَ "النقا" حبـــائلُ الأسرِ ولم أُعتـــقِ

وكلَّما أثبتَ راميهـــمُ أسهمَـــه قلتُ له : فَـــوِّقِ (٥)

ما أحذقَ الطاهى الذى عندكم أنضـــجَ بالنـــار ولم يُحـــرِقِ

ليس الحَمَى إلا بسُـــكَّانِه والشـــمسُ منها بهجةُ المَشرِقِ

---

(١) القينة : المغنية . (٢) الجرداء : الفرس قصيرة الشعر . (٣) المعنق : الذى يسير العنق وهو ضرب من السير السريع . (٤) يريد : أتعلم بحذف حرف الاستفهام .

(٥) فوق السهم : سدّده .

علىّ عَقْرُ البُدْن (١) إن أصبحت خيامُهم وهى رُبَى "الأبرقِ"
مثـــل الأَداحىّ (٢) وبيضاتُها تُحضنُ بالأبيضِ والأزرقِ (٣)
يا ماتحَ المـاءِ عِدمتَ الرَّوَى من جَفْر (٥) هذا القَلبِ كم تستقِى ! !
من شيمة المـاءِ انحدارٌ فـلِمْ ماءُ فـؤادى أبدا يرتـــقِ
تحسبُ فى أجفانىَ السُّحبَ أو جودَ "عميدِ الدولة" المغـدقِ

* * *

وقال فيه أيضا :

لستُ أقضِى إذا رأيتُـــك نَذرا غيرَ نثرى عليـك حمـدا وشـكرا
وثنـاءً إذا تلقَّطـــه السمـ ـعُ تحـلَّى فى موضع القُـرط (٦) دُرَّا
مالئٌ قلبَ من يواليـــك إطـرا با وأُذنَ الذى يعـاديك وَقْـرا (٧)
ليس لى من فضيلةٍ فيـه إلا أننى أُلبِس القـلائدَ نحـرا
أتلـقَّ بحسن أخلاقـــك الغُـ ـرَّ شـبيهاتهنّ وجهًـا أغرَّا
فكأنى إذا تمضمضَ بالمـد ح لسـانى أديرُ فى الفمِ خمـرا
كلُّ هـذا جَهـدُ المقلِّ وما قـ ـصَّر من يبتنى لمجـدك ذِكرا

---

(١) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدّم للنحر . (٢) أداحى : جمع أدحى وهو مجثم النعامة تبيض فيه . (٣) الأبيض والأزرق : يراد بهما ريش جناحى النعامة . (٤) الماتح : مستخرج الماء من البئر . (٥) الجفر : البئر الواسعة . (٦) القرط : الحلق . (٧) الوقر : الصمم .

لا يزور الرقادُ عينا إذا سِـــر ... تَ ولا يسكن الفؤادُ الصـــدرا

كيف لا تقشعِرُّ أرضٌ إذا أعـ ... ـرضتَ عنها وآستأنستُ بك أخرى

تستطيل الأوقاتَ حتى ترى السا ... عةَ حَوْلا وتحسَب اليـــومَ شهرا

لو أطاقت سعيا إذا زُلتَ عنها (١) ... لغدت فى أوائل الركب حسرى

أنت روحٌ لها ولا يعـمُر الجثـ ... ـمانُ إلا ما دام للروح وَكرا

إنما تعـــدَم البِـــلادُ متى غبـ ... ـتَ ضياءَ الآفاق شمسًا وبدرا

وسحابا للجـود يرعُـــد وعـــدا (٢) ... ثم يَنـدَى كفًّا ويَبرُقُ بِشرا

فاذا ما أقمتَ أصـــبحنَ خُضرا ... واذا ما ظعنتَ أمسين غُبْرا

نغفِـرُ الصـــدَّ للحبيب ولا نقـ ... ـبلُ منـــه عـــلى التباعُد عُذرا

يتمنَّى المحبُّ قـــربا ووصـــلا ... فاذا فاتَه فقـــربا وهَجـــرا

لا ترُعنا بِغُـــربةٍ (٣) بعـــدُ ؛ إنَّا ... ليس نُعطَى على التفرّق صـــبرا

إن ســـقانا إيابُك اليـــومَ حُلوا ... فبما أسقت النـــوى أمسِ مُرّا

غـــيرَ أنَّا إذا الســـلامةُ حاطتـ ... ـك وسِعنا الزمانَ عفـــوا وغَفْرا

---

(١) حسرى : معيية .

(٢) فى الأصـــل : « نشرا » .

(٣) فى الأصل « لا شرعنا بعزمة » والسياق بها غير ملتئم .

* * *

وقال يمدحُهُ، ويهنئه بعَوده من خراسان، وهى آخرُ شعرٍ قاله رحمه اللهُ :

ما ذا يَعيبُ رجالُ الحىِّ فى النادى ... سوى جنونى على أُدمانةِ(١) الوادى؟!

نَعْم هى الزادُ مشغوفٌ بهِ سَغِبٌ(٢) ... والماءُ حامت عليه غُلَّة الصادى

يا صاحبى أنتَ يومَ الرَّوع تُنجْدنى ... فكيف يوم النوى حرَّمتَ إنجادى

وما سلكتُ فِجاج الحبِّ معتزما ... حتى ضمِنتُ ولو بالنفس إسعادى

من أين تعلَمُ أنّ البينَ وخزَتُه(٣) ... فى القلبِ أسلمُ منها ضربةُ الهادى!

لادَرَّ دَرُّك إن ورَّيتَ عن خبرى ... إذا وصلتَ وإن أشمتَّ حُسّادى

قُلْ للمقيمين " بالبطحاءِ " إنَّ لكم ... " بالرقَّتين " أسيرا ما له فادى

بين العواذل تطويه وتنشُره ... مثلَ المريضِ طريحا بين عُوَّادِ

ليتَ الملامةَ سدَّت كلَّ سامعةٍ ... فلم تجد مسلَكا أُرجوزةُ الحادى

أكلِّف القلبَ أن يهوَى وأُلزمه ... صبرا، وذلك جمعٌ بين أضدادِ

وأكتُم الركبَ أسرارى وأسألهم ... حاجاتِ نفسى، لقد أتعبتُ رُوّادى

هل مدلجٌ(٤) عنده من مُبكرٍ خبرٌ ... وكيف يعلم حالَ الرائح الغادى؟

وإن رويتُ أحاديثَ الذين نأَوا ... فعَنْ نسيم الصَّبا والبرقِ إسنادى

---

(١) الأدمانة : الظبية التى أشرب لونها بياضا . (٢) السغب : الجائع .

(٣) الهادى : العنق . (٤) المدلج : السائر بالليل ، والمبكر السائر فى بكرة النهار .

قالوا : تعوّض بغزلان "النقا" بدلا أمقنعى شِـبْهُ أجيادٍ لأجيـاد؟

إن الظبـاءَ التى هام الفؤادُ بهـا يَرعَينَ ما بين أحشاءٍ وأكبادِ

سَكَنَّ من أنفس العُشّاق فى حَرَمٍ فليس يطمع فيهـا حبلُ صـيّادِ

هيهات لا ذقتُ حُلوا من كلامكمُ قـد بان غدركُمُ فى وجه ميعادى

ولا جعلتُ اللّى وِرْدى وقد ضمنتْ غمامةُ الجود إصـدارى وإيرادى

فى "شَرَف الدّين" عن معروفكم عِوضٌ كرامةُ الجارِ والإيثـارُ بالزادِ

للطارقِ الحكمُ فى أعناقِ هَجمتِـه (١) ولو تقرّاه (٢) ذئبُ الرَّدهـةِ (٣) العادى

نادتْ : هلمَّ الى الشِّيزَى (٤) مكارمُهُ فنُبِّن فى الليـلِ عن نارٍ ووقّادِ

يَشفِين من قَرِمِ (٥) الضِّيفانِ عند فتًى لا يزجُرُ السيفَ عن عُرقوبِ مقحادِ (٦)

مباحُ أفنيةِ المعـروفِ ليس له بابٌ يعـالجه العـافى بمِقـلادِ (٧)

فلا وكاء (٨) على عينٍ ولا ورقٍ (٩) ولا رِعاء (١٠) لأزرابٍ (١١) وأذوادِ (١٢)

أجدَى فلم يرَ ذُخرا فى خزائنـه إلا قنـاطيرَ من شكرٍ وإحمـادِ

فى كلّ يومٍ يُرينـا من مواهبـه بِرًّا غريبا وفضـلا غيرَ مُعتـادِ

(١) الهجمة : من الإبل ما بين الأربعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى "هنيدة" .
(٢) تقراه : طلب قراه . (٣) الردهة : النقرة فى الصخرة . (٤) الشيزى : القصـعة .
(٥) القرم : شـدّة النهم الى أكل اللحم . (٦) المقحاد : الناقة العظيمة السـنام .
(٧) المقـلاد : المفتاح . (٨) الوكاء : حبـل تربط به القربة .
(٩) العين والورق : الذهب والفضة . (١٠) رعاء : جمع راع . (١١) أزراب : جمع زرب وهو موضع الماشية . (١٢) أذواد : جمع ذود وهى الإبل .

شريعةٌ فى النّدى ضلوا فدلّهُمُ ... على مناهجها خِرّيتُها(١) الهادى

قاضى اللّبانةِ لم يفطِن لها أملٌ ... كأنّه لهــوى العافى بمرصادِ

له قِبابٌ بطيب الذكرِ شــيّدها ... فما دُعمنَ بأطنابٍ وأوتادِ

يا بحرُ إن شئتَ أن تحكى مواهبَهُ ... فدع مَخُوفَيْكَ من هَيْج وإزبادِ

قد ساجمَ(٢) العارضَ(٣) الهامى وزايدَه ... حتى آستغاث بإبراق وإرعادِ

لله أىّ زلالٍ فى مَزَادتِهِ(٤) ... والظّــمءُ يَخلِطُ فُرّاطا(٥) بُوَرّادِ

أُنظــر اليه ترى من شأنِهِ عجبا ... زِىَّ الملوك على أخــلاقِ زُهّادِ

إن قال قومٌ : له مِثْلٌ، يقلْ لهُمُ ... من ماثلوه به : جئتم بإلحادِ

لا تكذُبنّ فهذا الشخصُ من نفرٍ ... لم يخلُقِ اللهُ منهــم غــيرَ آحادِ

شرائطُ المجد كلٌّ فيــه قد جُمِعتْ ... جمعَ حروفِ التهجّى فى "أبى جادِ"

أرِحْ بنانَك من حُسبانِ سؤددِه ... إن الكواكبَ لا تُحصَى بأعدادِ

وهل يفوت المعالى من أحاط بها ... بنفســه وبآباءٍ وأجــدادِ؟

اذا الفخارُ رمَى الفُتيَــا الى حَكَمٍ ... وافَى ينــافر أمجــادا بأمجادِ

على المهابةِ قــد زُرّت بَنائقُــه(٦) ... كأنّه لابسٌ لِبــداتِ آســادِ

---

(١) الخريت : الدليل . (٢) ساجمه : عارضه فى انسجامه . (٣) العارض : السحاب المعترض . (٤) المزادة : وعاء يحمل فيه الماء . (٥) فراط : جمع فارط وهو الذى يتقدم القوم الى الورد لإصلاح الحوض . (٦) البنيقة : زيق القميص الذى ينفتح على النحر .

لذاك صُـــعِّر خـــدٌّ غيرُ منعفرٍ ... له وخرَّ جبينٌ غـــيرُ سجَّادِ

تطأطأ المجـــدُ حتى صار فارسَـــه ... ثم آشمخرّ فـــلم يلطأ لصـــعَّادِ (١)

فكيف لا ترهبُ الأعداء نقمتَه ... و بطشُها كصنيع الريح فى "عادِ"

صوارمٌ من صواب الرأى يطبعها ... وصانعُ المكرِ يكسوها بأغمـادِ

اذا آنتُضينَ وما يَظهرنَ من لَطَفٍ ... فزقن ما بين أرواح وأجسادِ

وللكايد ســـيفٌ غـــيرُ منثلمٍ ... وللخـــدائع رمحٌ غـــيرُ منآدِ (٢)

فى أيِّمـا جانبٍ من حزمِه نظـروا ... لم يجـــدوا مطلعا فيـــه لأفنـادِ (٣)

تخافُ عزمتَه الإبلُ التى خُلقتْ ... أخفافُهنَّ لتهجـــيرٍ وإسآدِ (٤)

وتتقيـــه العِتـاق القُبُّ سـائمةً ... تطويحَها بين أتهـامٍ وأنجادِ (٥)

أليس ناظمها عِقـــدا له طَرَفٌ ... "بالرىّ" والطرفُ الأقصى "ببغدادِ"

مكلَّفات بسـاطَ الدوّ تمسَحه ... بأســـؤقٍ وبأعنـاقٍ وأعضـادِ (٦)

كأنَّ آثارَ ماداست حوافرُها ... دراهمٌ بَدَدٌ (٧) فى كفِّ نقَّـادِ

طورا تَسـامَى على يافوخِ شاهقةٍ ... بها السمواتُ ظُنَّتْ ذاتَ أعمادِ (٨)

---

(١) يلطأ : يلصق بالأرض . (٢) المنآد : المنثنى . (٣) أفنـاد : جمع فنـد وهو الكذب . (٤) التهجير : السـير فى وقت الهجيرة ، والإسآد : السـير بالليـل . (٥) القب : الخيل الضامرة البطون ، واحدها أقب وقباء . (٦) الدوّ : المفـازة . (٧) بدد : متفرقة . (٨) اليافوخ : الموضـع الذى يتحرك من الطفل فى أعلى الرأس .

وتارةً ترتمى فى صفصفٍ (١) قُـذُفٍ (٢) للآلِ (٣) يُكذَب فيـــه كلُّ مُرتادِ

حتّى شَـتَيْنَ "بنيسابورَ" باليـــةً إلا عِظـاما مُواراةً بأجـــلادِ

فى شَـتوةٍ شَمِطَ الليـلُ البهيمُ بها تُضاحِك الريحَ ماهبَّتْ بصَـــرَّادِ (٤)

كأنَّ فى أرضها أنْسَـاجَ قِبْطِيَـــةٍ (٥) أو السماءَ آســتعارت بَرْسَ نَجَّادِ (٦)

يا من يشاوَرُ فى قُرب وفى بُعُـدٍ ومن يُعَـــدُّ لإصلاحٍ وإفســادِ،

إن الامامَ مذ آســترعاك دولتَـهُ غَنِى برأيك عن تجهيزِ أجنـادِ

إن مرِضَتْ ليـلةً عُمىٌ كواكبُها قـدحتَ فيها بزَندٍ غيرِ صَـلَّادِ (٧)

فهذه الأرضُ قد عَجَّت بدعوتهِ، فى كلِّ قُطرٍ خطيبٌ فوق أعوادِ

عـونٌ من الله لم يَشهد وقيعتَـه إلا كتائبُ توفيـــقٍ وإرشادِ

وحسنُ تدبـيرك المُردِى أعادِيَهُ مقـرَّنين (٨) بأغـــلالٍ وأصـــفادِ

فأىُّ فـــظٍّ عليهـا غيرُ منعطفٍ وأى صعبٍ حرونٍ غيرُ منقادِ

وفى "خراسانَ" قد شِيدتْ مآثره أرَّخَهـا صـيتُها تاريخَ ميـــلادِ

بين الخليفـةِ والمَلْكِ المطيـعِ له أبـرمتَ وصـــلةَ أولادٍ لأولادِ

---

(١) الصفصف : المطمئن من الأرض . (٢) قذف : بعيد يتقاذف بمن يسلكه .

(٣) الآل : السراب ، وفى الأصـل « الأهل » وهو تحريف ؛ و يكذب : يسوء سيره .

(٤) الصراد : الريح الباردة . (٥) القبطية : ثياب من كتان تنسج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس . (٦) البرس : القطن . (٧) الصلاد : — من الزناد — غير المورى . (٨) مقرنين : مشدودين بالقرَن وهو الحبل .

شمسٌ وبدرٌ لويتَ العَقـدَ بينهما ... لولا الشريعـةُ لم يـوثَق بإشهادِ

فليس كالصِّهر فى سهلٍ ولا جبل ... وليس كالحمـو فى حَضْرٍ ولا بادِ

فياله شـــرفا أحرزتَ غايتَـــه ... فلم تدع فضـــلةً فيـــه لمرتادِ

وما بلوغُـــك فى العليـاء آخرَها ... بمـانعٍ كَرَّةَ المســـتأنِف البادى

تسومنى أن أُنـير(١) القولَ فيك وما ... يُغنى المرقَّشُ(٢) من تفـويف(٣) أبرادِ

بل كلُّ مدحك أمرٌ(٤) ليس من حِيلى ... وكنْهُ وصفك ثِقلٌ ليس فى آدى

إنَّ القوافى وإن جاشت غواربُها(٥) ... لا يُستطاع بها تحـويلُ أطوادِ

فإن رضيتَ بميسـورى فهاءِ حُلًى ... مَصُوغة بين أفكارى وإنشادى

فلن تعوزَ يدَ الغوَّاص من صدفى ... فـريدةٌ وُسِّطتْ فى سِلك عقَّادِ

أُعابُ بالشـعر لا أبغى به عِوضا ... ولا يُعـاب أناسٌ غيرُ أجـــوادِ

لكنّنى فى أناسٍ إن سألتُهُـمُ ... لم يعرفوا الفرق بين الظاء والضادِ

ما دمتَ سمعا وعينا فى الزمان لنا ... فكلُّ أيامِـــه أيامُ أعيـاد

* * *

وقال يمدحُ زعيمَ الرؤساء أخاه وهو يتولَّى الديوان :

صـبَّحها الدمـعُ ومسَّاها الأرقْ ... هل بين هـذين بقاءٌ للحَـدَقْ؟!

لا متعـةً بالظـبى عَنَّ غاديا ... ولا خِداعا بالخيـال إن طَـــرَقْ

(١) أنير : أجعل له نيرا وهو هدب الثوب ولحمته ، فاذا نسج من نيرين كان أصفق . (٢) المرقش : المزخرف . (٣) التفويف : تخطيط الثوب . (٤) الآد : القوة . (٥) الغارب : معظم الماء .

إن ضحِك البرقُ من "الحَزْنِ" رنا ... أو فاحت الريحُ من "الغور" نشِقْ

كم ذا على التعليـــل تحيـا مهجةٌ ... بمُـــديتَيْ بينٍ وهجـــرٍ تُعـــتَرَقْ (١)

ليت الذى عَذّبَ إذ لم يُعفِـــه ... من مسّـــه بالضُّـــرِّ وانَى ورَفَقْ

ميّـالةَ الأعطافِ، ما فاتكِ من ... غصونِ بانات "الحمى" إلا الورَقْ

لو ثبتَ السهمُ الذى أرســـلتِه ... فى القلبِ وافقتُكِ لكن قد مرَقْ

جمعتم الســـرَّاءَ والضـــرّاءَ لى ... فأنتمُ كالمـاءِ رَىٌّ وشَـــرَقْ

كان ٱتفاقا ولَعى بســـربكم ... وشـــرُّ أحداثِ الليـالى ما ٱتفقْ

لم أدرِ أنّ من حُداة ظُعْنِكم (٢) ... أو سـائقيهنّ غـــرابا قـــد نَعَقْ

هبْ أنّ طَرفى أسرَته بينـكم ... حبـائلٌ، فٱنظر عُيَيْناتِ الخَرِقْ (٣)

وخُذْ لمن عَنَيْتُ منّى سِمـــةً ... لألأةَ البـــدر إذا البدرُ ٱتســـقْ (٤)

ولا تَعَـــرَّضْ لعـــلاجى إنمـا ... يَشفِى من الحبِّ الذى يَشفِى الوَلَقْ (٥)

علَّ الغـــرامَ نازلٌ عن صهـوتى ... إن لِمّتى (٦) الدهمـاءُ (٧) شِـيبت بالبَلَقْ (٨)

يصنَعُ لونُ الشَّـيبِ بالشباب ما ... يصنع بالجـــلدةِ توليعُ (٩) البَهَـــقْ (١٠)

---

(١) تعترق : يؤخذ ما عليها من اللحم نهشا . (٢) ظعن : جمع ظعينة وهى الإبل التى يحمل عليها . (٣) الخرق : ولد الظبية . (٤) اتسق : انتظم واستوى . (٥) الولق : الجنون . (٦) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٧) الدهماء : السوداء . (٨) البلق : سواد وبياض . (٩) التوليع : البرص . (١٠) البهق : بياض يظهر على بشرة الجسد .

قلتُ : ظـلامٌ طلعتْ أنجُـــهُ (١) فمـا آعتذارى إن بدا ضوءُ الفَلَقْ

أليس بَردُ اليأسِ لو وَســـعتُه (٢) أطفأَ من تســـويف آمالى حُرَقْ

مهلا فمـا دون الأمانى هَضبـــةٌ تزداد بالحِرص آرتفـاعا وزَلَقْ

لو جُلتَ حولَ الفـلَك الدّوّار لم (٣) يزددْ نَقـــيرا فوق ما اللهُ رزَقْ

عش بطفيفِ القوتِ سَدّ جَوعةً (٤) والقطرةِ الكدراء والثـوبِ المِزَقْ

وساوِ ربَّ التـاج فى سـلطانهِ من يُعتِـق الأطماعَ منهنّ عَتَـقْ

وعاشر النـاسَ بلا تصـــنُّع لا جفوة الهَجرِ ولا زُور المَـلَقْ

وآدعُ "زعيمَ الرؤساء"، يستجِبْ أروعُ نهّـاضٌ بمـا جلَّ ودقّْ

لا تطمع الأنفـالُ أن (٥) تؤودَه (٦) والدُّ فى اللُّجـة لا يخشَى الغـرَقْ

أضحت صروفُ الدهرِ فى سطوتهِ (٧) ملزوزةً (٨) لـــزَّ البِطان (٩) بالحِـــلَقْ

معتـــدل الشيمة حتى إبْـــلُه (١٠) سِيرتُها بين الرسـيم والعَنَـــقْ

لا شَـــيبة الحـلمِ كسته وَنيـــةً (١١) ولا شبابُ السنّ أعطاه النَّزَقْ

---

(١) الفلق : الصـباح — والمراد من كل ما تقـدم وصف آشـتعال الرأس بالشيب .

(٢) وسعته : أطقته . (٣) النقير : النكتة فى ظهـر النواة . (٤) المـزق : جمع مزقة وهى القطعة من الثوب ، و يقال : ثوب مزق باعتبار أجزاءٍ . (٥) كذا فى الأصل ، و يحتمل أن تكون " الأثقال " ؛ والأنفال : جمـع نفل وهو ما يفعل مما لا يجب فعـله من العطاء .

(٦) تؤوده : تثقله . (٧) ملزوزة : ملاصقة . (٨) البطان : حزام القتب يجعل تحت بطن الدابة . (٩) حلق : جمع حلقة وهى كل ما استدار . (١٠) الرسيم والعنق : ضربان من السير . (١١) الونية : الفتور والضعف .

قُضِى لـــه بالســـبق فى وِلاده ... والمهرُ بالعِـتق يُرى فيـه السبَقْ

رقَى المعـالى رتبـــةً فرتبـــةً ... كالعِقـد يعلو نظمه على نســـقْ

يبسِم بِشـــرا مازجتْه هيبـــةٌ ... تطلُّعَ النَّصلِ (١) من الغِمد الخَـــلَقْ

لم تُمطر السحبُ ولكن خجِلتْ ... من جوده حتى نضحن بالعَـــرَقْ

وأينَ منها راحـــةٌ مَصيفُها ... مثـلُ الشتاء يهمُر المـاءَ الغـدِقْ

كالخمـر للشارب كيف شاءها ... تصـــرَّفت مصطَبحا ومغتبَـق

ما زال يُفنى الحمـــدَ بآبتياعه ... حتى غلا فى كلّ ســـوقٍ ونفَقْ

وكلّما أســـرف فى صِـفاته ... مادحُه ، قالت معاليه : صـدَقْ

شـــمائلٌ وبهجـــةٌ مومـوقـــةٌ (٢) ... والحسنُ بالأخلاقِ ثم بالخِـــلَقْ

نصرا " أبا القاسم " قد تبرَّجَتْ ... أمُّ اللُّهَيْم (٣) حـاملا بنتَ طَبَـــقْ (٤)

فى مثلها رأيُك أذكَى زَنَدَهُ (٥) ... أو تجلى عنها دُجُنّـات الغَســـقْ (٦)

ســـهلٌ على رأيك وهو ســاحرٌ ... تقويمُ ما أعوجَّ ورتقُ ما آنفتقْ

قد أمكنتك فآنتهزها فرصـــةٌ ... بالشكر، والشكـرُ لذيذُ المعتنَقْ

" بنى جَـــهيرٍ " أنتمُ درعى، إذا ... رمَى الزمانُ بدواهيـه رشَـقْ

رميتُ من دون الأنام مِقودى ... إليكمُ طوعا وقطَّعتُ العُـلَقْ

(١) النصل : حد السيف . (٢) موموقة : محبوبة . (٣) أم اللهيم : الداهية .
(٤) بنت طبق : الداهية أيضا — والمعنى أن الداهية تستتبع الداهية . (٥) أذكى : أنار .
(٦) دجنات الغسق : ظلمات الليل .

فلا أكون بينكم "عُطاردا" لقربه من كُرة "الشمس" آحترقْ
لا رعَت الأحداثُ فى حِماكُمُ ولا رأت نجومُها ذاك الأفُقْ
إن حزتم العليـاء عن آخرها بسعيكم فهو دُونَ المستحقّ

* * *

وقال يمدحُه أيضا، ويهنئه بالنيروز :

وعيشكم لا وردَ الحُـوَّمُ مناهلا غُدرانُها تبسِـمُ
ولا رعت هُمَّـلُ[1] أبصارِهم فى روضـةٍ نُوّارُها أسـهمُ
رويدكم إن الهوى مَعرَكٌ يُعدَم فيـه الأجرُ والمغنمُ
وإنما تأويلُنا أنّـه يحِـلُّ للمضـطر ما يحـرُمُ
إنّ أبيّاتِ النفوس، التى أحلَى مناها الحادثُ الأعظمُ
نخوضُها فى غَمراتِ الهوى لأنّـه ينـدُرُ فيها الدَّمُ
من ذا الذى أفتَى عيونَ المها بأنّ ما تُتلِف لا يُغـرَمُ!
ساروا بقلبى دون جسمى فما تنفعنى الجـلدةُ والأعظُـمُ
وآستعذبوا ظلمى فمن أجلهم أستغفر اللهَ لمن يظـلِمُ
ما ضرّهم لو سـفَروا ريثما يَقْبَـلَ عُذرى فيهـم اللـومُ
قال لىَ الأحـورُ من بينهـم وما بـه الأجـرُ ولا المـأثمُ: ،

(١) الهمل : جمع هامل وهو المتروك فى المرعى ليلا ونهارا .

داؤك هذا مَن جناه ومَن ... يُبرئه؟ قلتُ : الذى تعـــلَمُ!

كم فى خيام البَـدوِ من ظبيةٍ ... سِـــوارها يُشـــبعه المِعصَمُ

حاذرت العَينَ فما إن تُرَى ... وخافت الســـمعَ فما تَبـغِمُ (١)

لو فاخرتْ فى الليل بدرَ الدجى ... لكان بالفضل لها يُحكَمُ

لأنها قـــد فتنَتْ قومَها ... والبـدرُ لم تُفتَن به الأنجُمُ

ما أصعبَ الإذنَ على منزلٍ ... بوّابُه الخَطّـــىّ (٢) واللَّهْـــذَمُ (٣)

لا بِرِح الوسمىّ (٤) عن أرضهم ... ولا نأَى عن جوّها المِـــرزَمُ، (٥)

أو أُبصرَ الكُثبانَ (٦) قد ظُلِّلتْ ... رَقْـمًا (٨) كما يصطنع المُحـــرِمُ

وبلَّـــغ اللهُ المـــنَى فتيـــةً ... ندامُهم فى الصبح لا ينـدمُ

عاطيتهـــم صهباءَ (٩) داريّةً (١٠) ... قالوا : وأين الصابُ والعلقمُ

عزُّوا فلو تفقِـــد أذوادُهم (١١) ... حامِيَها (١٢) خفَّرها المِيسَـــمُ (١٣)

---

(١) بغمت الظبية : صاتت . (٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين واليه تنسب الرماح لأنه مبيعها لا منبتها ، يقال رماح خطية على الوصـف ، و رماح الخط على الإضافة — . (٣) اللهذم : القاطع من السيوف . (٤) الوسمى : أول المطر .

(٥) المرزم : كوكب من أنواء المطر . (٦) كثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل .

(٧) فى الأصل « طلت » وهو تحريف . (٨) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز .

(٩) الصهباء : الخمر . (١٠) الدارية : منسوبة الى دارين وهى فرضه بالبحرين يحمل اليها المسك من الهند . (١١) الأذاود : الإبل . (١٢) خفرها : آمنها وحماها . (١٣) الميسم : العلامة يعلم بها الحيوان .

وهى على عزّتها بينهـــم ... يُبغَتُ(١) فيها الفـــذُّ والتوأمُ(٢)

ما تبرح الأكوارُ(٣) معمورةً ... بهم ونيرانُ الوغى تُضرَمُ

ســقيًا لهم لو أنّ أُمّاتِهـم ... لا تُطعَم الثُّكلَ ولا تُعقَمُ

تودُّ ذاتُ الحمـــل لو أنها ... يـــوما بأمثالهم تُتئِمُ(٤)

فلست أدرى أنجبوا شيمـــةً ... أم شِنشِنٌ(٥) ورّثهم "أخزمُ"؟!

بل من "زعيم الرؤساء" آقتنوا ... مكارمَ الأخلاق لا منهـــمُ

إن تُسئل العلياءُ عن نفسهـا ... تقلْ : "أبو القاسم" بى أعلمُ!!

قـد أنزلتْ فيه العلا سُـورةً ... دقّت معانيهـا فما تُفهـــمُ

كأنّما فى صـــدر ديـــوانه ... "داودُ" فى محرابه يحـــكُمُ

بلاغةٌ من حسن إيضاحهـا ... لا تُشـكل الخطَّ ولا تُعجِمُ

والفصـلُ أن يُنشَرَ قرطاسُـهُ ... وتَنبَـــهَ المُـــرّيّةُ(٦) النـــوَّمُ

إذا تحـــدَّى الغيبَ أفكارُه ... فليس بابٌ دونها مُبهَـــمُ

كُفيتِ يا سُحْبُ(٧) فلا تنصَبى ... حسْبُ الثرى تيّارُه الخضرمُ(٨)

---

(١) فى الأصل "يعيث" والمعنى بها غير واضح . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) الفذ : الفرد ، والتوأم : ما ولد مع آخر . (٣) أكوار : جمع كور وهو الرحل . (٤) تتئم : تأتى بتوأمين فى بطن . (٥) الشنشن : العادة ، والمثل « شنشنة أعرفها من أخزم » .

(٦) المرية : منسوبة الى مرة بن ذهل أحد أجداد الممدوح لقوله فى موضع آخر :

يابنى مرة بن ذهل أبوكم ... ما أبوكم وجدكم أى جد

— والمراد بهذه النسبة الأقلام — . (٧) تنصبى : تجهدى . (٨) الخضرم : العظيم .

قد علِمَ العُشبُ وضيفُ القِرَى أيُّكما فى الأزمةِ الأكرمُ

تطاولى يا هضَباتِ المُنَى فهـــو الى ذِروتك السُّـــلَّمُ

محسَّـــدٌ يغبِـــط أقـــلامَه (١) عـــلى يديه الرمحُ والمِخـــذَمُ

وما الذى بينَهـــما جامعٌ هذان بؤسَى ، وهما أنعمُ

ليس بمحتـــاجٍ إلى شِكَّةٍ ؛ (٢) سـلاحُه من ذاته الضيغمُ (٣)

إنّ قِداح النَّبـــع مبرّيةً (٤) لغـــيرِ مَنْ وَقْصَتُه شَيْهَـــمُ (٥) (٦)

وهو إذا هزَّ قنَـا كيدِه (٧) شاطَ عليها البطلُ المعـــلَّمُ (٨)

وقالت الدرعُ لمُجتابِهـا (٩) : ما هُزَّ إلا القـــدرُ المـــبرَمُ

وما كُلوم الدهرِ محـــذورة (١٠) ورأيُه الأعـــلى لها مَرهَمُ

ولو تشـاءُ اصطنعت خيـــلُه وليمـــةً يَشهـــدُها القَشعَمُ (١١)

قـد صُبغتْ بالنقع ألوانُهـا (١٢) فاشتبـــه الأشهبُ والأدهمُ (١٣) (١٤)

من أُسرةٍ بيت معاليهـــمُ يزوره الكافـــرُ والمســـلمُ

مستلَمُ الأركان ، طُوّافُهُ بحمدهم لبّـــوا كما أنعـــموا

---

(١) المخذم : السيف القاطع . (٢) الشكة : السلاح . (٣) الضيغم : الأسد .
(٤) النبع : شجر تتخذ منه السهام . (٥) الوقصة : دق العنق وكسره . (٦) الشيهم : القنفذ الذى عظم شوكه . (٧) شاط : هلك . (٨) المعلم : المميز بعلامة تبينه .
(٩) المجتاب : اللابس ، وفى الأصل : « لمحتابها » وهو تصحيف . (١٠) كلوم : جمع كلم وهو الجرح . (١١) القشعم : النسر الكبير . (١٢) النقع : غبار الحرب .
(١٣) الأشهب : الجواد الأبيض . (١٤) الأدهم : الجواد الأسود .

شُـــيِّد بالإحسان بنيانُهُ فكلُّ بيتٍ غيرَه يُهـــدَمُ
يزدحِم الوفـــدُ بأرجائه فعامُهـــم أجمعـــه مَوسِمُ
لـــو نحتَتْ صخـــرتَه آلةٌ لاستُنبِطتْ فى تُربهِ "زمزمُ"
يا خاتم الأجواد قولى الذى به الكلامُ المصطفَى يُختَمُ
بـــدُرِّ أوصافِك أمددتَنى فيـــه فما بالِى لا أنظِـــمُ؟!
تحيّـــة "النيروز" مفروضة بقـــدرِ ما يملِكه المعـــدِمُ
تُهدَى إلى مثلك فى مثـله الـ ـأشـــعَارُ لا الدينارُ والدرهمُ

* * *

وقال يمدحُه فى العيدِ والمِهرَجان :

نظرتُ ولم أبغ إلا شـــفائى فداويتُ سُـــقما بداءٍ عَيـاءِ
تراءت وبرقُعها كفُّها لعينٍ مبرقَعـــةٍ بالبكاءِ
فكانت لنـا فتنـةً ضوعفت بحسن المغطَّى وحسنِ الغِطاءِ
تقـــول وقـــد لُمتُهـا فى البعا دِ: هل تسكن الشمسُ غيرَ السماءِ؟
وما زال تَسبى ـ وما إن ترا كَ ـ قلوبَ الرجال جسومُ النساءِ
وما زلتُ أجزَع من بينهـــم فعلَّمنى الصـــبرَ طولُ الجفاءِ
وإنّى من لاعجـاتِ الهـوى (١) على مثل صدرِ القناة انثنـائى

(١) اللاعجة : الحرقة .

أهـــومُ وما ماؤكم للـــوردِ وأعشـــو وما نارُكم للصِّـــلاءِ
ومن يَصْدَ(١) يخدعْه لمعُ السرابِ ويَغـــرُرْهُ خُلَّبُ برقٍ خَـــواءِ(٢)
ولله موقفُنـــا ، والعتـــا بُ ينُبتُ فى الخدِّ وردَ الحياءِ!
وقد أترع الحسنُ فيـــه غديرا إليـــه ورود العيـــون الظِّماءِ
وطَـــرفىَ يتبـــعُ هُوج(٣) الرياحِ عساهنَّ يرفعن سِجْفَ(٤) الحِبـــاءِ(٥)
أتنجو بجسـمك فوق الركاب وتنبِـــذُ قلبَك بين الظِّباءِ؟
وعهـــدى بحلمك لا يُستطار برسمِ مُحيـــلٍ وربعٍ قِـــواءِ(٦)
تَلَفَّتُ عن لَعَسٍ "بالحمى" وتُعرِضُ عن كَحَلٍ "بالحواءِ"
ولولا خيـــانة لونِ العـــذارِ لبعت عُلوق(٧) الهوى بالغـــلاءِ
وربَّ ليـــالٍ سحبتُ الشبابَ بأعطافهنَّ كسَحْبى ردائى
فلو كنتُ أملِك أمرى اشترى تُ ذاك الظلامَ بهذا الضياءِ
وقالوا : أصبتَ بعصرِ الصِّبا ومن لم يشِـــبْ لم يفُز بالبقاءِ
وما منبِتُ العـــزّ إلا ظهـــورُ نواعجَ(٨) منعَـــلةٍ بالنَّـــجاءِ
يخلِّفن خلفِىَ دارَ الهوان مُناخا ومضْـــطَرَبا للبِطـــاءِ

(١) يصدى : يعطش . (٢) الخواء : الخالى من المطر . (٣) هوج : جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٤) السجف : الستر . (٥) الحباء : البيت من وبر وصوف . (٦) المحيل والقواء : العافى . (٧) علوق : جمع علق وهو الشىء النفيس . (٨) نواعج : جمع ناعجة وهى الناقة البيضاء، والنجاء : السرعة فى السير .

أفـــرُّ بعرضِيَ عمّن ترى (١) من النافقاءِ إلى القاصعاءِ

ولستُ وإن كنتُ ربَّ القريضِ كمن يستجيب القِرى بالعُواءِ

عدمتُ مَعاشرَ لا يفرقـــو (٢) ن بين الصّهيلِ وبين الرُّغاءِ

إذا صافحتنى أكفُّ اللئامِ لطمتُ بهن خَـــدودَ الرجاءِ

وقِدما عصرتُ وجوهَ الرجالِ فـــلم أر فيهنَّ وجها بماءِ

ولولا الجنابُ "الزعيميُّ" ما مشَى الوعدُ فى طُرُقاتِ الوفاءِ

ولكن بجود "أبى قاسمٍ" عُمـرنَ المكارمَ بعـــد العفاءِ

له فى المعالى انتساب الصريحِ إذا غيرُه عُـــدّ فى الأدعياءِ

أغرّ تضيء به المكرماتُ وتفترُّ عنـــه ثغـورُ العَـــلاءِ

وترعَى العيونُ إذا لاحظتْ ـهُ فى روضِ رونقِـهِ والرُّواءِ

إذا شِمتَ بارقَـــه فالتَـــلا (٣) عُ تشرق مثلَ حلوق الإضاءِ

من القومِ قد طُبعوا فى الندى (٤) على سِـــكّة الغادياتِ الرِّواءِ

يَعُـــدُّ آبتياعَ يســـيرِ الثنـاء بجزل العطاء من الكيمياءِ

تـــدِرّ يداه بـــلا حالبٍ إذا آلتمس الزُّبدَ مخضُ السِّقاءِ

---

(١) النافقاء : آخر جحر اليربوع الذى يحفره ولا ينفذه ولكنه يرققه حتى اذا أحس بصيده مرق منه والقاصعاء : أوّل جحره الذى يحفره ، وكان الأحق أن يقول الشاعر : من القاصعاء الى النافقاء .

(٢) الصهيل : صوت الخيل ، والرغاء : صوت الإبل . (٣) الإضاء : الغدران واحدها : أضاة .

(٤) الغاديات : السحب التى تنشأ غدوة .

ويهتزُّ عند هبوبِ السؤال آهـ ـتزازَ الأراكةِ بالجـربياءِ (١)

فتُضـحِي مكارمُه كالمطيّ ونغْـمةُ سائـله كالحُـداءِ

خلائقُ من منـدلٍ مُثِّلتْ وزِيدَ عليها بخَـورُ الثَّناءِ

يكاد المـدامُ وصـفوُ الغـما مِ يُعصَر من طِيبها والصـفاءِ

كأنّ الحُـبَى يومَ تَعقادِهـا عليه، على "يذبُلٍ" أو "حِراءِ" (٢)

يلاقى الخطوبَ اذا مارسـتْه بباعٍ رحيبٍ وصـدرٍ فضاءِ

وعزمٍ كما صـفّقت بالجَنـا ح شَغواءُ مصبوبةٌ فى الهـواءِ (٣)

تراه فتنظـرُ عزما وحزما وحلما قـد ٱئتلفتْ فى وِعاءِ

وما أسرَ الطَّرفَ مثـلُ ٱمرئٍ يبـارزُ لامحَـه بالبهـاءِ

عليـه شواهدُ منه ٱغتـدتْ عن الشـاهدين له فى غَنـاءِ

وفى رونق السـيف للناظرين دليـلٌ على حـدّه والمَضـاءِ

وقد يُعرفُ العِتقُ قبـلَ الفرار ويُحكَم بالسَّبق قبـلَ الجِراءِ (٤)

وما رغبـة الركب يهديهـمُ ضـياؤك فى رايةٍ أو لـواءِ

لك الخـيرُ من قائـلٍ فاعلٍ بنَى بالمكارمِ أعـلَى بِنـاءِ

نذرتَ اذا نلتَ هـامَ الأمو ر أن لا تُوشِّح بالكِبرياءِ

(١) الجربياء: ريح الشمال الباردة. (٢) يذبل وحراء: جبلان. (٣) الشغواء: العقاب.

(٤) الفرار: — مثلثة — الكشف عن أسنان الدابة ليعرف كم سنها، وفى الأمثال «إن الجواد عِنه فراره» يعنى تعرف الجودة فى عينه كما تعرف سن الدابة اذا فرت أسنانها.

فلو رِزقُ نفسك أمسى اليك ... لما زدتَها فوق هذا السَّناءِ

فـفى كلّ شيء وجدنا مِراءً ... ولم نر فيـك لهـم من مِراءِ

لذلك حنَّت قَـلوصى (١) إليـ ... ـك حتّى أناخت بهـذا الفِناءِ

ولولاك كانت كأُرجوحـةٍ ... تَقلقَـلُ بين الضّحَى والمَساءِ

إذا زمَّها نجـمُ ذا بالشُّعا ... ع تخطَّمها شمسُ ذا بالهَبـاءِ

وكم لى "ببغـدادَ" من كاشح ... يسائل فى ربعـكم : ما ثوائى؟!

فقلت : مقيمٌ يجيبُ المـنَى ... ويجمـع بين الغِـنى والغَنـاءِ

لدى ماجدٍ دلوُه فى السـما ... ح تتْبعُهـا يدُه فى الرِّشـاءِ (٢)

إذا خاضت النِّقسَ (٣) أقـلامهُ ... كَفَيْن الذوابلَ (٤) خوضَ الدّماءِ

دعا الرؤسـاءُ زعـيمًا بـه ... فكان لشـدّتهم والرَّخاءِ

وبعـدَ التجارب قد أحمَـدوا ... سجاياه، والحمـدُ بعـد البلاءِ

سـقَى اللهُ دارَك ماءَ النعـيـ ... ـم وطـرَّزها برياض البهـاءِ

ودارت عليك كئوسُ السرو ... ر يَغـرِفنَ من مُترَعاتٍ مِلاءِ

وهُنئتَ بالعيـدِ والمِهرجانِ، ... وسـعدُهمـا سائقٌ بالهنـاءِ

وجَدناهمـا فَعَـلا ما تحبُّ ... وما تبتـغى بخُـلوص الدُّعاءِ

---

(١) القلوص : الشابة من الإبل . (٢) الرشاء : حبل الدلو . (٣) النقس : الحبر .
(٤) الذوابل : الرماح .

* * *

وقال وقد سأله بعضُ رؤساء العصر نظمَ قصيدةٍ تتضمَّن مدحَ نظامِ المُلك أبي عليّ الحسن بن إسحاق، وأغراضا له :

ليتَ الهـــوى يصرفه الراقي (١) إما بحَيْنٍ أو بإفـــراقِ (٢)
رشـفُ الثنايا والتزام الطُّلى (٣) ـ إن أمكنا ـ أخلاطُ درياقِ (٤)
يا قارعا بالعـــذل سمعي ومن ورائه قلـــبٌ بأغـــلاقِ
من أوجب التـــوبةَ من خمرةٍ يعصرها من لحظـه الســاقي؟
كم "بالكثيب الفَرْدِ" من نابلٍ (٥) أسهمهُ ليســـت بأفـــواقِ (٦)
وقامـةٍ تحسبُهـا غصنَهـا الـ ـوَرقاءُ لو كانت بأوراقِ
وظبيـــةٍ تنطـــح قَنَّاصهـا من فاحمٍ جَعـدٍ بأرواقِ (٧) (٨)
من كُنْسها صدري ومن روضها قلبي ومن غُدرانها ماقي (٩) (١٠)
مأسورَةٍ بالصـــون في خِدرها تَحكُمُ في أســـرٍ وإطلاقِ
منّـاعةٍ بالحسن أجفانَنـا أن يتقاربن لإطـــراقِ

---

(١) الحين : الهلاك والموت . (٢) الإفراق : الإفاقة من المرض . (٣) الطلى : الأعناق، واحدها : طلية . (٤) الدرياق : الدواء . (٥) النابل : الرامي بالنبل . (٦) أفواق : جمع فوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . (٧) الفاحم الجعد : الشعر الأسود المتقبض الملتوي . (٨) أرواق : جمع روق وهو القرن . (٩) كنس : جمع كناس وهو بيت الظبية . (١٠) الماق : طرف العين مما يلي الأنف .

كأنما الأعين إذ أُبرزت ... من خدرها ليست بأطباقِ

أغفلتُ ماحازتْه من مهجتى ... مخافةً أن تذكُرَ الباقى

وليلةٍ بالهجرِ مُذْتُ فما ... يُفنِى مداها سعىُ مشتاقِ

كان شرابى وقِيانى بها (١) ... دمعى ووُرقا ذات أطواقِ

حتّى محا الصبحُ سوادَ الدُّجَى ... كلِمَّةٍ (٢) فى يدِ حلّاقِ

قلتُ وأطرافُ القنا شُخَّصٌ ... ترمقنى عن زُرق أحداقِ: ،

لا أطلبُ الهدنةَ فيها ولو ... قامت بها الحربُ على ساقِ

ومِن "نِظام المُلك" لى جُنّةٌ (٣) ... حصينةٌ ما مثلُها واقِ

نِعْم الحِمَى إن عَرِضَت خُطّةٌ (٤) ... قد لفَّها الليلُ بسوّاقِ

يعتصم الخائفُ من أمنهِ ... فى قُلّتَىْ (٥) عهدٍ وميثاقِ

لا يهجُم السخطُ على حِلمهِ ... إن عثَرَ الأخمَصُ (٦) بالساقِ

ولا يهُزُّ الكبرُ أعطافَهَ ... وهو على طَودِ العلا راقِ

فى لفظه والخطِّ منـدوحةٌ ... عن صارم الحدَّين ذَلّاقِ (٧)

مثلُ سلاح الليث مستودَعٌ ... فى الكفّ أو ما بين أشداقِ

---

(١) قيان : جمع قينة وهى المغنية . (٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٣) الجنة : كل ما وقى من السلاح . (٤) الخطة : الأمر المشكل العظيم الذى لا يهتدى له .

(٥) القلة : أعلى الجبل . (٦) الأخمص : باطن القدم . (٧) الذلاق : الماضى .

أبلـــجُ فضّاحٌ ســـنا نورِه ... لسُـــنّة[1] البـــدر بإشراقِ

ذو بهجـــةٍ غرّاءَ ميمـــونةٍ ... زيّنها ديباجُ أخـــلاقِ

يَحُلُّ ما يبـــديه من بِشره ... عَقْـــدَ لسان الهـائب اللاقِ

أبوابهُ للوفـــد مفتوحـــةٌ ... كأنها أجفانُ عُشّـاقِ

تســـتغلق الرهنَ أفاويقُـــهُ[2] ... إن جُعـــلَ القَمْرُ[3] لســـبّاقِ

مسافةُ العليـاء إن أُقصيتْ ... فهو بهـا "عَمـرُو بن برّاقِ"[4]

والعيس عيسٌ[5] فاذا زرنه ... فإنهـا أســـبابُ أرزاقِ

كم عنده للحمـــد والشكر من ... مواســـمٍ قُمنَ وأســـواقِ

يأنَفُ أن يُمطـر شـــؤبُوبُه ... إلا بأذهاب[6] وأوراقِ

تهـــلّلُ وَسْمِيُّـــه[7] موعـــدٌ ... يُولِي بهامى الجودِ غيّـداقِ[8]

والسُّحبُ لا تعطيك معروفَها ... إلا بإرعادٍ وإبـــراقِ

ليس يخيبُ الظنُّ فيـــه ولا ... يعـــودُ راجيـــه بإخفـاقِ

أضحت صروفُ الدهر مأسورةً ... "للحَسَن القَـرْمِ[9] آبن إسحاقِ"

---

(١) السنة : الوجه ، وقيل : دائرته ، وقيل : صورته ، وقيل : الجبهة والجبينان . (٢) الأفاويق : السحاب يمطر ساعة بعد ساعة . (٣) القمر : الغلبة فى لعب القمار . (٤) عمرو بن براق . من العدائين المشهورين بالعدو والسبق . (٥) فى الأصل : « والعيش عيش » وهو تصحيف . (٦) أذهاب : جمع ذهب . وأوراق : جمع ورق وهى الفضة . (٧) الوسمى : أول المطر ، ويليه الولى . (٨) الغيداق : الكثير المتدفق . (٩) القرم : السيد العظيم .

قد صـــيَّر المـالَ على حبِّـه طُعمـــةَ إتلافٍ وإنفـاقِ

إذا صروفُ الدهر زعزعنه صـادفنَ قلبـا غيرَ خفَّـاقِ

أوامرٌ تمـــلؤها طـاعـــةً أهـــلُ أقالـــيم وآفاقِ

مابين "جَيْحونَ" "فقالي قَلا" وبين إشـآم و إعراقِ

وعزمةٌ عنهـا صدورُ القنـا تهـتزُّ من خوفٍ وإشـــفاقِ

تُضحى قسيُّ "التُّرك" من ثِقلها (١) تئنُّ فى نزعٍ وإغراقِ (٢)

والســـيفُ ممّـا كلَّفتْ حدَّه يكُنُ فى أغمـادِ أعنـاقِ

قـــد حصَّن الملكَ بآرائه فى شـاهقِ الأقطـارِ مِزلاقِ

فى كلّ يومٍ بأراضى العـــدا سَجْـــلُ (٣) دمٍ بالطعن مُهـراقِ (٤)

مثل "بنى الأصفر" (٥) أودى بهم أروعُ يُردى كلَّ مرَّاقِ

من تُلَّ (٦) منهـــم فلذئبِ الفلا ومن نجـا فـــرَّ بأرماقِ

بوقعـــةٍ أُطعِمَ فيهـا الردى أرواحَ كُفّارٍ وفُسّاقِ

كم من يدٍ بالقـاعِ (٧) مبريَّةٍ وهامةٍ بالشِّـــعبِ (٨) أفـــلاقِ (٩)

---

(١) الزع : جذب وتر القـوس . (٢) الإغراق : اسـتيفاء حد القـوس .

(٣) السجل : الدلو . (٤) مهراق : مصبوب . (٥) بنو الأصفر : الروم .

(٦) تل : صرع . (٧) القاع : المطمئن من الأرض . (٨) الشعب : الطـريق فى الجبـل ، أو هو ما انفرج بين الجبلين . (٩) أفلاق : جمـع فلق وهو الجزء من الشيء المشقوق .

ذاق مليكُ "الروم" من صابها (١) ما لم يكن قبـــلُ بذوّاقِ

إن لم تكن لاقيتَ أبطالَهـا كنتَ بإقبالك كاللاقى

والشمسُ لا يمنعها بُعـــدُها من فعـــل إنماء وإحراقِ

أيا "قِوامَ الدّين" دعوى آمرئ لســـانُه ليس بمـــذّاقِ (٢)

اللهَ فى غرســـك لا تُذوِه من بعـــد إثمـارٍ وإيراقِ

بك آســـتقامت عُوجُ أفنانه (٣) ومَـــدَّ فى النُّعمَى بأعـــراقِ

وعبد قِنٍّ (٤) لك لم يلتمس من رقّهِ (٥) راحـــةَ إعتـاقِ

مذ سار عن رَبعكَ، أحشاؤه والقلبُ أُنْفِيّـــةُ (٦) أشـــواقِ

ما آعتاض من عزّك إلا كما يُعتاضُ عن سيفٍ بمِخـــراقِ (٧)

تلطّف الحسّـــادُ فى سِحـــرهم حتى رأوا بالنأى إقـــلاقى

إن سرّهم فَرْى فمن بعده يسوءهم كرّى و إعنـاقى (٨)

ما كنتُ من قبلهمُ خائفا بينَ غرابٍ غـــيرِ نغّاقِ (٩)

---

(١) الصاب : نبات مر الطعم ، أو هو عصير شجر مر . (٢) المذاق : الكذاب .

(٣) الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن . (٤) القن : الخالص العبودة ، وهو الذى ملك هو وأبوه ، أو هو الذى ولد عندك ولا تستطيع إخراجه عنك ، و يقال : عبد قن — بالنعت — ، وعبد قن — بالإضافة — . (٥) فى الأصل : «رقة» وهو تصحيف . (٦) الأنفية : أحد الثلاثة الأحجار التى توضع عليها القدر ، وفى الأصل هكذا : « أنهة » . (٧) المخراق : منديل يلف و يضرب به . (٨) الإعناق : السير السريع الفسيح . (٩) النغاق : النعاب الصائح ؛ مثل النعاق — بالمهملة — .

مَن فيهـــمُ يبلغُ شأوى ومَن يحمـل إن حُمِّـلَ أوساق؟(١)
أشـعتُ إحسـانك لى أوّلا فآجعل بثانى الطَّولِ تَصداق(٢)
حاشـا أياديك وما خَوّلتْ أن أكتسى أثوابَ إملاقِ

* * *

وقال يمدحُ أبا القاسم بن رضوان :

تفيض نفـوسٌ بأوصابهـا وتكتم عوّادُها ما بِهـا
وما آنصفتْ مهجةٌ تشتكى هواها إلى غـير أحبابهـا
ألا أرِنى لوعـةً فى الحشا وليس الهوى بعضَ أسبابها
ومن شرفِ الحبِّ أن الرجا لَ تشرى أذاه بألبـابها
وفى السِّرب مُثْرِيةٌ بالجمـالِ تُقسِّـمه بين أترابهـا(٣)
فللبـدر ما فوق أزرارهـا وللغصن ما تحت جِلبابهـا
كأنّى ذَعرتُ بهـا فى الخبا ءِ(٤) وحشيّةً(٥) عنـد محرابهـا
أتبّعـها نظـرا معجَلا يعـثّر عيـنى بهُدّابهـا(٦)
متى شاء يقطِف وردَ الخدود وقَتْـهُ الأكُفُّ بعُنّابهـا

---

(١) فى الأصل « أرناق » وهو تحريف .
(٢) فى الأصـل هكذا "ثانى" .
(٣) أتراب : جمع ترب وهو من ولد معك فى سنك .
(٤) الخباء : بيت يتخذ من صوف أو وبر .
(٥) الوحشية : الظبية .
(٦) الهداب : الخيوط التى تبقى فى طرفى الثوب من عرضه دون حاشيته ، أو هو طرف الثوب مما يلى طرته .

كفانىَ من وصـــلها ذكرةٌ تمـــرُّ على بَرْد أنيابها

وأن نتلالا بروقُ "الحمى" وإن أضرمتنى بإلهابها

وكم ناحلٍ بين تلك الخيا م تحسَـــبه بعضَ أطنابها (١)

فمن مخبرٌ حاســدى أننى وهبتُ الأمانى لطُلّابها؟

فإن عرَضتْ نفسَها لم تجد فؤادىَ من بعض خُطّابها

يسُـــرُّ الغطارفةَ الأكرميـ ـن قَرعُ مديحى لأبوابها

فهاهى من قبل رفع الحجاب يضاحكنى بشـــرُ حُجّابها

أنزّه قَعْبىَ (٢) عن خَلّها وآنَفُ من مخض أوطابها (٣)

وأعلم أن ثيـابَ العفا ف أجمـــلُ زِىٍّ لجُتابها (٤)

عدلتُ السرابَ بأوراقها (٥) ولمـــعَ البروق بأذهابها (٦)

ولو شـئتُ أرســلتُها غارةً تعـــود الىَّ بأســـلابها

ولكننى عائفٌ شهدَها فكيف أنافسُ فى صابها (٧)

تذِلُّ الرجالُ لأطماعها كذلِّ العبيـد لأربابها

فلا تقطفنّ ثمارَ المُـــنى فبئسَ (٨) عُصارةُ أعنابها

---

(١) أطناب : جمع طنب وهو حبل الخيمة . (٢) القعب : إناء يحلب فيه . (٣) أوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللبن . (٤) المجتاب : اللابس . (٥) أوراق : جمع ورق وهو الفضة . (٦) أذهاب : جمع ذهب . (٧) الصاب : شجر مر ، أو هو عصير شجر مر . (٨) فى الأصل : « فيأس » وهو تحريف .

وعُجْ بالأجلِّ "أبي قاسمٍ" لتأتى المكارمَ من بابها

فنعـــمَ الرياضُ لمرتادِهـا ونعـــمَ الديارُ لمنتابها

وأوديةٌ من يَرِدْ ماءَهـا يَرَ السُّحبَ من بعض شُرّابها

الى كعبة الجود من راحتيـه تُشـــدّ الرحالُ بأقتابها (١)

مناقبُ مثـــلُ عِدادِ الرمالِ تكُلُّ أناملَ حُسّابها

وتُتعبُ ألسنَ دُرّاسِهـا وتُفنِي قراطيسَ كُتّابها (٢)

تجاوزتَ حدّ صفاتِ البليغ فمادحُها مثـــلُ مُغتابها

يـــذُمُّ البضـائعَ ما لم يُعِـدَّ من الشكر أوفرَ أكسابها

تظُنُّ بأفـــواه مُدّاحِهِ عُقـارا تدارُ بأكوابها (٣)

تُصافَحُ منـه أكُفّ الرجاء برطبِ الأنامل وَهّابها

كأنّ السؤالَ على رِفده قِـــداحٌ تفـــوز بأنصابها

إذا اشتكت الأرضُ داءَ المحو لِ داوَى رُباها بإخصابها (٤)

من العصبة المدركين العُـلا بأحسابها وبأنسابها

أجاروا على الدهر من صَرفِهِ وجاروا على الأُسْد فى غابها

وساسوا ولاءَ قلوبِ الرجال بإرغابها ثم إرهابها

(١) أقتاب : جمع قتب وهو إكاف (برذعة) على قدر سنام البعير (٢) القرطاس : الصحيفة .

(٣) أكواب : جمع كوب وهو قدح لا عروة له . (٤) فى الأصـل : « باحصابها » وهو تصحيف .

كنوزُ محامِدها والثنـاءِ عليهـا ذخائرُ أعقـابهـا
ولم تَلبَس الرَّيْطَ(١) إلا رأيتَ محاســنَها نقشَ أثوابهـا
تعجَّبُ من حُسن بهجاتهـا الى أن ترى حسنَ آدابهـا
وإنَّ مكارمَ أخلاقها تقــوم مقاماتِ ألقابهـا
تمَــلَّ بأيّام هــذا الزمان تجــرُّ ذلاذلَ(٢) جلبابهـا
مقـامَ السواد لأبصـارها ومثــلَ النُّخاع لأصـلابها
إذا أنت أفنيتَ أيّامَهـا توالت عليــك بأحقابهـا

* * *

وقال يمدحه أيضا :

النجاءَ النجاءَ من أرضِ "نجدِ" قبــلَ أن يعــلَق الفؤادُ بوجدِ
إنّ ذاك الثرى لَيُنبتُ شوقا فى حشَا ميِّت اللُّباناتِ(٣) صَــلدِ(٤)
كم خلىٍّ غــدا إليــه وأمسَى وهو يَهذِى "بعَلوةٍ" أو "بهندِ"
وظبـاءٍ فيــه تُلاقِى المُــوالى والمُعادى من الجَمـال بجُنــدِ
بشتيتٍ من المبـاسم يُغــرى وسَــقامٍ من المحـاجر يُعــدى
وبنانٍ لولا اللطافــةُ ظُنَّتْ لِحنـاياتهـا(٥) برائنَ أُسْــــدِ

(١) الريط : جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست ذات لفقين . (٢) الذلاذل : جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل . (٣) اللبانة : الحاجة والمأرب . (٤) الصلد : الصلب .
(٥) برائن : جمع برثن وهو من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان .

وحـــديثٍ إذا سمعناه لم ند ـ ـرِ بخمرٍ نضَحتَنا أم بشهـــدِ ؟

أنِفتْ من براقـــع الخـــزِّ والقـ ـزِّ خدودٌ قـــد برقعوهـا بوَردِ

وغَنُـوا عن خدورهم مذ تغطَّـوا عن محبّيهمُ ببعـــدٍ وصـــدِّ

أمُقـاما "بعـالجٍ"، والمطـايا (١) عَرِضَ "يبرينَ" بالظعائن تَخدِى ؟!

لا "الحمَى" بَعـدكم مُناخٌ ولا مـا ءُ "اللوى" إذا هجـرتمـوه بوِرْدِ

والفـــؤادُ الذى عهـدتم جَموحا راضـه طولُ جَـوْركم والتعـدّى

ما تُريدون من دلائـلِ شـــوقٍ غيرَ هـــذا الذى أُجِنُّ وأُبدِى

كبِدٌ كلّمـا وضعتُ عليهـا راحتى، قيلَ : أنت قادحُ زَندِ

وجفونٌ جرينَ مدًّا، وماءُ الـ ـبحـــر يرتاحُ بين جزرٍ ومدِّ

يا بنى "مُرّةَ بن ذُهـــلٍ" أبوكم ما أبوكم وجَدُّكم أىّ جَدِّ

غُرَرٌ فى وجوهِ "بكرٍ"، و"بَكرٌ" شامةٌ عمّمت رءوسَ "مَعَـــدِّ"

من شـبابٍ فى الحِلم مثلِ كُهول وكُهـــولٍ نزّاقـــةٍ مثـــلِ مُردِ

أنا منـكم إذا آنتهينا إلى العـــر ق آلتففنا آلتفـافَ بانٍ برَنْدِ

نسبٌ ليس بيننا فيـــه فـــرقٌ غـــير عيشَىْ حضارةٍ وتبـــدّى

لكم الرمحُ والسِّـــنانُ وعنـــدى ما تحبُّـــون من بيانٍ ومجـدِ

خلِّصـونى من ظَبيـكم أو أنادى بالذى يُنقـذ الأسارَى و يفـدى

---

(١) الظعائن : الهوادج فيها النساء . وتخدى : تسرع .

"بأبي القاسم" الذى غرس الأفـ ـضال فى ربوتَىْ ثناءٍ وحمـــدِ
كلّما هبّ للســـؤال نســـيمٌ فـوق أغصانه آنتثرنَ برِفـــدِ
فى بديه غمـامتان لظـــلٍّ ولقَطرٍ من غير برقٍ ورعـــدِ
أَذِنَ البشـــرُ للعُفـاة عليـــه حين ناداهم القُطـــوبُ بردِّ
وٱصطفى المكرُماتِ حتى لقلنـا: أبِـــرقٌ إنتـاجُها أم بعَقـــدِ؟!
فَـرْقُ ما بينَـــه وبين ســـواه فَـرقُ ما بين لُجّ بحـرٍ وثَمْـدِ (١)
أىُّ عُشبٍ فى ذلك الأبطحِ السهـ ـل وماءٍ لمَـرتَـــعٍ ولـوردِ؟
لا تـــراه إلّا على كاهل العـــز مِ يسـوق العُـلا بجَـدٍّ وجِدِّ (٢)
كم عـــدوٍّ أماتـــه بوعيـدٍ ووَلىٍّ أحيـاه منـه بوعـــدِ
لستَ تدرى أمن زخارف روضٍ صاغـــه اللهُ أم لآلئِ عِقـــدِ؟!
وبحسن الفعـال ينتسب القـــو مُ إلى المجـــد لا بقَبْـــلٍ وبَعدِ
مُطلِـعٌ، فى دُجى الخطوبِ إذا أظـ ـلمنَ، من رأيـه كواكبَ سَـعدِ
عـــزماتٌ لا تســـتجيب لراقٍ وحـــلومٌ لا تُســـتثار بحقـــدِ
ومَضاءٌ لو أنه كان للســـيـ ـف لما هوَّمَتْ (٣) ظُباه بغمـدِ
قـــد رأينا فيـــه عجـائبَ منهـ ـنّ ثمـارٌ يُجنَيْن من عُودِ "هنـــدِ"

(١) الثمد: الماء القليل. (٢) الجد — بالفتح —: الحظ، — وبالكسر —: الاجتهاد فى الأمر. (٣) هومت: نامت.

أســـرَ الناس بالعوارف، والنُّعـ ـمَى على الحرِّ مثـــلُ رِبقةِ قِـدِّ (١) (٢)

ليس يَرضَى من الملابس إلّا ما يُنـير الثناءُ فيـــه ويُســـدى (٣)

أبدا تســـأل النواظرُ عنـــه أبشـــكرٍ قد اكتسى أم بـــبُردِ!!

أحصِ ما شئتَ من حصًى وقُطارٍ فمعاليـــه ليس تُحصَى بعَـــدِّ

وعيونُ الحسّادِ إن نظـــرَته فبصُـــورٍ من المساءة رُمْـــدِ (٤)

يا أعاديه لو عُدِدتم "كيأجو جَ" رماكم من كيدِه خَلفَ سـدِّ

وســـواء إذا جرى فى مَـــداه أبأخلاقـــه جرى أم بجُـــردِ (٥)

قَصَـــبٌ للســـباق ليس يُصَلِّيـ ـها خوافى النســـور إلا بكَدِّ (٦)

زادك الله ما تشـاءُ مَزيدا ســـيلُه غيرُ واقفٍ عنـــد حدِّ

فى ربيعٍ نظيرِ جنّاتِ "عَدنٍ" وديارٍ جميعُها دارُ خُـــلدِ

إن أغِبْ عنك فاللسانُ بشـكرى غـــيرُ ناءٍ ولا الفـؤادُ بجمـــدِى

وهما الأصغران لولاهمـا كا ن البرايا أمثالَ صُحْـــرٍ ورُبْدِ (٧) (٨)

أخبُرُ النـاسَ تَقْلُهُم (٩) أو تصِلْهـم هـــل يحـاز الدينـار إلا بنقـــدِ؟!

(١) الربقة : العروة . (٢) القد : قيد يقد من جلد يشدّ به الأسير . (٣) أنار الثوب : جعل له نيرا ، وهو ما اجتمع من خيوطه ، وأســـداه : جعل له سدى وهو ما مد من خيوطه .

(٤) الصـــور : المائلة . (٥) الجرد : الخيل قصيرة الشعر ، واحدها : أجرد وجرداء .

(٦) يصليها : تأتى ثانية لها . (٧) الصحر : ما اغبر لونها فى حمرة ، واحدها أصحر وصحراء . يقال : حمار أصحر وأتان صحراء . (٨) الربد : ما اســـود لونها مع تنقيطه بحمرة ، واحدها أربد وربداء .

(٩) تقلهم : تبغضهم وتجفوهم من : قلا يقلو وقلى يقلى ، وهو من حديث أبى الدرداء : " وجدت الناس أخبر تقله " أى جرب الناس تبغضهم ، والهاء فى " تقله " للسكت .

* * *

وقال يرثي أبا منصور بن يوسف ، ويعزّي عنه أبا القاسم بن رضوان صهرَهُ :

لا قَبِلنا فى ذا المصابِ عــزاءَ ... أحسنَ الدهرُ بَعـدَها أو أساءَ

إن نهينا فيــه عن الدمــع مَأقا (١) ... أو خفَضنا النحيبَ كان رياءَ

حسراتٍ يا نفسِ تفتُـك بالصبـ ... ـر وحزناً يقلقــلُ الأحشاءَ

ووجيباً (٢) ملءَ الضــلوع إذا فا ... ض إلى المقلتين صار بكاءَ

فزفــيرا بين الجــوانح يفتضُّ متى شاء عَــبرةً عــذراءَ

وحنينــا (٣) يشــوقُ فاقــدةَ النِّيـ (٤) ... ـبِ فتنسَى صريفَها والرُّغاءَ (٥)

ومُناخا من لوعــةٍ واكتئاب ... يستجيبُ الحمامــةَ الــوَرقاءَ

ودموعا يخجَلن من شَــبَه المـا ... ءِ فيُصبَغنَ بالحيــاءِ دماءَ

من عيونٍ قد كنَّ قبلُ عيونا (٦) ... ثم صــارت بفقــده أنــواءَ

ملقياتِ العُــوَّار (٧) فيهنّ سَجْــلا (٨) ... جاعلاتِ القــذَى لهنَّ رِشــاءَ (٩)

وإذا ما الأُسَى (١٠) أشرنَ على القلـ ... ـبِ بيأسٍ فاستفهموا البُرَحاءَ (١١)

يَفقِد الناسُ ــ قدعلمنا ــ عظيما ... وخطيرا منهــم وليسوا سَــواءَ

---

(١) المأق : طرف العين مما يلى الأنف . (٢) الوجيب : خفقان القلب . (٣) نيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٤) الصريف : صرير ناب البعير . (٥) الرغاء : صوت ذوات الخف . (٦) الأنواء : الأمطار . (٧) العوار : ما ينزع من لحم العين بعد ما يذر عليه الذرور . (٨) السجل : الدلو . (٩) الرشاء : حبل الدلو . (١٠) الأسى : جمع أسوة وهى القدوة . (١١) البرحاء : شدة الحزن .

كيف نسلو من فارقَ المجدَ والسّوء ... دَدَ والحزمَ والنـدَى والعَـــلاءَ

والسجايا الذى إذا آفتخر الـــدُّ ... رُّ آدّعاها مَلاســـةً وصـــفاءَ

والمحيَّـا الذى له تشـخص الأبـ ... ـصارُ حُسنا وبهـجةً وضِيـاءَ

والأيادِى البيضَ المصافِـحةَ الإعـ ... ـدامِ حـــتّى تُخيـــلَه إثـــراءَ

والمعـالى المحلِّقـاتِ مع النَّســـ ... ـرَيْنِ (١) يُشرقنَ بُكرة ومَسـاءَ

ووقارا لـــو أنه أدَّبَ الهُـــو ... جَ (٢) من العـاصفاتِ عُدنَ رُخاءَ (٣)

خَرِســتْ ألسن الثُّعـاةِ (٤) ووُدّت ... كل أُذْنٍ لو غـودرت صمَّاءَ

جهِلوا أنهـم نعَوا مُهـــجةَ المجـ ... ـدِ المصفَّى والعـــزّةَ القَعسـاءَ (٥)

حين قالوا — وليتَهم كتَموا الحا ... دث عنّا أو جمجموا الأنباءَ — :

ظعنتْ "بآبن يوسُفٍ" قُلُص الأ (٦) ... يا م (٧) تطـوِى الإدلاجَ والإســـراءَ (٨)

ليس تَلوِى على مُنـاخٍ ولا تطـ ... ـلُبُ وِردا ولا تطيـــعُ حُداءَ

بعد ما كنّ كالعبيدِ من الطـا ... عـــةِ والسـمعِ، والليـالى إماءَ

زينـــةُ الدِّين عُرّىَ الدينُ منها ... وحُـــلِىُّ الدنيا جفـا الأعضاءَ

لو أرادت عِرسُ المكارم بعـلًا ... عدِمتْ بعـــدَ فقـدِه الأكفاءَ

---

(١) النسران : كوكبان ، يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع . (٢) الهوج : الرياح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت ، واحدها : هوجاء . (٣) الرخاء : الريح اللينة .
(٤) فى الأصل "البغاة" وهو تصحيف . (٥) القعساء : الثابتة الممتنعة . (٦) قلص : جمع قلوص وهى الفتية من الإبل . (٧) الإدلاج : السير آخر الليل . (٨) الإسراء : السير أول الليل .

من إذا ما الحقـــوق لله نادت قاضيـا راعيـا أجاب النـداءَ

وإذا ما إليـــه مُدَّتْ يـــدُ البـ ـرِّ أهان البيضاءَ والصفـــراءَ (١)

من تردَّى بهيبـةٍ رأت التصـ ـريحَ عَجـــزا فـأومأت إيمـاءَ

يُوقِـد القـــومُ نارهم فى جدالٍ فاذا قال أخمـــدوا الضوضـاءَ

من يكن أيتمَ الذرارِى اذا ما ت فهـــذا قد أيتمَ الفقـــراءَ

ما درى حامـــلوه أنهُـــمُ عنـ ـهمْ أزالوا الأظـــلالَ والأفيـاءَ

أدرَجوا فى الرِّداء نَصـــلا (٢) ولفُّوا فى السَّـــحولِىِّ (٣) صَـــعدةً (٤) صمّاءَ

يُودِعون الثرى — كما حَكَمَ الـ ـله — بكُرهٍ غمـامةً غرّاءَ

ولو أن الخيـارَ أضحى إليهـــم ما أحلُّوا الغـــمامَ إلا السماءَ

يا لهـا من مصيبـــةٍ عمّت العـا لَم طـــرّا وخصَّت العظـــماءَ

ما علمنـا الضَّرّاءَ أحيت فعاشت فى الورى أم أماتت السـرَّاءَ؟

غـــيرَ أنّا نرى لهـا كلَّ نفسٍ لِهفـاتٍ تَنفَّـــسُ الصُّـــعَداءَ (٥)

ما رأينـا يوما كيوم تولَّـ ـتَ يـــؤمُّ الأمواتَ والأحيـاءَ

يَتبَـعُ النـاسُ ذلك النورَ أرسـا لًا (٦) كما يتبـــعُ الخميسُ (٧) اللّـــواءَ

---

(١) البيضاء والصفراء : الفضة والذهب . (٢) النصل : السيف . (٣) محول : موضع باليمن تنسج فيـه الثياب ، يقال : ثياب محولية بالفتح والضم — والفتح أشهر — . (٤) الصعدة الصماء : قناة الرمح المستوية الصلبة . (٥) الصعداء : تنفس طويل من هم أو تعب . (٦) الأرسال : الجماعات واحدها : رسل — بكسر الراء — . (٧) الخميس : الجيش — لأنه خمس فرق — .

أرجُلٌ فى الصَّـــعيد تنتعلُ التِّر (١) بَ وهـامٌ تعـــمَّمُ الحصْبـاءَ (٢)

فتظَـــنَّى الحِمـامُ أنّـــك أزجيـ (٣) ـتَ إليـــه كتيبةً شهباءَ (٤)

أو مشتْ نحـوه القبـائلُ يطلُبْـ ـن إليه بأن يكنَّ الفِـــداءَ

أنت من معشرٍ أبَى طيِّبُ الذكـ ـر عليهم أن يُشمتوا الأعداءَ

فهـــمُ كالأنام يَبلُون أجسا ـمًا ولكن يخَـلَّدون ثنـاءَ

لم يُطيقـوا أن يدفعوا نوب الأيّـــامِ عنهـــم فسـيَّروا الأسمـاءَ

عُقِلتْ فـوق تُربك السحبُ إما (٥) ماخضًـا بالقِطـارِ أو عُشَراءَ (٦)

تارةً بالضَّريبِ (٧) ترغُـــو وطـــو را بزُلالٍ يفجِّـــرُ الأطْبَـاءَ (٨)

فاغراتِ الأفواهِ تحسَبهـا طـا لَ سُراها فأكثرتْ تُؤَباءَ (٩)

فهى تَسـقِى ثراك قَطـرا ومن زا ركَ يَسـقى ترحُّمـا ودُعاءَ

كلُّنـا للردى ولم تُخـلَق الأعـ ـلالُ إلّا ما ببننـا ســفراءَ

واذا كانت الحيـاةُ هى الدا ءَ المعـنِّى فقد عدِمنـا الشفـاءَ

إنمـا هـــذه الأمانىُّ فى النَّفـ ـس سَرابٌ لا يَنقَـــعُ الأظماءَ

---

(١) هام : جمع هامة وهى الرأس . (٢) الحصباء : الحصى . (٣) تظنى بمعنى ظن .

(٤) الكتيبة : الفـرقة من الجيش ، و يقـال : كتيبة شهباء لبياض سيوفها وكثرة سلاحها .

(٥) الماخض : — بغير هاء — هى التى دنا ولادها . (٦) العشراء : التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٧) الضريب . اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء . (٨) أطباء : جمع طبى — بكسر وسكون — حلمة الضرع . (٩) التؤباء : التثاؤب .

وأســودُ الأيامِ لا ترتضى الأجـ ـسامَ قوتاً وتأكلُ الحَــوْباءَ (١)

كم بُزاةٍ شُهْبٍ تَحصَّنُ بالجـ ـوِ فتهــوِى إلى الثرى أَصــداءَ (٢)

غبرَت هــذه الليـالى فلو يُسـ ـئلن أنكرن ما دها "الأذواءَ" (٣)

نحن فى عَتبها الذى ليس يُجدى مثــلُ من حكَّ جِــلدةً جَرباءَ

كلَّما كُرِّر المــلامُ عليهـا فى الإساءات زادهـا إغراءَ

جَــلَدًا أيُّها الأجلُّ أبو "القا سم"، والعَــوْدُ (٤) يحمِـل الأعبـاءَ

أبدا أنت فى النوائب لبّـا سٌ من الصــبر نَثرةً حَصــداءَ (٥)

خُلُقٌ فيك أن تُنجِّى من الكـر ب نفــوسا وتكشِفَ الغَمّـاءَ

ما كرهتَ الأقدارَ قــطُّ ولو جا ءت ببؤسَى ولا ذممتَ القضاءَ

ولك العــزّة التى دونها السيـ ـف نفـاذا (٦) وجُرأةً ومضـاءَ

وفَعــالٌ (٧) اذا وزنَّاه بالوعـ ـدِ اذا قلتَ لم نجــد إقـواءَ (٨)

أُحرُس الأقربين يحرسُـك اللّـ ـهُ وراعِ الأهلينَ والأبنـاءَ

فالجيـادُ العِتاقُ لا تَبــلغُ الغـا يةَ حتّى تستصحبَ الأفــلاءَ (٩)

(١) الحوباء : النفس . (٢) أصــداء : جمع صدى وهو الجسد بعــد الموت .

(٣) الأذواء : ملوك اليمن — لإضافة "ذو" فى الغالب الى أسمائهــم وهى تلزم الإعراب ؛ يقال : مرذويزن ، ورأيت ذايزن ، وسيف بن ذى يزن . (٤) العود : الجمل المسن .

(٥) النثرة الحصداء : الدرع المحكمة السرد . (٦) فى الأصــل « نفادا » وهو تصحيف .

(٧) الفعال : الكرم . (٨) الإقواء : الاختلاف ، وأصله — فى الشعر — اختلاف حركة الروى . (٩) أفلاء : جمع فلو وهو المهر اذا فطم أو بلغ السنة .

وظباءُ الفـلاةِ إن راعهـا القـا نصُ زفّت فآســتدنت الأطلاءَ (١)

وجـــديرٌ بمن شرَى عُنُقَ المجـ ـد فأعنـــلَى أن يُحـرِزَ العليـاءَ

* * *

وقال يرثى أبا نصر بن حميلة صاحب الديوان :

كلّ يومٍ خِلٌّ يُرحَّـــلُ عنّـا وديارٌ معطّـلاتٌ وَمغْـــنَى (٢)

وحبيبٌ فريســـةٌ للمنـايا نجتـــويهِ (٣) كأنه ليس منّـا

أعْلَمتْنَـا مَصـــيرَنا حادثاتٌ لو عملنا يوما بمـا قد علمنـا

هـــذه الأرضُ أمُّنـا وأبونا حمّلتْنا بالكُرهِ ظَهرا وبطنا

إنمـا المرءُ فوقها هو لفـــظٌ فاذا صار تحتهـا فهْـــو مَعنى

لو رجَعنا إلى اليقـين علمنـا أنّنـا فى الدُّنا (٤) نُشـــيِّدُ سجنا

إنمـا العيشُ مـنزلٌ فيـه بابَا نِ، دخَلنا من ذا ومن ذا خرَجنا

مثلَمـا تسرَحُ السَّوامُ الى المر عَى وتُثْنَى عنـه غَدونا ورُحنا

وضروبُ الأطيار لو طِرنَ ماطِر نَ فلا بدَّ أن يراجِعنَ وَكْنا (٥)

يحسَبُ الهِمُّ (٦) عمـرَه كلَّ حولٍ فاذا آستكثر الحسابَ تمنّى

---

(١) زفت : أسرعت فى عدوها ، وفى الأصل «رقت» وهو تصحيف ؛ والأطلاء : جمع طلى وهو ولد الظبية . (٢) المغنى : المنزل . (٣) نجتويه : نجفوه . (٤) الدنا : جمع الدنيا وهى واحدة فاذا جمعت فباعتبار أقسامها . (٥) الوكن : العش — كالوكر — .
(٦) الهم : الشيخ الفانى .

كلُّ شيء يُحصيه عدٌّ ولو كا ن كثيبا من رملِ "يبرينَ"[1] يفنى

والليالى لنا مطايا إذا خـ ـبَّ ت بنا نحـــو غايةٍ بلَّغتنا

مبتـــدانا ومنتهانا سَـــواءٌ فلماذا من الأخـــير عجِبنا

فوُجِدنا من بعـد ما قد عُدِمنا وعُدمنا من بعدِ ما قد وُجدنا

والأريبُ اللبيبُ من وعظتْـه ألسنٌ فى مواضع الموتِ لُكّا[2]

قد رأينا وقد سمعنا لو آنَ الـ ـنَّفسَ ترضَى عينا وتأمن أُذنا

وكأنّا لغـــير ذاك خُلقنا أو ســـوانا بغـير ذلك يُعنَى

كلَّمـا حُقّق الشفاءُ لفنٍّ من سَـقام الأيام أحدثنَ فَنّا

ليس ندرِى متى نُقاد لعَقـــرٍ فبما تَعـرِفُ الحُشاشاتُ أَمْنـا

كلُّنا نجعـلُ الظنونَ يقينا ويقينُ الأمور يُجعَـلُ ظنّـا

خُـدَعاتٌ من الزمان إذا أبـ ـكين عينا منهنّ أضحكن سنّا

كلُّ يومٍ تأتى به يومُ نحـــرٍ و"مِنًى"[3] حيثُ شاء سهلا وحَزنا

ليس يُغنى عن النفوس فداءٌ فضَـياعٌ[4] نَعُقُّ عنهنّ[5] بُدْنا

والمليـكُ الهمامُ بالجحفـلِ[6] المجـ ـر لسمعِ الردَى يُقعقِـع شَـنّا[7]

---

(١) يبرين : موضع مشهور بكثرة رماله . (٢) لكن : جمع ألكن وهو العى الذى ثقل لسانه .

(٣) الحزن : الوعر من الأرض — وهو ضد السهل — . (٤) نعق : تذبح عنها فداء لها .

(٥) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدم للنحر . (٦) الجحفل المجر : الجيش العظيم بكثرته .

(٧) الشن : القربة البالية .

لو درتْ هـذه الحمـائمُ ما ند ... رى لمـا رجَّعتْ على الغصن لَحنا

طابِـع الأسهم الصوائبِ لم يخـ ... ـلُقْ لأهـدافهنّ عَمـــدا مِجَنّا (١)

نتـــوارى بالسـابرى (٢) وننسَى ... من وراء الضلوعِ ضربا وطعنا

غَشِيَ الدهرُ أهـــلَه بجنـودٍ ... أسَرتْهُ وليس يعـــرِفُ منّا

بين بُلقٍ (٣) منـه يُغير بهـا الصبـ ... ـحُ وأخرَى دُهْمٍ (٤) توافيك وَهْنا

هو إما روحُ الحيـاة وإلا ... فحيـاةٌ تظـلُّ فيهـا مُعـنّى

وكأنّ المنـونَ حادى ركاب ... ردّ ظُعْنـا عنـــه وقدّم ظُعْنا (٥)

مَوردٌ غصّ بالزحـامِ فـلولا ... ســـبقُ من جاء قبلَنا لوردنا

وأرَى الدهرَ مُفردا وهو فى حا ... لٍ يشُنّ الغـاراتِ هَنًّا وهَنّـا

كصَفاةِ (٦) المسيلِ لا ترهَبُ الليـ ... ـثَّ ولا ترحم الغـزالَ الأغنّا

ما عليه لو أنه كـان أبـقَى ... من "أبى نصرٍ" المهذبِ رُكنا!

والدا للصـــغير بَرًّا وللتـ ... ـتِّ (٧) بِ أخًا مشفقا وللأكبر آبنا

غُصُنٌ إن ذوَى فقد كان منه ... ثمـراتُ الخـلائق الغُـرّ تُجنَى

---

(١) المجن : كل ما وارى من سلاح . (٢) السابرى : الثوب الجيد — منسوب الى سابور على غير القياس — وسابور بلدة مشهورة بعمل الثياب الجيدة . (٣) بلق : جمع أبلق وهو — من الخيل — : الذى فيه سواد و بياض . (٤) دهم : جمع أدهم وهو الأسود من الخيل . (٥) ظعن : جمع ظعينة وهى البعير يعتمل و يحمل عليه . (٦) الصفاة : الصخرة الصلبة . (٧) التِّرب : الذى يولد معك فى سنك .

إن أَملناهُ بالمقـالِ تلوّى (١) أو هززناه للفَعـال تثنّى

من ذيولِ السحاب أطهرُ ذيلا (٢) وقميصِ النســـيم أطيبُ رُدْنا

ما مشتْ فى فؤاده قَـدَم الغـ ـشّ ولا أسكن الجوانح ضِـغْنا

إن يكنْ للحيـاءِ ماءٌ فما كا (٣) نَ له غـــيرُ ذلك الوجه مُزْنا

لهفَ نفسى على حسام صقيلٍ (٤)(٥) كيف أضحت له الجنادلُ جَفنا

وعتيقٍ أثار بالسَّـــبقِ نقعا (٦) فغـــدا فـوقه يُهـال ويُبْنَى

ونفيسٍ من الذخائر لم يؤ مَن عليه فاستُودِع الأرضَ خَزْنا

أودعوا منه فى الضرائح كافو (٧) را ومسكا ومنـــدَلياً (٨) ولبْنَـا

أغمِض العينَ بعده، فغريبٌ أن ترى مثـــلَه وأين وأنّى

أىّ نورٍ أطفأتَ يامُهَريقَ (٩) الـ ـماء فوق الجسم المكلَّل حُسنا

خـــتَمَ الضُّـمَّر العِتاقَ وخلّى (١٠) فى الأَوارىّ مُقـرَفات (١١) وهُجْنا

عرفوا قدرَه كما تُعـرفُ الشـ ـمسُ ومقدارُها اذا الليلُ جَنّا

ما رأينـا طودَ الخـلافةِ إلّا ووجدناه عادماً منـــه (١٢) رَعْنا

(١) الفعال : الكرم . (٢) الردن : الكم . (٣) المزن : السحاب . (٤) الجنادل : الحجارة . (٥) الجفن : غمد السيف . (٦) النقع : الغبار . (٧) المندلى : العود — منسوب الى مندل وهى بلدة فى الهند — . (٨) اللبن : الكندر وهو معروف باللبان . (٩) المهريق : الذى يصب الماء ويريقه . (١٠) الأوارى : جمع آرى وهو محبس الدابة ، أو هو حبل تشد به الدابة فى محبسها . (١١) المقرف — من الخيل — ما كان أبوه غير عربى والهجين ما كانت أمه غير عربية . (١٢) الرعن : أنف يتقدم الجبل .

فالقصورُ المشيَّداتُ تُعـــزَّى والقبـــورُ المبَعـــثَراتُ تُهنَّا

ما عجِبنا كيفَ آشترته الليـالى بل عجِبنا كيف آختُدِعنا فبِعنا

ليتَه حين كان دَينـا مع الفقـ ـر إليـــه بقبضـــه أجَّلتنـا

وآستبدَّتْ بمن أرادت فداءً وآعتزاما وإن أحبَّت فرَهْنـا

لو علِمنا أنَّ التفجُّعَ يُدنيـ ـك بكينا دون النساءِ ونُحْنـا

وآختضبنا دمَ المحـاجرِ صِرفًا إن أماطَتْ بنـانُهن (١) اليَرَنَّا

ونزحنا الدمـوع سَحًّـا وو بلًا وأقمنـا الضلوعَ وجدا وحُزنا

غيرَ أنّ الدارَ التى أنت فيهـا منزلٌ من به أناخ (٢) أَبَنَّـا

لاخَطَا تُربَك السحابُ (٣) المصرَّى أو تؤدَّى فروضُـــه وسُنَنَّا

كلَّما أوسعتْ خُطاه (٤) النَّعـامَى أثقلتـــه أوساقُـــه فأُعنَّـا (٥)

حسِبَ القَطرُ رعدَه نقرَ دُفٍّ فتعاطَى على البسيطةِ (٦) زَفْنـا

وقليـلُ الجدوَى مقالَى يا أطـ ـلالُ، حتى سُقيتِ رَبعًا ومَغنَى

وعزيزٌ علىَّ أن صِرتَ فى نظـ ـم القوافى تُسْمَى لنَدْبٍ وتُكنَى

---

(١) اليرنا : الحناء . — وفيها لغات يرجع اليها فى المعجمات — . (٢) أبن : أقام .

(٣) المصرى : الذى آجتمع ماؤه ، وأصله : ضرع الناقة لا يحلب حتى يجتمع اللبن فيه . (٤) النعامى : ريح الجنوب . (٥) أعن : حبس بالعنان . (٦) الزفن : الرقص .

* * *

وقال يعزّى أبا القاسم بن أيّوب عن زوجةِ أبيه أبى المعالى بن عبد الرحيم :

لامِريَةٌ فى الردَى ولا جدَلُ ... العمر دَيْنٌ قضاؤه الأجلُ

للمرء فى حتفِ أنفِه شُغُلٌ ... فما تريد السيوف والأسَلُ؟ (١)

يَفرِى الدجَى والضّحى بأسلحةٍ ... سيّانِ فيها الدروعُ والحُلَلُ (٢)

فأنجمُ الليل كالأسنةِ والـ ... ـصُّبحُ حسامٌ له الورى خِلَلُ (٣)

ياليت عمرَ الفتى يُمَدُّ له ... ما آمتدّ منه الرجاءُ والأملُ

موارِدٌ هذه الحياةُ وما ... نصدُرُ عنها إلّا بنا غُلَلُ

نكرَعُ فى حَوضها ونحن كما ... تُذاد من بَعد خمسها الإبلُ (٤)

كأسٌ أدرَّت على لذاذتها ... عُدّل فيها الزُّعافُ والعسلُ (٥)

كلٌّ إلى غايةٍ يصير ولا ... تمييزَ إلا الإسراعُ والمَهَلُ

والناسُ ركبٌ يَهوِىْ حثَّهُمُ ... ولا يُسَرُّون أنّهم نزلوا

وسوفَ تُطوَى مسافةٌ ذَمَلتْ (٦) ... بقاطعيها ركائبٌ ذُلُلُ (٧)

كيف يَعُدُّ الدنيا له وطنا ... من هو ينأَى عنها وينتقلُ؟

---

(١) الأسل : الرماح . (٢) يفرى : يشق ويقطع . (٣) الخلل : جمع خلة وهى غمد السيف ، أو هى بطانة يغشى بها غمده . (٤) الخمس : من أظماء الإبل وهو ورودها الماء فى اليوم الرابع بعد رعيها ثلاثة أيام . (٥) الزعاف : السم القاتل . (٦) ذملت : سارت الذميل — وهو ضرب من السير — . (٧) الذلل : المنقادة .

نسْخوا بأعمـارنا ونبخـل بالـ ـمال فتَبًّ السخاءُ والبَخَـلُ

ونبتغى البرءَ عند من يُسرع السـ ـسُّقمُ اليـــه وتَصرَع العِلـــلُ

أضاع راقى الداءِ العضـالِ كما ضُيِّـع فى سمـع عاشقٍ عذَلُ؟!

ولو نجـا الهائبُ الجبانُ من الـ ـحتف تحامَى إقدامَه البطلُ

ما أسلموا هذه النفوسَ إلى الـ ـأجداث إلا إذ ضاقت الحيلُ

ضرورةٌ ذلّت القُـــرومُ(١) لهـا وقد تقودُ المَصاعبَ(٢) الجُـدُلُ(٣)

وخفَّف الخطبَ بعـد شدّته أَنْ كُلُّ حىّ لأمّه الهَبَـلُ(٤)

ومن حِذارٍ تبـوّأَ الكُدْيَةَ(٥) الـ ـضـبُّ(٦) وأوفَى فى الشاهقِ الوَعِلُ(٧)

لا الجوّ يُنجِى الشغواءَ(٨) حائمـةً ولا سبوحٌ فى لُجّـةٍ يئـلُ(٩)

يُقتـادُ فى عزّه الخُبَعْثِنَةُ(١٠) الـ ـضـارِى ويُدهَى فى ذلّه الجُعَـلُ(١١)

والحافظو عَورةِ العشـيرةِ لا يـ ـهرِ إذا شنّ غارةً عُزُلُ(١٢)

أىّ ديارٍ تُحمَى وقـد راع "تا جَ الدِّين" خطبٌ أنيابُه عُصُلُ(١٣)

---

(١) قروم : جمع قرم وهو الفحل العظيم من الإبل . (٢) مصاعب : جمع مصعب وهو الفحل لا يركب لكرامته . (٣) جدل : جمع جديل وهو الزمام المجدول من أدم . (٤) الهبل : الثكل .

(٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب لينخذها جحرا . (٦) الشاهق : الجبل العالى .

(٧) الوعل : تيس الجبل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل "الشعواء" وهو تصحيف .

(٩) يئل : ينجو . (١٠) الخبعثنة : الأسد . (١١) الجعل : ضرب من الخنافس . (١٢) عزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه ، وفى الأصل "عذل" وهو تحريف .

(١٣) عصل : عوج ، واحدها : أعصل .

مستلبا من يديه لؤلؤةَ الـ ـغوّاص أدنى أصدافها الكِلَلُ (١)

ما كان يُدرَى من قبلِ ما غربتْ أنَّ الثريّا إلى الثرى تصـــلُ

يابؤس للنـائبات كيف أرت أُخوة الفرقـــدينِ تنفصـــلُ

وإن عجبنا منها فـــلا عجبٌ للشمسِ وارَى جبينَها الطَّفَلُ (٢)

لم يرتد المجـــدُ إذ أصيبَ بها ولا مشى العزُّ وهو منتعـــلُ

سليـــلةٌ من سـوابقٍ درَجوا أمامهَـا فاستخفَّها العجَـــلُ

من الخـدورِ التى بها احتجبوا إلى القبـــور التى بها نزلـــوا

تُنحـــرُ فى "مكّة" العِشارُ ولا (٣) تُنحـــرُ إلا عليهـــم المُقَـــلُ

مهلا فما يربح الحزينُ ولا يخسرُ إلا غناءَه الجَـــذِلُ (٤)

وهل يردُّ الأحبابَ إن رحلوا على محبٍّ أن يُندَب الطلَلُ ؟

حُوشيتَ من جلسةِ العزاءِ وأن يُضربَ فى أســوةٍ لك المثلُ

كم قـد هَوَى من سمائكم قمرٌ وغار فى الأرضِ منكمُ جبـلُ

فما سكبتم له ذَنوبا من الـ ـدمع ونارُ الأحزانِ تشتعلُ (٥)

ودّعتُموه كأنكم شُمُتٌ أو العِـــدَى عنكمُ قد ارتحلوا

إذا مَراثى أحبابكم تُليتْ سمعتموها كأنها غَزلُ

(١) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٢) الطفل : حمرة الأفق قبل غروب الشمس .

(٣) العشار : الإبل التى مر على حملها عشرة أشهر ؛ واحدها عشراء . — مثـل نفساء ونفاس ولا ثالث لهما — . (٤) الجذل : المسرور . (٥) الذنوب : الدلو .

فليس ندرى من صخرةٍ نُحتتْ (١) قلوبُكم أم دموعُكم وَشَلُ؟

وأنتمُ هَجْمَـــة (٢) تقـاربتِ الـ ـأســنانُ فيها فكلُّها بُزُلُ (٣)

فظاعنٌ عنكُمُ (٤) له خَلَفٌ وذاهبٌ منكُمُ له بدلُ

للدهر نُعمى ومنَّـــةٌ ويدٌ ما قام فى النـاس منكُمُ رجلُ

وقال يمدُح عفيفا القائمىّ :

لأىِّ مَرمًى تَزجُرُ (٥) الأياقِـا إن جاوزتْ «نجدا» فلستَ عاشقا

وإنما كان بكائى حاديا ركبَ الغرام وزفيرى سائقا

مذ ظعَـــنوا (٦) علمتُ أنى منهمُ أشـــيمُ فى أعلى السحابِ بارقا

أيا غرابا قـــد نعقتَ بهِـــمُ فكن على آثارهم بى ناعقا

سائلْ شمُوسا ضربتْ حُولها من شُـقّة البين لها سُرادقا

لِمْ جَعَلتْ أعينـا مَغاربا واتّخـذت خُدورَها مَشارقا

وكيفَ لاتحرُسها خيامُها وكل طَرفٍ قد أتاها سارقا

قُلّدت الدرَّ فما شككتُ أن قـد نُظمتْ ثغـورُها مَخانِقا (٧)

واستهدت الخصـــورُ من بَنانها خـــواتما تلبَسها مَناطقا

رميتم القلبَ وظـــنّى أنكم تُخطون إذ ترمون شيئا خافقا

(١) الوشل : الماء القليل فى مستنقع . (٢) الهجمة : القطيع من الإبل دون المائة .

(٣) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل . (٤) الظاعن : الراحل ، وفى الأصل «فطاعن» وهو تصحيف .

(٥) الأياق : جمع ناقة . (٦) ظعنو : رحلوا . (٧) المخنقة : القلادة .

فلم يكن أوّلَ ظنٍّ كاذبٍ؛ من يدفعُ الأمرَ أتى موافِقا؟!

جراحةُ الأنصلِ (١) إنْ (٢) سبرتها تشهدُ أن السهمَ كان مارقا

آحبِس دمعى فينِدُّ شاردا كأننى أضبِطُ (٣) عبدا آبقا

ومن مُحاشاةِ الرقيب خِلتُنى يومَ الرحيل فى الهوى مُنافقا

كم لىَ فى الظَّلماء من وقائعٍ أسَرتُ فيهنَّ الخيالَ الطارقا

لما أتانى فى عجاجةِ (٤) الدّجَى مارسَ منّى فارسا مُعانقا

ما آستوقفتنى الدارُ عن طِلابهم وإن جلَتْ للعين مَرأًى رائقا

إذا رأيتَ القَطرَ يُحيى عُشبَها أبصرتَ مخلوقا بها وخالقا

يُنبِتُ فى هامِ الربى ذوائبا يُضحى لها خدُّ المَصيف حالقا

فاشتملت تِلاعُها (٥) رَفارفا (٦) وأتزرتْ أهضابُها نَمارقا (٧)

وغنّت الحمامُ فى عيدانِها تُحسَبُ فى أفنانها «مُخارقا» (٨)

وهبَّ نجدىُّ الصَّبا تحسَبهُ فارةَ مِسكٍ (٩) فى ثراها فاتِقا

فما رأيتُ الركبَ إلا لامسًا أو ناظرا أو سامعا أو ناشقا

بُعدًا لدهرٍ إن قَرَى أضيافَه سقاهمُ ماءَ الأمانى ماذقا (١٠)

(١) الأنصل : جمع نصل وهو حديدة السهم . (٢) سبرتها : خبرت غورها .
(٣) الآبق : الهارب . (٤) العجاجة : الدخان والغبار ، — والمراد بها الظلمة — .
(٥) تلاع : جمع تلعة وهى ما آرتفع عن الأرض . (٦) الرفرف : ثياب خضر — وهى مجاز — .
(٧) نمارق : جمع نمرقة وهى وسادة يتكأ عليها . (٨) مخارق : مغن مشهور . (٩) فارة المسك : وعاء المسك — ويسمى النافجة أيضا — .
(١٠) الماذق : المشوب المخلوط .

قد كسَد الفضلُ به فما تَرى ... فى ســـوقهِ للفضل عِلْقا(١) نافقـا

ومعجزٌ أنَّ لسـانى ناطق ... عند زمانٍ أخرَسَ الشَّقاشِقـا(٢)

أكثرُ من تَخـــبُرُه من أهـــلهِ ... يَظهَر فى دِينِ الوداد فاسقـا

غدرٌ يغطِّى الذئبُ منـــه وجهَهُ ... ويُخجِلُ الخِلَّ الودودَ الواثقا

مَعـاشرٌ قـــد حَفـــرَ اللؤمُ على ... حريم أمـــوالهِمُ خنَـادقا

سيّان إن عُرِضتُ طِرْفا(٣) صاهلا ... عليهِمُ أو عُدتُ عيرا(٤) ناهقـا

طلبتُ منهم بَيْعةً على [يدى](٥) ... فلم أجدْ منهم لكفِّى صافقـا

إلا «جمال الدولةِ» المعطى الندى ... على ٱنتهـابِ رِفده مَـــواثقـا

لو أمسكتْ بنـانُه معروفَه ... لأصبحتْ من كفِّه طَوالقـا

من حَسَـــدٍ ظَلَّ الغمامُ باكيا ... بقَطـــره وبالرعود شـاهقا

لقَّنـــهُ الطبعُ الكريمُ صُحُفـا ... من مذهب الجودِ بخـاء حاذقا

ما إن رأينـا قبـلَه ولا نرى ... من بعدِهِ وعدَ الأمانى صـادقا

إن تُلقَح الآمالُ من ميعـادهِ ... فعن قليـل ستراها فارقـا(٦)

مكارمٌ تُسكِنه فى جَنّـةٍ ... قد غرَس الشكرُ بهـا حدائقا

---

(١) العلق : الشىء النفيس . (٢) الشقشقة : لهاة البعير . (٣) فى الأصل «أعرضت» . والطرف : الجواد . (٤) العير : الحمار . (٥) ليست فى الأصل ، ولعلها أقرب الى ما يتطلبه الصواب . (٦) الفارق : من الدواب التى أخذها المخاض فندت فى الأرض أو هى الناقة التى تفارق إلفها فتنتج وحدها .

من عاش كان ناطقا بحمده ... ومن توى (١) أودعه المهارقا (٢)

إن قلتَ : ما أحسنَه شمائلا ... قلتَ : وما أكرمَـــه خلائقـا

مُكرِّرٌ (٣) للمكرمات قائـــلا ... بكأسها (٤) وصابحا (٥) وغابقـا

لا يحسُن المديحُ عنـــد غـــيره ... ولا تراه بســـواه لائقـا

جـــدَّد فى سُبُـل المعالى طُرُقا ... وزاد فى حدِّ النـــدَى طرائقـا

يوماه إما لِطِـــرادٍ يَصطفِي الر ... جالَ والســـلاحَ والســـوابقـا (٦) ،

أو طَرْدٍ (٧) جمَّـــعَ من أَداتِهِ (٨) الـ ... ـفهودَ والكلابَ والسَّواذقا (٩)

فتـارةً يصرَعهـــم فوارسا ... وتارةً يصـــيدها خَـــرانقا (١٠)

لـــو لم تكن تُطـــربُه الحربُ لمَـا ... كان لِسربال العَجاج (١١) خارقا

لولاه ما كان السِّنانُ طاعنـا ... يوم الوغى ولا الحسـامُ فالقـا

إذا الكماةُ لبِســـوا دروعَهـــم ... أقاحيـا (١٢) أعادها شـــقائقـا (١٣)

لو هَزّ فى يمينـــه مخَـاصـــرا (١٤) ... أرســـلها ببأســـه صـــواعقا

---

(١) توى : مات . (٢) المهارق : الصحف البيضاء يكتب فيها ، واحدها : مهرق — بضم فسكون ففتح — فارسى معرّب . (٣) القائل : الشارب فى نصف النهار أى فى قائلته . (٤) الصابح : الشارب صباحا . (٥) الغابق : الشارب عشية . (٦) السوابق : الخيـــل . (٧) الطرد : الصيد . (٨) فى الأصل «اذاية» وهو تصحيف . (٩) السوذق : الصقر ، وقيـــل : الشاهين . (١٠) الخرنق : — بكسر الخاء — . الفتى من الأرانب . (١١) العجاج : غبار الحرب . (١٢) الأقحوان وجمعه أقاح : نبات أبيض . (١٣) الشقائق : نبات أحمر . (١٤) المخصرة : عصا صغيرة يأخذها الملك فى يده .

لا يقتنى إلا حساما جاهـــلا ... ولا يُعِـــدُّ الرمحَ إلا مائقـا (١)

إن شئتَ أن تعـــلم ما فعلاهمـا ... فاستخبر الضـــلوعَ والمَفـارقا (٢)

ليس يبـالى بالأعادى بعـــد ما ... يَعُـــدُّ ذؤبانَ (٣) الفلا أصادقا (٤)

إن أَعضـــلَ الأمرُ فنـاطوهُ به ... كان المصـــلِّى (٥) والنجاحُ السابقـا

لذا ارتقى عنـــد الإمام ذِروةً ... وحلَّ من رأى المليـــك شاهقـا

لاحطَّتِ الأيّام عنـــك رتبـــةً ... ولا أراك الدهرَ إلا سابقـا

تدوم مادام الزمانُ آمرا ... أو ناهيـا وفائقـا وراتقـا

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

رأيت الحُبَّ ليس يُنـال إلا ... بحـــظٍّ من جَمـالٍ أو نوالِ

وأنت من القباحةِ ذو نصيب ... حقيـــق بالتصارم والتقـالى (٦)

وما سترتْ عيوبَك عن عيونٍ ... بَصيراتٍ يداك ببـــذلِ مالِ

فأيّة خَـــلّةٍ غرّتك حـــتى ... خطبتَ بهـا مَوذاتِ الرجالِ

---

(١) المائق : الأحمق الغبى . (٢) مفارق : جمع مفرق — كمجلس ومقعد — وسط الرأس . (٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) أصادق : جمع صديق .

(٥) المصلى : الجواد الثانى فى الحلبة ، والأول : المجلى وهو السابق . (٦) التصارم : التقاطع ، والتقالى : البغض .

وقال فى مثله :

أثَرَوْا فما عـــلِمَ آمرؤٌ إثراءَهم ... فلو آمَلقوا لم يعـــلم الإملاقُ

سِـــيَّانِ إثراءُ اللئـــيم وعُدمُه ... إن الدراهمَ عَرفُها الإنفـاقُ

وقال فى الخمر :

وســـلافةٍ بُزلت فأبرزَ دَنُّها (١) ... ذهبًا يُرصَّـــعُ عَسجدا إبريزا (٢)

خَبرَ النَّـــدامى فعلّهـا فإذا بِهِ ... كالمـال يرجِعُ بالذليل عزيزا

فتناهبوها غـــيرَ شكّ، إنهـم ... وجدوا بها مِلءَ الدِّنان كنوزا

وقال فى الغزل :

بدا ضاحكا لا لأحظَى بما ... تُسَرُّ به النفسُ من بِشره

ولكن رأى وجهَه مقمرا ... فأبدَى كواكبَ من ثغره

وقال فى مثـــله :

أضـــدَّانِ فى جســـدٍ واحدٍ ... مقيمان قد جعـــلاه قَـــرارا

دموعٌ من العين فيّاضـــةٌ ... ووَقدٌ من القلب يَرمِى شَرارا

كأنّى من السُّـــحُبِ النار يا ... ت يَحملنَ فيهنَّ ماءً ونارا

(١) الدن : إناء كبير توضع فيه الخمر كالراقود ، وجمعه : دنان .

(٢) العسجد الإبريز : الجوهر الخالص — كالدر والياقوت — .

وقال لبعض الرؤساء :

شُـدُّوا على ظهر الصِّبا رَحلى ... إن الشبابَ مطيَّـةُ الجهلِ

إن أُحرِزتْ نفسى إلى أمدٍ ... دبَّرتُهـا فى الشَّيبِ بالعقـلِ

إن المغـرَّبَ فى مواطنـه ... من عاش فى الدنيـا بلا خِلِّ

وإذا الفـؤاد ثوى بلا وطرٍ ... فكأنه ربعٌ بلا أهـلِ

من للظباء سـواى يقنِصُها ... إن أسكرتنى خمرةُ العـذلِ؟

أوغلتُ فى خوض الهوى أنَفًا ... للقلب أن يبـقَى بلا شُـغلِ

وحذِرتُ سُـلوانا فسُمتُهُـمُ ... أن يحَـرِمونى لذّةَ الوصـلِ

فضَلَتْ دموعى عن مدَى حزَنَى ... فبكيتُ مَن قتَـل الهوى قَبلى

ما مرّ ذو شَجنٍ يكتِّمـه ... إلا أقـول : متيَّم مثـلى

يُخفى — ولا يَخفَى على نظرى — ... عَـلَم الخضوع ومِيسَم الذلِّ

يا فاتكا أضـراه (١) أنَّ له ... قَتْـلَى بلا قَوَدٍ (٢) ولا عَقْـلِ (٣)،

لِمَ لا تُريقُ دَمًا وصاحبُـه ... لك جاعلٌ فى أوسع الحِـلِّ؟

بُعـدًا لغِزلان الخدور لقـد ... كُفَلَتْ مَحاجرُهنَّ بالخَتْـلِ (٤)

يرمين فى ليـلِ الشبابِ لكى ... تَخـفَى علىَّ مواقعُ النبـلِ

---

(١) أضراه : أغراه . (٢) القود : القصاص . (٣) العقل : الدية .
(٤) الختل : الخداع .

لو لم يُرُدْ بى الســـوءَ خالقُها ما ضمَّ بين الحسن والبخلِ

اِقذف عدوَّك، إن أردتَ به دهياءَ، بين الأعين النُّجل

يبلُغنَ كلَّ العُنفِ فى لَطَفٍ ويَنلنَ أقصى الجِـــدِّ بالهزلِ

هبْهم لَوَوْا وعـدِى، فطيفهُمُ من ذا يحسِّره عـــلى مطـــلى؟

قـــد كدتُ أُنهِكهُ معاقبـــةً لولا آدّ كارى حُرمةَ الرُّسْـــلِ

وعهودُكم "بالرَّمل" قد نُقضتْ وكذاك من يبـــنى على الرملِ

إن ازمعوا صرما فلِمْ عقَـدوا يومَ "الكثيب" بحبلهم حبلى؟

لا يوثِق الأُســـراءَ بينهُـــمُ إلا رِشاءُ (١) الفـاحِم (٢) الرَّجْـــلِ

كيف الخلاصُ ومن قدودهمُ وخدودهم ونهـودهم عقـــلى (٣)

وإذا الهوى ربَط النفوسَ فما يُغنيـك حَلُّ يدٍ ولا رِجْـــلِ

صحبى الألى أزجَـوْا مطيَّهُـمُ حتى أناخوها "بذى الأَثْلِ"

من يطَّلِـعْ شَرَفا فيعلمَ لى هـــل روَّح الرُّعيـانُ بالإبلِ؟

أم قعقعَتْ عَمَدُ الخيام أم آر تفعَتْ قِبـابهُمُ (٤) عـــلى البُزُلِ (٥)؟

أم غرَّد الحـادى بقافيـــةٍ منها غرابُ البين يستملى؟

إنى أحاذر من رحيلهـــمُ ما حاذَرَتْ أُمٌّ من الثُّكلِ.

---

(١) الرشاء — فى الأصل — : حبل الدلو — والمراد به هنا الغدائر — . (٢) الفاحم الرجل : الشعر الأسود الكثيف . (٣) العقل : الربط . (٤) فى الأصل « قيامهم » وهو تحريف . (٥) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل .

إن كان ذاك ، فصادَفوا لَقَماً (١) يعمَى الدليـــلُ به عن السُّبْلِ

رفقا فلست أُطيق أحمـلُ ما حَمَلَ "الأجلُّ" لنـا من الثِّقلِ

وهو الذى كلٌّ يُقـرّ لـه يومَ الفخار عليـــهِ بالفضلِ

أَغلتْ مكارمُه المهـــورَ على تزويج بِكرِ القـول بالفعـلِ

وحبَـا العفـاةَ وهم بدارهمُ حـــتى دَعَوه جامعَ الشمـلِ

يعطيـك فى عُسُر وفى يُسُرٍ ويُنيـل من كُثْرٍ ومن قُـــلِّ

مثل السـحابةِ ما تُغبُّك فى الـ ـحالاتِ من وبل ومن طـلِّ

فكأنما أوحَى إلى يده أن تقتـلَ الإملاقَ بالبـــذلِ

شجـر من المعـــروف أنبتهـا تختال فى ثمـــر وفى ظـــلِّ

ومناهـــلٌ إن يرِضَ واردها بالنَّهْـل (٢) يجـــبُرْهُ على العَـــلِّ

ظنّـا بأن الفـــرضَ ليس له حمـــدٌ وأن الشكـرَ (٣) للنَّفلِ

لعـــدوّه ما للصـــديق به والغيثُ رزقُ الحَزِن (٤) والسهلِ

وإذا السماء غدت كأنّ على أبوابها قُفـــلا من المحَـــلِ ،

وجدوا الغمامَ (٥) قلائصا (٦) غَرِضتْ بالسير من جهـد ومن هُزْلِ (٧)

---

(١) اللقم : معظم الطـريق .
(٢) النهـل : أول الشرب ، والعـل : ثانيه .
(٣) النفل : ما يفعل مما لم يجب فعله .
(٤) الحزن : الوعر من الأرض ضد السهل .
(٥) قلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل .
(٦) غرضت : ضجرت وملت .
(٧) الهزل : الضمور .

وٱستحسن الكرماءُ من سَغَبٍ (١) أن يبعثوا بذخائر النمـلِ

فى شَتـــوةٍ شمـطاءَ عانسـةٍ عزَّ الرَّضاعُ بها على الطفـلِ،

بكَرت انامـــلهُ بغـاديةٍ (٢) تكسو البـلادَ مَلاحفَ البَقْلِ

وكأنما الأنـــواءُ حائـلةٌ (٣) عجفـاءُ تَرمُحُ (٤) حالبَ (٥) الرِّسْـلِ (٦)

بلغَ المدى ، والتابعون له متعثرون بزَلّة النعـــلِ

لوقُلّد الشجعانُ عزمتَـه لغَنُوا عن الهِندىِّ ذى الصقلِ

حُنِيتْ أضالعُـــه على همـم مخـــلوقة للعَقـــد والحَـــلِّ

لا يدّعِى إقـــدامَه أحـدٌ وإن ٱدعاه فوالدُ الثُّبلِ

ما يذعَرُ الخصماءَ من فُطُـمٍ (٧) ترميهـــمُ (٨) بشقـاشقٍ تغَـــلى؟!

أبدا يفِـــرُّ صريعُ منطقـه (٩) منـه إلى الخَطّىّ (١٠) والنَّصـــلِ

يرنو الزمان إلى معـانده (١١) حنَقًا عليـه بأعينٍ قُبْـلِ

فى كفِّـه صمَّـاءُ (١٢) ضـامرةٌ (١٣) سرَقَتْ شمائلَها من الصِّلِّ

---

(١) السغب : الجوع . (٢) الغادية : السحابة تمر فى الغدوة . (٣) الحائلة : التى لم تحمل . (٤) العجفاء : المهـزولة غير السمنة . (٥) ترمح : تدفع . (٦) الرسل : اللبن . (٧) فطم : جمع فطيم وهو ما فصل عن الرضاع . (٨) شقاشق : جمع شقشقة وهى لهـاة البعير يهدر بهـا . (٩) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى بلدة تباع فيها الرماح ولا تنبت بها — يقال : رماح خطية — على الوصف ، ورماح الخط — على الإضافة — . (١٠) النصـل : السيف . (١١) قبل : جمع قبلاء وهى العين التى أقبل سوادها على الأخرى . (١٢) الصماء : الحية ، — والمراد بها هنا القلم على التشبيه — . (١٣) الصل : الثعبان .

سـمُّ الأسـاودِ (١) فى نواجذهـا (٢) وإن أغتذت بجُاجةِ النحـلِ

ما حُكِّمتْ فى أمرِ مُشكلةٍ إلا أتت بقضـيَّةٍ فَصـلِ

من مثـلُه لقـراع نائبـةٍ فيهـا فراق العِرْس للبَعـلِ!

هيهات أن تلقَ مشابَهه ؛ أمُّ الصقـورِ قليلةُ النسـلِ

* * *

وقال وكتب بها الى الشريف أبى جعفر بن البَيَاضىّ (٣) يداعبه :

مرضٌ بقلبك ما يعـادُ وقتيـلُ حب لا يقادُ (٤)

يا آخـر العشّـاق، ما أبصرتَ أوّلهم يذاد؟ (٥)

يقضِى المتـيَّم منهـمُ نحبا ولـو رُدُّوا لعـادوا

ملكوا النفوسَ فهل لنـا من بعـدها ما يستزادُ

أبدا جنـاياتُ العـيو ن بحَـرِّها يَصلَى الفـؤادُ

ما خلتُ غِزلان "اللِّوى" كظباءِ "مكَّةَ" لا تصادُ

يقظـان تَنصـلُ (٦) أحبُلى عنهـا ويقنِصهـا الرقادُ

بالعـذلِ تُوقَـد لوعتى وبقَـدحه يُورَى الزِّنادُ

لم يسـتطعْ إطفـاءَها دمعٌ كما أخـرقَ المَـزادُ (٧)

(١) أساود : جمع أسود وهو الثعبان . (٢) النواجذ : الأنياب . (٣) نسبة الى « بياضة » بطن من الأنصار، أو نسـبة الى جماعة نسـبوا الى لبس الثياب البيض ببغـداد .
(٤) لا يقاد : لا يدفع قوده وهو الدية . (٥) يذاد : يدفع . (٦) تنصل : تنفصل .
(٧) المزاد : وعاء يوضع فيه الزاد .

لا تنكرا جُرحى فلا ... عذّال ألسنةٌ حِـدادُ

طمعٌ وأنتَ "برامـةٍ" ... فيمن تضمّنه النِّجادُ؟ (١)

والحيّ قـد هبَطَتْ خيا ... مُهُـمُ وقعقعت العمادُ

والوَردُ من زَهرِ الخـدو ... د كِمامهُ الكِلَلُ الوِرادُ (٢) (٣) (٤)

لـو يسمحون بوقفـةٍ ... أبَت المطايا والجيادُ

ظعنـوا بأقمـارٍ علـ ... ـيها تُحسدُ الكومُ الجِلادُ (٥)

ولأجلها غَبَـط الغَبيـ ... ـطَ حجابُ قلبي والسوادُ (٦)

فيقـول : أيّ الحالتيـ ... ـن أشدُّ ؛ هجرٌ أم بعادُ؟

تعفـو المنـازلُ إن نأَوا ... عنها وتغـبرُّ البـلادُ

والحـبُّ أولَى بالبِـلى ... شـوقا إذا بَلِيَ الجمادُ

ما ضرَّهم ، والحسـنُ لا ... يبـقَى ، لو آمتنُّوا وجادوا !

أتُرى حرامٌ أن يُرَى ... فى النـاس معشوقٌ جوادُ؟!

لعبٌ مفاتيحُ الهـوى ... والحـرب أوّلُهـا طِـرادُ

أوَ ما رأيت فتى قـري ... ـشٍ" وهو للجُـلّى عَتـادُ،

وله المعـانى المسـتد ... قّةُ والكـلامُ المستفـادُ،

---

(١) النجاد : حمالة السيف . (٢) الكمام : جمع كم وهو ما يغطى الزهر من الورق الأخضر .
(٣) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٤) الوراد : الحمر كالورد . (٥) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٦) الغبيط : الرحل يشد عليه الهودج .

وأَصـالةٌ فى الرأى بالـ ـسِّحر المـوشّى لا تُكادُ،

وشـواردٌ فى القـول قد قُرِنتْ بهـا السَّبعُ الشِّدادُ،

"كالهرقليَّاتِ"(١) النـوا صعِ ليس يَنفيهـا آنتقادُ،

فكأنه "قُسٌّ"(٢) "وها شُمٌ"(٣) حولَ منطقِهِ "إيادُ"، :

كيف آرتعَى زَهرَ الصبا بةِ، والغـرامُ له قيـادُ

بعـد التخيُّـل والمِـرا حِ ونَى وذلّلـهُ القيـادُ

نشوان لا فى عطفـه بطرٌ(٤) ولا فى الرأس صادُ(٥)

فيـه فلانٌ أو فـلا نٌ لا "سُلَيمى" أو "سعادُ"

يرضَى بطيـفٍ قال : مو عِدُنا الحشيَّةُ(٦) والوِسـادُ

ونُحَـلُّ عُقـدةُ نُسـكِهِ بالشيء لفّفـه البِـجادُ(٧)

يا مُصعَبا(٨) جـرّته فى أرسانها(٩) اللُّمُ(١٠) الجِعـادُ(١١)

وآستهدفته رواشـقُ الـ ـلحظات مثنَى أو أُحاد

---

(١) الهرقليات : النقود المسكوكة باسم هرقل — بفتح الراء وسكون القاف — وسكنت هنا الراء وفتحت القاف لضرورة الوزن . (٢) يشير الشاعر الى قس بن ساعدة الإيادى وهو من أفصح العرب .

(٣) يشـير الى بنى هاشم بن عبد مناف القرشى جد أسرة الممـدوح . (٤) بالأصـل : نظر وهو تصحيف ، والبطر الآستخفاف ، يقال : جر إزاره بطـرا . (٥) الصاد : التكبر .

(٦) الحشية : الفراش المحشو . (٧) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به ، وفى الأصل "النجاد" وهو تصحيف . (٨) المصعب : الفحل لا يركب لكرامته . (٩) أرسان : جمع رسن وهو الحبل تقاد به الدابة . (١٠) لمم : جمع لمة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(١١) جعاد : جمع جعد وهو الشعر الذى فيه التواء وتقبض .

وٱســـتعطفته روادفُ كُثبانها[1] نِعـــمَ المِهـادُ
ولَمَى رضابُ النحل يشـ ـهد أنّ ريقتَه شِهـادُ[2]
ولربما خار الجـــلي ـدُ وغُلِّطَ الرأىُ المـرادُ
قـد كان قبـلك فى سبي ـل الحبّ لى أبدا جِهادُ
حتى خبا ذاك الضـرا م، وغاية النـار الـرَّمادُ
وإذا رأيتَ الكون فآ ـلمْ أن سيتبعُهُ الفسـادُ
وٱعجب لقـومٍ فى الزما ن على السفاهة كيف سادوا ! !
لا عنـدهم كَلِـمٌ تَغـ ـرُّ ولا نُضـارٌ يستفـادُ
أســـتغفر الله العـــلـ ـىَّ لقـــد تذأّبت[3] النِّقـادُ[4]

* * *

وكتب إليه أيضـا وقد عتب عليه بسبب أبيـات كانت فى هـذه القصيدة فأسقطها :

عَتَب الشريفُ لأن نشرتُ محاسنا مرموقةً من خُلقِـه وجلالِهِ
وزعمتُ حقّـا أنّ بدرَ جَمـاله زانت مطالعَـه نجـومُ خِصـالِهِ
بمحـاسنٍ لو كان يمكن صوغُها أغنت غزال الإنس عن خَلخالِهِ

(١) كثبان : جمع كثيب وهو تل الرمل ؛ — ويشبه الردف به — . (٢) شهاد : جمع شهد وهو عسل النحل . (٣) تذأبت : صارت كالذئاب . (٤) النقاد : صغار الغنم .

صـفة الهـــلال بدا أوانَ طلوعه أن لا يشـــعَّثه زمانُ كماله

فضلُ الملاحةِ عنـــد كلّ مصوِّرٍ فى الناس ليس إليـــه نقصُ مثاله

عتبٌ لعمرُك ليس يَعتِب مثـــلَه إلا حبيبٌ شـــاءَ[1] قطعَ حبـاله

فآمسح جفونَك عن عقابيلِ[2] الكرى وآنظر وصـــلِّ على النبىّ وآله

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى سعد بن المطّلب فى غرض :

أىُّ لبيبٍ بك لم يُخـــدَع وأىُّ عينٍ فيك لم تدمَع؟!

لا أمدح اليـأسَ ولكنه أرْوحُ للنفس من المطمع

أفلحَ من أبصـرَ عُشْبَ المنَى يُرعَى فـــلم يَـــرْعَ ولم يرتَع

يا ليتَ أنّى قبـلَ وَقْرِ[3] الهوى أذِنتُ للعـــذل على مسمعى

هل ما مضَى من عيشةٍ راجعٌ؟ وانُخلفُ كلُّ الخلف فى المرجِـع!

أين بدورٌ من بنى "دارمٍ" تبخل أن تُسـفر فى مطلع

لا فى سِرار[4] الشهر تبـــدو لنا ولا ليالى العشـــر والأربـع

لو لم تكن أعينُهم أسهما ما خرَقَت فى جانب البرقـع

كيف تَخَطَّينَ إلى مَقتـلى وما درَى تُرسى ولا أدرعى

---

(١) فى الأصل "ساء" وهو تصحيف . (٢) العقابيل : البقايا ، — كعقابيل المرض والعشق وغيرهما — . (٣) الوقر : الصمم . (٤) السرار : — بالفتح والكسر — آخر ليلة فى الشهر .

أودعتُهـم قلـبي وما خِلتُهـم ... يستحسنون الغـدرَ بالمودعِ

صـار بأيديهـم وحاكمتهـم ... فالحـقُّ حقّ وأنا المـدّعى

لـو زارنى طيفُهـمُ ما درى ... من الضـنا أنىَ فى مضجعى

أقول للركبان قد أزمعـوا ... حجًّا إلى الأطـلال والأربُـعِ : ،

لَبُّوا بذكرى فى "عقيق الحمى" ... وذلك المصـطافِ والمَـربَعِ

وأخـبروا عنّى بمـا شـئتُمُ ... فإنه دون الجـوى الموجـعِ

دَرَّتْ عـلى مرعاهُمُ ديمـةٌ[1] ... تحنـو على أطفـاله الرُّضَّـعِ

غـــرّاءُ لو يَنبُتُ شَـعْرٌ بهـا ... لأنبتت فى جبهـةِ الأقـرعِ

كلُّ سحابٍ أمطرتْ أرضَهم ... حامـلةٌ للـماء من أدمعى

وكلّ ريحٍ أزعجت تُـربهم ... فإنهـا الزفـرةُ من أضلعى

أتشـفع الخمسون لى عندَهم؟ ... هيهـاتَ والعشرون لم تَشفعِ!!

إن أمطرتْ عيناى سُحْبا فعن ... بـوارقٍ فى مَفـرِقٍ[2] لُمَّـعِ

تُريد عُمْـرا وشـبابا معًـا ... أشـياءُ[3] للإنسان لم تُجمَـعِ

سـيّان عند الغانيات آكتسَى ... رأسُ الفـتى بشيبه أم نُعِى!!

يُصـبَغُ رأسُ الدهر من ليلهِ ... وصـبحِه بالجَـوْنِ[4] والأسفعِ

---

(١) الديمة : المطرة الدائمة . (٢) مفرق - كمجلس ومقعد - : وسط الرأس حيث يفرق الشـعر، والبوارق اللع : كناية عن الشيب . (٣) هذا فى مختارات البارودى وفى الأصـل شيئان . (٤) الجون : الأبيض، والأسفع : الأسود .

نوائبٌ أضعافُ عدِّ الحصى ... تجمعُ بين الضَّبِّ والضِّفْدَعِ

تصطلمُ (١) العفراءَ (٢) فى قفرها ... وتفجأ العذراءَ فى المخدَعِ

كم مرَّ بى من صَرفه حاصبٌ (٣) ... لو مرَّ بالوَرقاء لم تسجعِ

رفعتُ من أمواجه منكبى ... حيث يشير الجون (٤) بالإصبعِ

من لم يخُض غمرتَها لم يشِدْ ... قواعدَ المجد ولم يرفَعِ

دون المعالى مرتقًى شاهق ... فطِرْ إلى ذِروته أو قَعِ

قل للصعاليك (٥): أرى دينَكم ... دِينى ودِينَ الأسَد الأفدعِ

إمّا قَرَى بُرثُنُه (٦) نابَهُ ... أو ماتَ طيَّانَ (٧) ولم يَصرَعِ

متى أرا كم كذئابِ "الغضا" ... شممنَ ريح المَعِزِ الرُّتَّعِ

فى فتيةٍ أكثرُ تهويمهم ... إسناد هاماتٍ إلى أذرُعِ

إن عرِّسوا (٨) لم يعقِلوا إبلَهم ... إلا بوفراتٍ (٩) مع الأنسُعِ (١٠)

مثل نجوم الليل يُهدَى بهم ... من ضلَّ فى الدَّيمومةِ (١١) البلقَعِ

---

(١) تصطلم : تستأصل . (٢) العفراء : الظبية البيضاء . (٣) الحاصب : الريح تثير الحصباء وتحملها . (٤) الجون : الأسود — وهو من الأضداد — ويريد به الليل ، ويحتمل أن يكون محرفا عن "الجو" ، والمراد بالإصبع الهلال . (٥) الأفدع : الذى أعوج رسغ يده أو رجله . (٦) قرى : أطعم ؛ والبرثن : — من السباع — بمنزلة الإصبع من الإنسان . (٧) الطيان : الجائع . (٨) عرسوا : نزلوا آخر الليل ، وفى الأصل «غرسوا» وهو تصحيف . (٩) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس . (١٠) الأنسع : جمع نسع وهو الحبل من أدم . (١١) الديمومة البلقع : المفازة القفر .

يخضبُ أيديهم نجيع الطُّلَى (١) إن خضَبَ الأقوامُ بالأَيدعِ (٢)

قلتُ وهم من نشَواتِ الكرى مـــوائلٌ كالسُّـــجَّد الرُّكَّعِ ،

حُثُّوا خطاياكم فكم غاية قـد بُلِغَتْ بالأينـق الظُّلَّـعِ (٣)

وآدعوا " أبا سعدٍ " يساعِدْكُمُ مثلَ سنانِ الأسمرِ (٤) المشـرَعِ

باعٌ طـويلٌ ويـدٌ طَلقـةٌ ومنطق يختـال فى المجمـع

إذا آرتقتْ أقـلامُه كفَّه تهـزّأت بالخـاطبِ المِصقَعِ

غُدرانهُ بالفضـــل ممـــلوءةٌ مـــتى يَرِدْها حائمٌ ينقـــعِ

يكشِفُ منـه الفَرَّ عن قارحٍ (٥) (٦) قد أحرز السـبق ولم يُخـدِعِ

ليس جمـالُ المـرءِ فى بُرده ، جمـالُهُ فى الحَسَب الأرفـــعِ

يشـــير إيمـاءً إليـــه الورى إن قيل : منَ يُعرَفُ بالأروَعِ ؟!

يريـــك ما ضَمَّت جلابيبُـــه محاسنَ العـالَمِ فى مَوضـــعِ

يُوكَسُ من لا أدبٌ عنـــده وكْس الدنانـــيرِ ولم تُطبـــعِ

أيا أخى ، والـــودّ أرحامُه إن تُقطَـــعِ الأرحامُ لم تُقطعِ ،

ما بيننا من أدبٍ جامع أقـربُ من والدةٍ مُرضِـــعِ

---

(١) الطل : الأعناق ، واحدها : طلية .
(٢) الأيدع : الزعفران .
(٣) الظلع : جمع ظالع وهو الذى به غمز يشبه العرج .
(٤) الأسمر : الرمح .
(٥) الفر : الكشف عن أسنان الفرس وغيره لتعرف سنه .
(٦) القارح — من الخيل — بمنزلة البازل من الإبل .

لُبـانةٌ لى هى إن تَقضِهـا صنيعةٌ فى موضـــع المصنـع

ورائدٌ مثـــلَك مســـتودِعٌ أهليـه فى أحفظِ مســـتودَع

ألا أبلغا عنّى الذى شكـره صريرُ (١) رحلِ الراكب المُوضِع (٢)

مَن تَصدُر الآمالُ قد أُترِعتْ مَزادُها من حوضِه المـــترَع

لا خُلَّبٌ بارقُ معـــروفِه ولا سحـابُ البيد بالمُقشِـع

إن أنتَ شبّهتَ به غـــيرَه ســـوّيت بين النَّبع والخروع (٣) (٤)

ما بالُ أعـــدائى ملَكتَهـــم عِنـادَ رأس الـــابِح الأتلع (٥)

يرمون حبّى بحصَى زُورهم رمىَ حِمارِ الحِجّ باليَرمَـــع (٦)

كلُّ فمٍ يَنفُثُ بى قـــرلةً أسلمُ منهـا لسعةُ الشَّـبْدَع (٧)

علىَّ صاروا عنـد نُصحى ولو عملتُ بالغِشّ لكانوا معى

واستعطِف الرأى ليرجِـعْ به من رجَعَ الشمسَ الى "يُوشَع" (٨) (٩)

فأنتَ أهدَى فى طريق العلا من القَطـا فى اللاحبِ المَهيع

واظفَرْ بها لو أدركت "ثعلبا" أنسته ما يُروَى عن "الأصمعى"

أمسِ رأينـا قائـــلا سامعا واليوم قـــد أعوزنا من يعى

---

(١) الصرير : صوت الباب وغيره . (٢) الموضـع : الذى يسير الإيضاع وهو ضرب من السير السهل السريع . (٣) النبع : شجـر ينبت فى أعالى الجبال تتخـذ منه القسى . (٤) الخروع : كل نبت ضعيف . (٥) الأتلع : الطويل العنق . (٦) اليرمع : حمى بيض رخوة . (٧) الشبدع — بكسر الدال وفتحها — : العقرب . (٨) اللاحب : الطريق الواضح . (٩) المهيع : الواسع .

* * *

وقال يعاتبُ بعضَ رؤساءِ العصر فى نَبْوةٍ جَرَت بينَهما :

أأَمّل بعدَ هــذا الأسرِ حَلًّا ... وجِــدَّ نوائب الأيام هَزلا

وأعلم أنّ جَور الدهرِ طوعا ... سيُعقب بعــدَه بالكُرهِ عدلا

يقولُ لىَ آصطبارى : قف رويدًا ... فأىّ سحائب الغَمَرات تُجلَى

ليــالٍ خابطاتٌ فى سُــراها ... وما تَدرِى أصبنَ القَصدَ أم لا !

وأيامٌ تَراكضُ فى مَــداها ... كأنّ وراءها طَرْدا وشَــلًّا

فمَن راغَمنَــه رجَع الهُوَيْنا ... ومن أخطأنه بلغ المحَــلّا

فكَم أفقرن بالبؤسَى غنيًّا ... وكم أغنين بالنُّعمى مُقِــلّا

تُراها خُــيِّرت فيما لديهــا ... فما آختارت سواى لهنّ شُغلا ! !

سهامٌ مؤلماتٌ كلَّ يــومٍ ... تُصيب ولا أرَى ريشًا ونَصلا

ولو كانت نبالُ " بنى هُذَيْلٍ " ... لبِستُ لهن سابغَــةً (١) رِفَــلّا

وما ذنبى إليهــا غــير أنّى ... جمعتُ محاسنا وحويتُ فضلا

فــلولا أننى أرعى فــؤادى ... بأوديةِ الأمانى متُّ هُــزلا (٢)

أعُدُّ ذنوبَهــا بيدى ، ومَن ذا ... يعُدّ "بعالجٍ" و"الخبتِ" رملا (٣)

---

(١) السابغة الرفل : الدرع الطويلة . (٢) الهزل : الضمور . (٣) عالج والخبت : موضعان مشهوران بكثرة الرمال فيهما .

إذا ما شئتَ أن تحيا سـعيدا ... فقل : لا تؤتنى يا ربِّ عقلا

فما عيشُ الوحوش بخير عيشٍ ... به طابت به حُمقا وجَهلا

نُبُثُّ لها الحبائلَ وهى ولهَى ... تجاوبُ (١) باغِما وتُرُبُّ (٢) طِفلا

وما للمرء خيرٌ فى حياةٍ ... إذا أمسى على الإخوان كَلًّا (٣)

لقد خلعَ التصابىَ مستجدٌّ ... نُصولُ عذراه غِمدًا مُحلَّى

تقلّ عن الغرام وأنتَ طِفلٌ ... وتكبَرُ عن طلابِ اللهو كهلا

وفيما بين ذاك وذا شبابٌ ... تمانعك الأحبَّةُ فيه وصلا

فأىّ زمانك الحُلوُ المُهنَّا ... وأىّ قِداحك القِدحُ المُعلَّى (٤)

لذاك بدأتُ بالهجران «هندا» ... كما عاجلتُ بالسلوان «جُمْلا»

وصرتُ إذا رأيتُ الظبَى يرنو ... كأنّى ناظرٌ ليثاً مُدِلّا

إذا ما هزَّ فى بُرديْه عِطفا ... هززتُ عليه من كفَّىَّ نَصلا

طروبٌ للوشاة إذا أعادوا ... علَىَّ ملامةً فيه وعَذلا

وأحسنُ من قدودِ البيضِ تهفو ... قدودُ السُّمر فى الهيجاء تُجلَى

فلا تُبرِقْ لىَ الحسناءُ ثَغرا ... ولا تُرسِلْ على المَتنيْن جَثْلا (٥)

ولا تنفُثْ بسِحرٍ فى جفونٍ ... حلَلْتُ عقودَها كَحَلًا وكُحْلا

---

(١) الباغم : الظبى . (٢) تَرب : تربى . (٣) الكل : الثقل .

(٤) المعلى : سابع سهام الميسر . (٥) الجثل : الشعر الكثيف .

على أنّ الهـــوى فى كلّ قلبٍ ... ألذُّ من المنَى طَعما وأحـــلَى

فلا يغـــرُرْك من ينجو سليمًا ... ولا تحسبْ علاجَ الحبّ سهلا

ولكنّى آستعنتُ على فؤادى ... بأصـــنافِ الرُّقَى حتى أبَلّا (١)

وحذّرنى من الأحبـابِ أنّى ... رأيتُ دَمًا «لعُروةَ» (٢) كيف طُلّا

أقلنى من ظبـاء "بنى عَدىّ" ... فمـا أخشى ظباءَ الإنس كلّا

فهنّ إذا غَزَوْنَ إلى قبيلٍ ... أسرن مُعاهِـــدا وقتلن خِلّا

وما أهوَى سوى البَيداء دارًا ... وأفراسًا تَضيعُ (٣) بهـا وإبلا

وأسمرَ يرعُد الأنبوبُ منـــه ... غداةَ الروع خوفا أن يَزِلّا

وأبيضَ تحسبُ الطَّبّاعَ بثّتْ ... على مَتنيْه والحَدّين (٤) نملا

ومشوقٍ من الفِتيـانِ يُدعَى ... لكلّ عظيمةٍ فيجيب : هَـلّا

كأنّى فى الضحى أرسلتُ صَقْرا ... وفى جُنح الدجى سِمْعا (٥) أزَلّا (٦)

أشير له فيفهـــمُ وَحَى طَرفى ... وخيرُ القول ما إن قـــلّ دلّا

(أنا آبن جلا وطـلّاعُ الثنايا) (٧) ... وصاحبُ سـيرةٍ تروَى وتُملَى

تحكّكْ «بالرئيس» وفز بشكرى ... وحقًّا تطلُبُ الجـرباءُ (٨) جِذْلا (٩)

---

(١) أبل : شـفى . (٢) عروة بن حزام : أحد الذين قتلهم الحب . (٣) كذا بالأصـل ولعلها محرفة عن تصـيح أو تعج وما الى ذلك . (٤) فى الأصل « الخـدين » .
(٥) السمع : الذئب . (٦) الأزل : الخفيف الوركين السريع . (٧) من قول سحيم بن وثيل الرياحى وقد استشهد به الحجاج وتمام البيت .
* متى أضع العمامـــة تعرفونى *
(٨) فى الأصل «الحرباء» وهو تصحيف . (٩) الجذل : أصل الشجرة ، أو هو عود ينصب للجربى تحتك به .

تلاقِ المجـــدَ برَّاقَ المُحيَّـا وثغرَ الجُـود يضحَك مستهِلّا

ومطـــروقَ الفِنـاءِ لزائريه تقولُ كلابُه : أهـــلا وسهلا

شمـائلُ تسبِق الأقوامُ منهـا وتَفضَح بالمتحانٍ من تحـــلّى

وهبْ أنّ الرجالَ حكَتْه قولا فهـــل يحكونه قـــولا وفعلا؟!

يطوفُ الوفدُ فى الآفاق حتّى تُحَـطَّ به الرحائلُ حيثُ حلّا

إذا نزلوا فمـا لهـــمُ ٱرتحالٌ ومن ذا يحتوى (١) بَرْداً وظِـــلّا

وكلُّ فضيلةٍ ذُكِرَتْ لقـــوم رأَوه بذكرِها أحرَى وأولَى

هو البطلُ الذى خَصَم الليالى فبيَّنَ فى وقائعهـا وأبلَى

نحيـد خُصومه (٢) عنه، ومَن لا يخافُ الليثَ أقبـلَ مصمئِلّا (٣)!

يَروع بصمتِه من شاءَ منهـم وتخشَى الطيرُ بازيا تَجـــلّى (٤)

شهدتُ بأنه الدرُّ المصـــفَّى وأنفسُ قيمـةً منـــه وأغلَى

وقالوا : هل سواهُ بقِى أناسٌ يليقُ بها المديحُ، فقلتُ : كلّا!

بـلى يا ربما نُسِـــبوا ٱدعاءً إلى كرمٍ كما نُسبَ "المُعلّى" (٥)

ألَا يا أيّهـا الرحبُ السـجايا ومن يسقِى بكأسِ الجود علّا (٦)

(١) يجتوى : يكره . (٢) فى الأصل «خصومة» وهو تصحيف . (٣) المصمئل : المتنفخ غضبا وشدة . (٤) تجلى : نظر الى الشىء مشرفا . (٥) فيه إشارة الى قول أبى على البصير :

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم

(٦) العل : الشرب الثانى، والأول : النهل .

عهِدتُ نداكَ يورِقُ منه عُودِى ... ويُمرِعُ إن شكت كفَّاىَ مَحْلا

وما زالتْ عُلاكَ أُحِلُّ منها ... ربًى من رامنى فيهنّ زلّا

وكم لكَ من أيادٍ قد تشكّتْ ... اليك مناكبى منهنّ ثِقْلا

نظمتُ من الثناءِ لها "زَبورا" ... لفرطِ الحسن فى المحراب يُتلَى

فما لى يشلِمُ الأعداءُ حدّى ... ويختلق الوشاة علىَّ بُطلا!

ويرمونى بزور القول حتّى ... تمنّى جانبى لو كنّ نَبْلا

فيا لله حيث وضعتُ جنبى ... أمارسُ عَقربا منهم وصِلّا! (١)

محالُهُمُ يمُدّ الىَّ باعا ... وباطلُهم يحُطُّ علىَّ رِجلا

خُصومٌ ينظرون إلىَّ شَزْرا ... ومن ذا يقهَر الخصمَ المُوَلَّى

ولو لم أشجُهم (٢) بدَمِى ولحمى ... لقد أفنَوْهما شُربا وأكلا

ولا والله ما قارفتُ ذنبًا ... ولا جذَّت يدى للنصح حَبلا

ولا استذكرتُ ما أوليتَ إلا ... رأيتُ خيانتى والغدرَ بَسْلا (٣)

وأُقسم "بالمطايا مُشعَراتٍ" (٤) ... غداة النحر قد خُلخِلن (٥) عُقْلا (٦)

و"بالغُبر الأشاعثِ" (٧) لا دِهانٌ ... تُرجِّلهم (٨) ولا "الهاماتُ" (٩) تُفلَى،

---

(١) الصل : الثعبان . (٢) أشجهم : أغصهم بالشجا وهو ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٣) البسل : الحرام . (٤) المشعرات : البدن المعلمة وهو أن يشق جلدها أو أن تطعن أسنمتها لتعرف أنها من الهدى . (٥) خلخلن : ألبسن فى موضع الخلاخيل . (٦) عقل : جمع عقال وهو ما تربط به الدابة . (٧) الغبر الأشاعث : الإبل المغبرة المتلبدة شعر الرأس .

(٨) رجل الشعر : سرحه . (٩) هامات : جمع هامة وهى الرأس .

و"بالجمرات" تحذفُ "أخْشَبَيْها"(١) أنامـلُ تبتغي مَنًّا وفَضـلا،

و" بالحَرمين " تَملأُ عَرصَتَيْها من الآفاقِ ركبانٌ ورَجْـلَى،

و" بالبيتِ المقدَّسِ " والموقَّ قِرى الأضيافِ عنه "والمصلَّ"، :

بأنى ما لبستُ الغشَّ ثَـوبا ولا أسكنتُ قلبي فيـك غِلَّا

وما هى غيرُ أقـوالٍ تُوشَّى ولستَ ترى لها فرعا وأصلا

وأنت الحاكمُ العـدلُ القضايا إذا حار امرؤ فـيما تـولَّى

أعوذ بحسن رأيك منك فيها وأن ألقَى من الخُصماء خَبـلا

فإن حزَّ الفَـواري(٢) فى أديمى فلا عيبٌ إذا ما السيفُ فُلَّا

* * *

وقال يمدحه :

لقـاؤك يا "لُبنَى" لقـاءُ خَيالِ فمـا منـكما إلا غريمُ مِطـالِ

مواعيـدُ كاليقظَى خوالب بارقٍ وضُمّانُهُ الوسـنَى تخيُّـلُ آلِ

وإنى وإن جرّت زمامى عواذلى لأتبعُ فيـك باطـلى وضَـلالى

وأعـلمُ أن الحبَّ موقفُ طاعةٍ يُجـاب به للشـوق كلُّ سـؤالِ

ومن ظنّ أن العذلَ يقتنص الجوى فقـد قاده صـعبا بغـير عِقـالِ

---

(١) الأخشبان — بصورة التثنية — : جبلان بمكة ، اسم أحدهما : أبو قبيس ؛ والآخر : الأحمر ، وفى الحديث «لاتزول مكة حتى يزول أخشباها» وهما من المثنيات التى لا تفرد ، كالرافدين لدجلة والفرات .

(٢) الفوارى : اللواتى يقطعن الأديم — وهو الجلد — ويشققنه على جهة الإفساد .

لأنتَ أطبُّ الناس إن كنتَ قادرا ... على بُـــرء داءٍ بالفـــؤاد عُضـالِ

وصـــفتَ لسقمى قُبـلةً وٱعتناقةً ... وذاك شـــفاءٌ فى رءوس عَـوال (١)

إذا لم يذُق شيئا سوى الهجر عاشقٌ ... فمن أين يـــدرى كيفَ طعمُ وصالِ!

جهـــولٌ بشأن الغانيـاتِ مسَـلِّم ... عليهنَّ فى شَيبٍ ورقّـةِ حالِ

لِبسن لنـا دِرع الصـــدود كأنمـا ... نراميهُـمُ من شَـــيبنا بنصـالِ (٢)

ليـالى الشـــبابِ هنّ أيامُ غُرَّةٍ ... وأيامُ شَيبِ المـــرء هنَّ ليـالِ

ودِدتُ وإن كانت من العمر تنقضى ... لو ٱنّ بواقيهـا تكون حَـــوالى (٣)

ولى فى بيـوتِ «العـامريّةِ» حاجةٌ ... هى المـاءُ فى عَضْبٍ (٤) حديثٍ صِقالِ

زعمتُ البدورَ والشموسَ ظِبـاءَهم ... فلا تُنكروا فيهنَّ بُعْـدَ مَنـالِ

تطلَّعنَ من سُـود البيوتِ كأنمـا ... تَطلَّعَ بَيْضٌ (٥) بينَ زِفٍّ (٦) رِئالِ

ومـا حاجةُ الغَـيْرَانِ فيهم إلى القنـا ... وقـــد منعتْ منهم عِصِىُّ حِجالِ (٧)

كما قد حمت نفسُ "ٱبنِ مَروانَ" مجدَه ... بأبيـضِ عـــزمٍ أو بأحمـــرِ مالِ

مضىءُ نواحى الوجهِ، يُمزجُ بِشره ... بخَمرٍ حبـاء فيه مـاءُ جَمـالِ

نسيبُ المعـالى، ليس تدعوه حاجةٌ ... الى صيتِ عمٍّ أو نباهةِ خالِ

---

(١) عوال : جمع عالية وهى أعلى القناة . (٢) نصال : جمع نصل وهى حديدة السيف والرمح والسهم . (٣) حوال : جمع حالية وهى التى عليها حليها . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) الزف : ريش النعام . (٦) رئال : جمع رأل وهو ولد النعامة (٧) حجال : جمع حجلة وهى بيت يزين بالستور للعروس .

إذا ٱفتخـر الإنسانُ يوما ببُردِهِ (١) فما بُردُه إلا كريمُ خصالِ

شبيبـةُ عزمٍ وٱكتهـالُ بصـيرةٍ وتحـريمُ عِرضٍ وٱنتهـابُ نوالِ

شمائلُ لو يُنظمنَ أغنَى نظامُهـا نحـورَ الغـوانى عن عُقود لآلى

وما جاذبود الفخـرَ إلا وحازه بأيدٍ الى نَيـل العـلاء طِـوالِ

صنائعه فى النـاس ترعَى سَوامُهـا أزاهـيرَ شكرٍ فى رياضِ مَعـالِ

ومِن عشـقِهِ المعروفَ أعطَى قيادَه سـؤالَ تجنٍّ أو سـؤالَ دلالِ

كذا السُّحْبُ يَسقِى كلَّ أرضٍ قِطارُها بريح جَنـوبٍ مرَّةً وشَمـالِ

ليهنِـك آلاءٌ ضمِنتَ وفاءَهـا من الجود حتى بات ناعمَ بالِ

وأنـك بالنُّعـمَى التى قـد بثثتهَـا ملكتَ من (٢) الأحرار رِقَّ مَـوالِ

فللّه مـاضٍ من لسـانك إنه لنعـمَ لِزازُ (٣) الخصم يومَ جِـدالِ

ولله ما ضمَّـت بنـانُك إنهـا قنـاةُ طِعـانٍ أو خبيئـةُ ضـالِ (٤)

فِناؤك للعافين بَعـلُ أرامـلٍ ونارُك للسّـارين أُمُّ عيـالِ

عهـدتُك تلـقَى كلَّ مرء بقيمـةٍ وما كلُّ أعـلاقِ الرجال غَـوالِ

فـلِمْ أنا فى مـيزان عـدلك كِفَّـتِي تشِـفُّ (٥) اذا قابلتهَـا بمثـالِ

ويرجحُ أقـوامٌ كأن جباهَهـم نِعـالٌ لـما زيَّنتهَـا بقبـالِ (٦)

(١) البرد : الثوب . (٢) موال : جمع مولى وهو العبد . (٣) اللزاز : شدة الخصومة .
(٤) الضال : جمع ضالة وهى السلاح أجمع ، وقيل السهام . (٥) تشف : تنقص . (٦) القبال : زمامة النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

نصيبي من الأموال ما يُمسك الدَّبَى (١) وحظّى من النيران حَظُّ ذُبالِ

ولولاك ما كانت "لطآما" (٢) موقفى ولا أرضُ "باجِسْرا" (٣) محطَّ رحالى

مقيما بها كالسيف أُلزِمَ غِمدَه وقد كان يرجو الرىَّ يوم نزالِ

ولو أُطلقت حدّاه وآستُلَّ فى الطُّلَى (٤) براها يمينى ضارب وشمالِ

وما ينفع الطَّرفَ المطهَّمَ (٥) سبقُه إذا كان محبوسا بضيقِ مَجالِ

أرى كلَّ مشنوءِ (٦) الخليقةِ واصلا قِصارَ حبال عجزه بحبالى

تماثيلُ كالأنعام أبقلتِ الربى (٧) لها فغدت فى رعيةٍ وصيالِ

وإنّ زمانا ضمّ شملى وشملَهم لكالليل مَسرَى ضيغم ونمالِ

ستعلَمُ (٨) من منّا إذا بعُد المَدَى (٩) عليه، تشكّى من وجًى وكَلالِ

وتفرُقُ ما بينى هناك و بينهم (١٠) وكيف تُسوَّى (١١) بُزَّلٌ بفصالِ

وما كنتُ أرضَى أن تكونَ ديارُها ديارى ولا تلك الرحالُ رحالى

ولكنّنى (١٢) ركّابُ (١٣) ما أنا قائد ولو ظهر (١٤) مجزولِ السَّنامِ ثَقالِ

---

(١) الدبى : النمل ؛ والذبال : الفتيلة . (٢) كذا بالأصل ولم نوفق إلى تصويبه .

(٣) باجسرا – بكسر الجيم وسكون السين وراء والقصر – بليدة فى شرقى بغداد كثيرة النخل عامرة .

(٤) كذا بالأصل . (٥) الطرف المطهم : الجواد التام الحسن . (٦) المشنوء : المبغض المكروه . (٧) فى الأصل هكذا «رعيه» . (٨) الوجى : الحفا . (٩) الكلال : التعب والإعياء . (١٠) البازل — من الإبل — : المسن . (١١) الفصيل : ولد الناقة يفصل عن الرضاع . (١٢) المجزول : الذى قطع القتب غاربه . (١٣) السنام : ما ارتفع من ظهر البعير . (١٤) الثقال : البطىء .

وقـد يُرتعَى حَمْضٌ[1] وفى الأرض خَلَّةٌ ... ويُشرَبُ ماءٌ وهـــو غـيرُ زلالِ

وتسكنُ خفضَ الأرض أُسْدٌ خفيّةٌ[2] ... وتسمو الوعـولُ فى رءوس جبـالِ

وما هـــو الإ ذنبُ دهرٍ معـاندٍ ... يَرَى بُرَءَ أهـل الفضـل غيرَ حـلالِ

ويارُبَّما أعطَى الأمانىَّ قـانطـا ... فقـــد تلقَح العقماءُ بعـــد حِيالِ[3]

* * *

وقال يهنئه بخلاصه من الاعتقال[4] :

إحدَى الكواعب من «بنى نصرٍ» ... شهِـد الظـلامُ لها على البـــدرِ

كالبَيْض تحضُنه نعـائمُ ... بيضـاءُ فى كِلَلٍ[5] من الشَّعرِ

سـكرَى اللواحظ وهى صاحيـةٌ ... فـــدموعهـا فنٌّ من الخمـرِ

ما خِلتُ أنّ بيـاضَ مقلتِهـا ... وسوادَهـا صُحُفٌ من السِّحـرِ

بسَمتْ وقـــد برزتْ قلائدُها ... فرأيتُ ما فى النحـــرِ فى الثغـرِ

ومن العجائبِ أن تصادف فى الـ ... ـعـــذب الزُّلال لآلئ البحـــرِ

كيف اهتـــديت لحبّ ظـالمةٍ ... وثبَ الغـــرامُ بها على الصـــبرِ

جمَّشتُها[6] فنبَتْ ، فقلتُ لهـا : ... أهوَيتُ أطلبُ معـــدِنَ التبرِ؟

---

(١) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفاكهة للإبل تأكله عن سآمتها من الخلة وهى ما حلا من النبات . (٢) خفية : أجمة من سواد الكوفة تنسب اليها الأسود ؛ وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٣) الحيال : العقم . (٤) فى مختارات البارودى : «وقال يمدح آل فضلان ويهنئه بخلاصه من السجن ويستنجزه وعدا» . (٥) كلل : جمع كلة وهى ما يغطى به الهودج . (٦) جمشتها : داعبتها .

ضُربتْ بأسنمـــةٍ (١) قِبابهـــمُ وكأنَّها فى ساحة الصـــدرِ
بيضٌ وسُمـــرٌ فى خيـامهمُ ممنـــوعةٌ بالبيـــضِ والسُّـــمرِ (٢)
بدم المحبِّ يبـاع وصلُهـــمُ فمن الذى يَبتـاع بالسعـــرِ
لو كان غـيرُ الحب جيشَهـــمُ (٣) ألفيتُهـــم فى جحفـــل (٤) مجْـــرِ
هجروا وهجرُهُـــمُ على دَخَـــلٍ (٥) فـلأجل ذلك طيفُهـــم يَسرِى
وهَب الظـلامُ لنـا محاسـنَه وأظنُّ مرســلَه بنا يدرى
حتى إذا الإصبـاحُ أيقظـهُ ولىَّ يُؤذِّن فيـــه بالغـــدرِ
ياليـــلةً «بالرمـــل» قصَّرهـا حـــلُّ العناقِ (٦) معاقـــدَ (٧) الخُمُـــرِ،
كادت خُطـانا أن تنمَّ على آثـــارنا وطُمسنَ بالأُزرِ،
ورأت كلابُ الحىّ رِيبتَنـا فكَمُن عن نبـح وعن هَرِّ،:
فُضَّت خـــواتيمُ السرور بهـا واللهـــوِ حـــتى مطلع الفـــجرِ،
لولا التحـــرُّجُ والغـــلوُّ لمـا أُسْمِيتِ إلا ليـــلةَ القـــدرِ
والليـــلُ عِقْصَتُه (٨) قـــد انتشرت ورَمتْ مَدارى (٩) الأنجم الزُّهرِ

(١) أسنمة : جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير . (٢) المراد بالبيض والسمر الأولين : الجوارى الحسان ، وبالأخريين : السيوف والرماح . (٣) كذا فى الأصل ولعلها « الحسن » . فحرفت عنها . (٤) الجحفل المجر : الجيش العظيم . (٥) الدخل : الغش والخداع . (٦) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل «العتاب» . (٧) الخمر : جمع خمار وهو كل ما غطى رأس المرأة . (٨) العقصة : الضفيرة . (٩) المدارى : جمع مدراة وهى المشط .

"والنسرُ"(١) قد أعيت قوادمُـــهُ والغـــربُ يجـــذبه إلى وَكرِ

وهوتْ من "الجـوزاء" مِنْطقَةٌ زهـــراءُ لم تُعقـــد على خصرِ

ورمَى "الثريّا" من معلّقِها سبقُ "السِّماك"(٢) وحربةُ "الغَفْرِ"(٣)

فكأنّهـا والشمسُ تجمعهـا رهـــطٌ قد ازدحمـــوا على سِرِّ

مثـــل العـــذارى من تعنّفها تســـتصحبُ الدَّبرانَ(٤) كالخـدرِ

"وهـــلالُها" تحكى آســـتدارتَه عَقـــدَ التمـام لعِـــدّة الشهرِ

وعلى "المجـــرّة" أنجمٌ نُظمتْ مثـلَ الفَقـار(٥) نُسِقن فى الظهـرِ

هـذى حَبابٌ(٦) فـوق صفحتهـا طـافٍ، وهذا جدولٌ(٧) يجـرى

كَيَدِ "ابن فَضْـلانٍ" غمائمُهـا تغـــدو ببـــذل الوفر أو تسرى

إن حلَّ فى بيـــداءَ أو بـلدٍ نابت سحائبـــه عن القَطْـــرِ

أىُّ المكارمِ قـــد تأبّطهـا وعـــزائمٍ فى ذلك الصـــدرِ؟!

طهُـــرت من الأحقادِ نيّتـــه والقلبُ مغســـول من الغِمْـــرِ(٨)

لامُـــوه فـــيما أتلفتْ يـــدُهُ فـــرأى المحامـــدَ أنفسَ الذُّخرِ

---

(١) النسر : يشير بذلك إلى كوكبين : يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقـع .

(٢) يشير بذلك إلى كوكبين يقال لأحدهما : السماك الأعزل ، وللآخر : السماك الرامح . (٣) الغفر : ثلاثة أنجم صغار بنزلها القمر وهى من الميزان . (٤) الدبران : منزل من منازل القمر ؛ ولم تتبين معنى هذا البيت . (٥) الفقار : عظم سلسلة الظهـر . (٦) الحباب : ما يعلو على وجه المـاء من الفقاقيع . (٧) الجدول : النهر الصغير . (٨) الغمر : الحقد والغل .

إن قال فالسيفُ الحسامُ مَضى ... أو صال أفنَى الليثَ بالذرِّ

ما إن أرى فى الناس من أحدٍ ... إلا يُمتُّ اليه بالشكرِ

حتى كأنّ الأرضَ طبّقها ... بغمائم نشأت من البرِّ

قد مارس الأعداءُ شدّتَه (١) ... فاستسلموا لليث ذى الأجرِى

وكوت مياسِمُه (٢) قلوبَهم ... والكىُّ مشفاةٌ لذى العرِّ (٣)

إنّ الشدائدَ مذ عُنينَ به ... قارعنَ جُلمودا من الصخرِ

حَمَلَ النوائبَ فوقَ عاتقِه ... حتى رجعنَ إليه بالعُذرِ

وبوائقُ (٤) الأيّام عاديةً ... لاقين منه دامىَ الظُّفرِ

لا تتكروا حَبْسا ألمَّ به ... إن الحِسانَ تُصان بالخدرِ

والغِمدُ ليس تُفاض بُردتُه ... إلا على الهندىِّ (٥) ذى الأثرِ (٦)

إن حجّبوه فكلُّ ذى شرفٍ ... يعترُّ بالبوّابِ (٧) والسترِ

يغشى الكسوفُ الشمسَ إذ عظُمتْ ... ويعافُ ضوءَ الأنجم الزُّهرِ

قد يستسرُّ (٨) البدرُ ليلتَه ... ليَتمَّ ليلةَ رابع الشهرِ (٩)

---

(١) أجر : جمع جرو وهو شبل الأسد . (٢) المياسم : المكواة يوسم بها الحيوان .

(٣) العر : الجرب . (٤) بوائق : جمع بائقة وهى الداهية . (٥) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (٦) الأثر : جوهر السيف ورونقه . (٧) فى الأصل «النواب» وهو تصحيف . (٨) استسر : اختفى ليلة أو ليلتين فى آخر الشهر . (٩) كذا بالأصل ومختارات البارودى ومراده : الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

أوَ ليس «يوسفُ»(١) بعـد محنتِه ... نقلوهُ من سجن إلى «مصر»

لمَرقتَ منها مثلما انكدرت(٢) ... فتخاءُ(٣) ترمي الطـيرَ بالذُّعرِ

وصبرتَ حتى انجابَ غيهبُها ... إنَّ النجاءَ عواقبُ الصـبرِ

تُنسَى مرارةُ كلِّ نازلةٍ ... بحـلاوةٍ فى النهى والأمرِ

وإذا الأغانى حنَّ مزهرُها(٤) ... ولّى حنينُ(٥) النـابِ والبَـكرِ(٦)

واذا تولّى الشيءُ تكرهُـه ... فكأنّه مادار فى سِـرِّ

حمـدا وشكرا للإلٰه على ... ما قد حبـاك وواجب النَّذرِ

وكأننى بك فـوق غاربها ... متسنّما فى ذروة الفـخرِ

يرمى العـلاءُ اليـك مقـودَه ... لا ينثنى بغماغـم(٧) الزَّجرِ

إن العـظائمَ ربّما بُلغت ... بالهَـوْن لا بالكِّر والفَـرِّ

وكذا الألوفُ على تفاوتها ... محسـوبةٌ بأنامـلٍ عَشْـرِ

أنا من يُغـالِى فى محبّتـه ... وولائه فى السرِّ والجهـرِ

ما ذاق طعـمَ النـوم ناظرُهُ ... حتى البشـيرُ أتاه بالبشرِ

ولك الأيادى لستُ أذكرهـا ... إلا يَجيشُ بحمـدها صـدرى

هى نِعمـة ليـديك أشـكرُها ... طـولَ الزمان وآخرَ العَـصرِ

---

(١) يشير : الى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وهى أشهر من أن تذكر . (٢) انكدرت : انحدرت . (٣) الفتخاء : العقاب . (٤) المزهر : العود . (٥) الناب : الناقة المسنة .
(٦) البكر : الفتىّ من الإبل . (٧) غماغم : جمع غمغمة وهى الصوت .

قـد كان وعدٌ منـــك أقسمَ لى بعلاك : أنك مصـلحٌ أمرى
وإخال أنّك لستَ ناسيَـهُ لكنّنى آستظهـرتُ بالذِّكر
قـــد حَزَّت الأيامُ فى كبِـــدى وأطـافَ بى مسٌّ من الضُّرّ
وسئمتُ عَتبى كلَّ نائبـةٍ وملِلْتُ ما أشكـو من الدهرِ
وإذا جذبتَ إليـك من ضَـبِعِى (١) طاعتُهـا بأسـنَّةِ القهـرِ
وصرفتَ عنّى كلَّ نائبـةٍ صرفَ الهمـوم سـلافةُ الخمـرِ
أهـــدت لك النَّعماءُ أنفَسَهـا من عانس (٢) أو عاتقٍ (٣) بِكرِ
وخَطَتْـك أحداثُ الزمانِ ولا بِرحتْ رِباعَك (٤) ديمـةٌ تجـرِى
لولاك فى الدنيا لمـا آعترفوا للأكرمين بهـا سـوى الذكرِ

* * *

وكتب إليه يعزّيه عن أخيه :

عزاءً، فمـا يصنع الجازعُ ؟ ودَمْع الأسى أبدا ضـائعُ
بكَى الناسُ من قبلُ أحبابَهم فهـل منهُـمُ أحـــدٌ راجـعُ ؟!
عرفنا المصائبَ قبـلَ الوقوع فمـا زادنا الحـادثُ الـواقعُ

(١) الضبع : — بسكون الباء — العضد . وربما حركت للضرورة . (٢) العانس : الجارية فاتت سن الزواج . (٣) العاتق : التى لم تتزوج ؛ وقيل : هى التى بين الإدراك والتعنيس ؛ أو هي الجارية أول ما أدركت ، وفى الأصل «علق» وهو تحريف . (٤) رباع جمع ربع وهو البيت .

ولكنَّ ما ينظـر الناظرو نَ ليس كما يسمعُ السامعُ

يُدَلَّى ٱبنُ عشرين فى لحـده وتسـعون صـاحبُهـا راتعُ

وفى رأس ذا أسـودٌ حالكٌ وفى فـرعِ ذا أبيضٌ ساطعُ

ليعـلم من شكَّ أن المنـو نَ هـوجاءُ[1] ما عنـدها شافعُ

وإن هُنَيـدةَ[2] من عاشَهـا لفى عيشـةٍ بعـدها طامعُ

فقل لىَ : ما السرُّ فى ذى الحيا ة تُهـوى وطائرُهـا واقـعُ ؟

يهيم عليها الكسوبُ الحريصُ ويعشقهـا الساجدُ الراكعُ

وللمرء، لو كان يُنجى الفـرا ر، فى الأرض مضطرَبٌ واسعُ

ومَن حتفُـه بين أضلاعـه أيمنعـه أنّه دارعُ[3] ؟

وكلُّ أبىٍّ لداعى الحِمام متى يـدْعُه سـامعٌ طـائعُ

يسـلِّم مهجتَـهُ[4] سـائمـا كما مـدَّ راحتَـه البـائعُ

وحى « الضَّيْزَن » عن متنـه و« حسَّانُ[5] » أسلمه « فارعُ »

---

(١) الهوجاء : الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٢) هنيدة : مائة سنة . (٣) الدارع : الابس الدرع . (٤) السائم : عارض السلعة ليبعها ؛ وفى الأصل هكذا « سامحا » . (٥) كذا بالأصل وقد كتب أمام هذا البيت على الهامش « فى الأصل » والمراد أن ناسخ الديوان لم يوفق الى صحة هذا البيت فاضطر الى أن يذره عنه ؛ والضيزن : ملك الجزيرة وكان له حصن منيع يقال له : الحضر — بفتح الحاء وسكون الضاد — . وفارع : حصـن بالمدينة كان لحسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا الشرح الوجيز يمكننا أن نقول : لعل الشاعر أراد

رَمَى "الضَّيْزَنَ" "الحَضْرُ" عن مَتْنِهِ * وحَسَّانُ أَسْلَمَـهُ "فارِعُ"

وفى الأصل «قارع» وهو تصحيف .

وهبَّت على «تُبَّع»[1] نفحةٌ فلم يبقَ من رهطهِ تابعُ
ولو أنّ من حَدَثٍ سالما لما خَسَفَ القمرُ الطالعُ
ولا صِيدَ فى شَرَكِ النائباتِ فتًى لشروطِ الفتَى جامعُ
غلامٌ كأنبُوبةِ السمهرى[2] تُعيي اذا رامها الصادعُ
شمائلُهُ مثلُ نَوْرِ الرّيا ضِ نَمنَمها باكرٌ هامعُ
تكاد تبكّى عليه الغصونُ اذا ناح قُمرِيُّها الساجعُ
عجبتُ لذاك الحُلِيِّ المصوغِ لنا كيف يُفسِده الصانعُ
تخرَّمه ورُواءُ[3] الشبا بِ لم يدرِكِ طولَهُ الذارعُ
على حين أُفرِغَ فى قالَبِ الـ جمالِ، ورونقُه الطابعُ
وكيف توقِّى[4] الفتى ما يخافُ اذا كان حاصدَه الزارعُ
ومن فوقِهِ ظُلَلٌ كالغمامِ ومن تحتِه جبلٌ مانعُ
وأقرانُ «فضلانَ» فى عزّةٍ يدور بها الفلَكُ السابعُ
ولو شاء قصَّر باعَ الردى فلم يرمِهِ الساعدُ النازعُ[5]
ولكنّه جاءه سائلا فجاد به صدرُه الواسعُ
أأسرفتَ فى الجودِ حتى آسمَا حَ أحبابَك الزمنُ الخادعُ ! !

(١) تبع : واحد التبابعة وهم ملوك اليمن . (٢) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٣) الرواء : الحسن والرونق . (٤) فى الأصل « توق » وهو تصحيف . (٥) النازع : الذى يمد القوس للرمى .

* * *

وقال يعزّيه عن أخته :

يَرُوحُ ويغـدو علينا الحِمامُ ... وكلُّ النواظرِ عنـه نيامُ

على شِـيَمِ النَّعَـمِ الراتعـا ... تِ يُعقَر هـذا وهـذا يُسامُ

ولا فـرقَ ما بيننا فى القيا ... سِ إلّا العقولُ وهذا الكلامُ

كفى بالممـات لنا مُفنيًا، ... فَمن أجل ماذا تُراشُ السهامُ ! !

وتُعتقَـلُ الذابلاتُ (١) الطِّوالُ ... ويُحملُ ذو الشَّفرتَين الحُسامُ ! !

كأنّا خُلقنا لرَيبِ المنونِ ... شرابٌ يَلَذُّ به أو طَعـامُ

ستُطوَى مسافةُ مَن عمـرُهُ ... يسـيرُ صباحٌ به أو ظـلامُ

ليالٍ تمرّ كمرِّ السـحا ... بِ والصبحُ فيهنَّ برقٌ يشامُ

جناياتُهنَّ علينـا البِـلَى ... وأعذارُهنَّ إلينا السَّقامُ

لها كلَّ يوم بنـا وقعـةٌ ... فهـلّا تناوبَ عامٌ وعامُ ؟

نلوم الطبيبَ ومـا جُرمُـهُ ... وداءُ المنيَّـة داءٌ عُقـامُ؟

إذا فَذلكَ (٢) العيشُ عمرَ الفتَى ... فسيّانِ ما خلفه والأمامُ

وما يعصِمُ المرءَ من حتفـهِ ... "عِراقٌ" يَحُلُّ به أو "شآمُ"

بأَيِّ حِمًى مانعٍ يُستبحارُ ... إذا لم يُجِرْ "زمزمٌ" "والمَقامُ" !

(١) الذابلات الطوال : الرماح . (٢) فذلك : فذلك الحاسب حسابه أى أنهاه وفرغ منه .

ظِبـاءُ البطاح لهـا مَصرَعٌ ... وعُصْمٌ[1] لهـا بالجبالِ آعتصامُ

إذا الدَّوحُ[2] مالت به العاصفاتُ ... فلا ريبَ أن ستميلُ الثُّمامُ[3]

وهل نافعٌ لك طولُ الجماحِ ... وفى يدِ صَرف الزمانِ الزِّمامُ؟!

يحـدِّثُنا بالفَنـاء البقـاءُ ... ويُخـبرنا بالرحيـلِ المقـامُ

بهذا قضى الدهرُ فى أهـلهِ ... تمـرُّ فِئامٌ[4] وتأتى فِئـامُ

يعلّلنـا برَضـاع المنَى ... وعمّا قليـلٍ يكـون الفِطامُ

نذُمُّ حـذارا بلوغَ المشيبِ ... كأنَّ لعصرِ التصـابى ذِمامُ

وما يحـذَر اليَفَنُ[5] العُـدْمُلِىُّ[6] ... إلا الذى يتقيـه الغـلامُ

عذَرنا الزمانَ بمـوت اللئامِ ... فما عذرهُ أن يمـوتَ الكرامُ؟

علينا يحـرَّمُ قتـلُ النفوس ... فكيف أُحِلَّ عليـه الحـرامُ

مَناسـكُ منهوجةٌ بالـوجَى[7] ... يُجَبُّ[8] على إثرهن السَّنامُ

لعمرُك ما المـرءُ إلا خَيالٌ ... ولا لذّة العيش إلا منـامُ

ألا أيّهـــذا اللبيبُ آتئـدْ ... ومثـــلُك من رامَ مالا يرامُ

ترفَّق رويدكَ ، إن السّـلوَّ ... مُراحٌ اليـه يعـودُ الأنامُ

وعادتك الصبرُ إن قعقعتْ ... صواعقهنَّ الخطوبُ الجِسامُ

---

(١) عصم : جمع أعصم وهو تيس الجبل يعتصم به . (٢) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة .
(٣) الثمام : نبت ضعيف . (٤) الفئام : الجماعات . (٥) اليفن : الشيخ الكبير الفانى .
(٦) العدملى : كل مسن قديم . (٧) الوجى : الحفا من كثرة السير . (٨) يجب : يقطع .

تمـــرُّ عليـــك مرورَ الريا ح زاحمها «يَذبُلٌ»(١) أو «شَمامُ»

تلوثُ(٢) الرداء وتُرخى الإزا ر فى موقفٍ شُدَّ فيه الحِزامُ

يعزِّيك عقـلُك عمّن مضى وعلمُـك أن ما لشيء دوامُ

ونفسُك أبلغُ من واعـظٍ وأكبرُ ان يزدهيها الغـرامُ

وأنت تعـــلَّم كيف الثبا تُ إن زعزعتنا الخطوبُ الجسامُ

تحمَّـــلُ أثقالَهـا مُهْـــونا وللـبُزْلِ(٣) لو حَملتْها بُغامُ(٤)

إذا الحزن لم يُعد الذاهبينَ فمـا هو إلا الجـوى والأثامُ

فراقُ الشقيقـة أشجى فراقٍ أذيلت(٥) عليه الدموعُ السِّجامُ

وفقـدُ الفتى صِـنوَه فادحٌ على الحزن فى مثـله لايلامُ

ولكن يريك الثنايا الجليـدُ(٦) وفى حبّة القلب منه ضِرامُ

وعينُـك إن غلِطتْ بالبكاء فقـــد علّمتها يداك الغمامُ

فسَقيًـا لمودَعةٍ فى الصَّعيـدِ(٧) تُعزَّى الخدورُ بها والخِيـامُ

ولم نـــر دُرًّا ولا زهرةً من التُّرب أصدافُها والكِمامُ

أنلتمس السُّحبَ تسقى ثراكِ وجُود أخيك الغيوثُ الرِّهامُ؟(٨)

وتُسحَب فيـه ذيولُ النسيم ومن عَرفِه(٩) تَستَمِدُّ المُـدامُ

(١) يذبل وشمام : جبلان . (٢) تلوث : تلف . (٣) بزل : جمع بازل وهو الجمل المسن (٤) البغام : صوت الإبل فى حنينها . (٥) فى الأصل «أذبت» وهو تحريف .
(٦) الجليد : الصابر . (٧) الصعيد : التراب . (٨) الرهام : المنهمرة بالماء .
(٩) العرف : رائحة الطيب .

لِفقـدانها ما تحنُّ القِلاصُ (١) وتندبُ فوق الغصون الحَمَامُ

فيا جبل "الطُّورِ" لافارقتكَ سحـائبُ يُشفَى بهنَّ الأُوامُ (٢)

يَقِفْنَ حوافـلَ فى عَرصتيـ (٣) ـك حتّى تُساوى الوِهادَ الإكامُ (٤) (٥)

تخصُّك بالماخضاتِ العشارِ (٦) وغـــير رباكَ لهنَّ الجهَـامُ (٧)

ولو كنتِ آئبةً بالخصام لمـا عزَّ فينا الخميسُ اللُّهامُ (٨)

وخيـلٌ تَكدَّسُ بالدارعين (٩) (١٠) مقـابرُ فُرسانهنَّ القَتـامُ (١١)

ولكنهـا حالةٌ فـرضُهـا علينـا تحيّتُنـا والسـلامُ

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

عساهـا تجـلى وخلاكَ ذمٌّ (١٢) وماءُ الوجه فى الوجَناتِ جَمُّ (١٣)

ولم يَجـرِ السؤالُ على لسانى ولا ندَّى يدى بحـرٌ خِضمُّ

سيحرُسنى التجمُّل من أناس هُمُ عنّى بداء البُخْـل صُمُّ

---

(١) القلاص : الإبل الفتية واحدها قلوص . (٢) الأوام : العطش الشديد . (٣) العرصة : الفضاء أمام الدار . (٤) الوهاد : جمع وهد وهو ما انخفض من الأرض . (٥) الإكام : جمع أكمة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الماخضات العشار : التى دنا ولادها بعد عشرة أشهر ، والمراد بها السحائب المنهمرة بالماء . (٧) الجهام : السحاب الأبيض لا ماء فيه . (٨) الخميس اللهام : الجيش من خمس فرق ، واللهام الكثير كأنه يلتهم كل شىء . (٩) تكدس : يركب بعضها بعضا من شدة ازدحامها . (١٠) الدارع : لابس الدرع . (١١) القتام : الغبار يثار فى الحرب . (١٢) خلاك ذم أى لا يلحقك الذم . (١٣) الجم : الكثير .

حمانى زادَهـــم بطنٌ خميصٌ (١) على الجُـــلّ وعِرنينٌ (٢) أشَمُّ

فقد سقّيتُ بَرْدَ اليأسِ منهم فـؤادا من رجائهمُ يُحَمُّ

وكيف أكلّف المعروفَ قوما سـواءٌ عنـدهم مدحٌ وذمُّ

تُلاقِي المكرماتُ بهم هـوانا كما يلقَى بذى الرّوقِ (٣) الأجَمُّ (٤)

اذا ضحِكوا الىَّ رأَوْه بِرًّا أكلُّ الـبِرّ تقبيـلٌ وضمُّ ؟!

يرَوْنَ عقوقَ ما كنزَوا حراما هل العَرَض المسومُ أبٌ وأُمُّ

وكم من شيمـةٍ دفراءَ (٥) فيهم تفـوح لو انّ أخـلاقًا تُشَمُّ

ستأتيهم قوافٍ شـاردات بأنسـاعِ (٦) المخـازى لا تُـزمُّ

مقالٌ فى النفوسِ له دبيبٌ وبعض القول فى الأعراض سُمُّ

فإعرابُ الفَمِ المنطيقِ فتحٌ متى أضحى بناءُ الكفّ ضمُّ

* * *

وقال فى طائفةٍ من أهل الزمان :

أيا بؤسَ قومٍ حسانِ الشخو صِ لكن حُشُوا بطباع النَّعَمْ (٧)

يزينهمُ فى جفونِ الغـبىِّ حُـلِىُّ الغِنَى وثيـاب النِّعَـمْ

حدوناهمُ بفصيح القـريض فمـا آستحسنوا منهُ غـيرَ النغمْ

---

(١) الخميص : الضامر . (٢) العرنين : الأنف . (٣) الروق : القـرن .
(٤) الأجم : — من الكباش — مالا قرن له . (٥) الدفراء : المنتنة . (٦) أنساع : جمع نسع وهو حبل عريض تشد به الرحال . (٧) النعم : الإبل — والمراد بها هنا البهائم — .

وكان الذى خاض أسماعَهم (١) سواءً ونقراتُ زِير (٢) وبَمّْ

وقد جعلوا عذرَ حرمانِنا الـ ـثّـ ـوابَ خلوَّهُمُ من فَهمْ

وهبْ أنهم جهلوا ما نقولُ فأين السخاءُ وأينَ الكرَمْ!

أغرَّهمُ كَتبُنا فى الرِّقا ع : نحنُ العبيدُ ونحنُ الخدَمْ!

ومن دون ذلك تُشوَى الوجوهُ (٣) وتُقذَى العيونُ (٤) ويُفرَى الأدَمْ

فإن هم أنابوا ببذل النوالِ وصلنا الثناءَ كوصل الرحِمْ

وإن هم أصرُّوا على لؤمهم وهبنا ثنا (٥) ياهمُ للندَمْ

اذا جاوزوا الحدّ فى منعهم خلعنا الحياء وجزنا اللَّمَمْ (٦)

وقال :

تمدحُ "عمروا" وتُريد رِفدا ياما خضَ الماءِ عَدمتَ الزُّبْدا

رأيتَ منه شارةً (٧) وقَدّا ومِشوَذًا (٨) مُفوَّفا (٩) وبُردا (١٠)

فخلتَ إنسانا فكان قِردا يا ربما ظُنَّ السرابُ وِردا

---

(١) الزير : الدقيق من أوتار العود . (٢) البم : الغليظ من أوتار العود . (٣) يفرى : يشق . (٤) الأدم : الجلد . (٥) الثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم ، — ثنتان من فوق وثنتان من أسفل — ، وفى الأصل هكذا «ساماهم» (٦) اللمم : صغار الذنوب :
(٧) الشارة : الحسن . (٨) المشوذ : ما يعتم به . (٩) المفوف : ما فيه خطوط بيض على الطول . (١٠) البرد : الثوب .

* * *

وقال :

زمانٌ فاسدُ النظـرِ مُصاحبهُ على خطَرِ
وقـومٌ إن عَددتُهُم فليس القومُ من نفرى
سمعت بهم فغرُّونى وليس الخُبْرُ كالخَبَرِ
عجِلتُ إلى مديحهمُ وذلك شيمةُ البَشَرِ
فما فهموا مدائحَهم ولا قضَّوْا بها وطَرى
نخِلتُ قصائدى حُللا مُجيَّبـةً[1] على بقـرِ

* * *

وقال :

وزيرٌ رَضِى من بأسِـه وٱنتقامِـه بطَىِّ رِقاعٍ حشوُها النطمُ والنـثرُ
كما تسجع الوَرقاء فوق غصـونها وليس لهـا نهىٌ يطـاع ولا أمرُ

* * *

وقال :

تُعابُ معاشرٌ وَكَلوا البرايا إلى تدبير ذى رأيٍ أفينِ[2]
وماغلِطوا، رأَوا سفَهَ الليالى فداووْا بالجنون من الجنونِ

---

(١) مجيبة : مجعولا لها جيوبا . (٢) الأفين : الضعيف .

وقال :

نُبِّئت أنَّ فلانا قد شحا فمَه (١) فقلتُ : مهلًا ، كذاك العَيرُ (٢) نَهّاقُ
من أين للنَّبَطيِّ (٣) الفَـدْم (٤) معرفةٌ هل يُنبِت النَّبعةَ (٥) الصفراءَ (٦) رُستاقُ
وكيف يفهَم قلبٌ دون فِطنته من البـلادةِ أبوابٌ (٧) وأغـلاقُ
ياثورُ ! خلِّ لروضِ الحَزنِ (٨) زهرتَهُ فإنّ مرعاكَ قُـلّامٌ (٩) وطُبّاقُ
ولا تراعِ نجوم الفضلِ ترصدُها فغيرُ خافٍ على الحسّاب أرزاقُ
نبذت عِرضَك نبذَ النعلِ مُخلَقةً (١٠) وكيف يُلبَس ثوبٌ وهو خُرّاقُ (١١)

وقال :

زوَّج اللهـوُ بآبنـةِ العنقـودِ خاطبًـا بالبسيط أو بالنشـيدِ
وتمام الإملاكِ (١٢) في شاهـدَيْ عَد لٍ هما في حضور ناي وعُـودِ
فإذا ما جمعتَ ذاك فقد فـز تَ بعَقـدٍ يسودُ كلَّ العقـودِ

(١) شحافه : فتحه . (٢) العير : الحمار . (٣) النبطى : منسوب الى جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم — ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم — . (٤) الفدم : البعيد الفطنة والعي عن الكلام . (٥) النبعة : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . (٦) الرستاق : السواد وهو الريف — ومنه : سواد العراق ، لما بين البصرة والكوفة وما حولها من قراهما — . (٧) أغلاق : جمع غلق وهو ما يغلق به الباب . (٨) الحزن : ضد السهل ورياضه أنضر وأزهر . (٩) القـلام والطباق : ضربان من الشـجر . (١٠) المخلقة : البالية . (١١) الخـراق : الكثير الخروق . (١٢) الإملاك : التزويج .

وقال :

ياشهوةَ النومِ وما لذَّتُهْ جِسمٌ تغشَّت قلبَهُ غفلتُهْ

هل هو إلا مِيتَةٌ عُجِّلتْ وإنما قد قُربت رجعتُهْ

وقال فى الغزل :

يسألنى مـا حاجتى فى دياره غزالٌ بأوطار الفـــؤاد عليمُ

ستشهدُ لى عيناه أنهما الهوى ومبسمُه أنّى عليـه أحـــومُ

أتُظهِرُ فى عرفانِ مابى جهالةً وما أحدٌ فى الناس منك سليمُ

وكيف يداوِى داءَ قلبىَ باخلٌ على طَرفِهِ بالبُرء وهـــو سقيمُ

أرقِّع فيك الودَّ وهـو ممـزَّقٌ وأرعَى ذمامَ العهدِ وهو ذميمُ

وفى دون مالاقيتُ للمرء زاجرٌ ولكنَّ عِرْقى (١) فى الوفاء قـديمُ

وقال فى مثله :

يقولون : راجعْ صاحبَ الرأى وآطَّرِحْ هواكَ فمـا تُغنى الدمـوعُ السواجمِ

ولو أنه بالعقـــل يَعشَق عاشـــقٌ لمـا ٱزدوجتْ أطيارُهـا والبهـائمُ

أليست عـــلى ألّافهـا بجهـالةٍ يحـاربُ شِـــبْهٌ شِبهَـهُ ويخـاصِمُ

(١) فى الأصل هكذا « ولا لز » .

وقال فى مثله :

« بالجزْع » ذى السَّمُراتِ(١) لى قمرٌ غلبَتْ عليه سحائبُ الأُزُرِ(٢)

أرسلتُ أنفاسى فما انقشعتْ عنه وجاد الطَّرفُ بالمطرِ

وقال فى البَرَد ارتجالا :

ياطيبَ يومٍ حَجبتْ شمسَهُ سحابٌ تُمطِرُ كافورا

لما توارت تحت أستارِها مجَّت لنا من ريقها نورا

وقال فى الأكثر من أهل الزمان :

إذا كان هذا الجهلُ قد شاعَ فى الورى فذو العلم فيما بينهم هو جاهلُ

فإن قال مالم يعرفوا قدرَ لفظِهِ ولا قيمةَ المعنَى ، فما هو قائلُ

وإن هو بالصمت استجارَ لسانُهُ ففى الصمتِ ذو نقصٍ سواءٌ وفاضلُ

فليس له غيرَ التجاهل ملجأٌ وأصعبُ شىء عالمٌ متجاهلُ

وكنَّا سمعنا فى الزمان «بباقلٍ» وهذا زمانٌ كلُّ أهليه « باقلُ »(٣)

---

(١) السمرات : جمع سمرة وهى شجرة من العضاه تعنى البيوت بخشبها — وليس فى العضاه أجود خشبا من السمر — . (٢) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٣) باقل : رجل يضرب به المثل فى العى .

* * *

وقال :

هززناكُمُ بالمـــدح نَجنِي ثمارَكم ... ونحلِبُ من أخلافِ[1] وُجدِكُمُ[2] وَفْـــرا

فـلم نحـظَ من رِبح الثنـاءِ بطـائلٍ ... فرُدُّوا كرأس المـال أو بعضه شِعرا

فإن أنتمُ لم تنصفـونا فإننـا ... سنقتصُّ من أعراضكم ذلك الـوِترا[3]

إذا المنـع والإعطـاءُ[4] كان خيـارُه ... إليـكم تخـيَّرنا المذمَّةَ والشكـرا

فـلا تحســبوا أنَّا إذا نلـتم الغـنَى ... ولم تُشركونا فيـه نُوســعكم عـذرا

* * *

وقال فى مثله :

بِتنا على «الزَّوراء» نهـدِمُ كلَّ ما ... بَنَتِ القـلوبُ من الأمانى الزُّور

لمـا لقينا من تُجاهِك عصبةً ... نضحَتْ بشكواها ذَفَارَى[5] العِـيرِ

إنّ آمرأً سلـكتْ إليـك ركابُهُ ... فجًّا لقـد دلَّى بجبـلِ غرورِ

* * *

وقال فى سحاب و برقٍ ومطرٍ و بَرَد :

غـــرَّاء تحسبها غُمودًا كلّمـا ... شهَـرَتْ بوارقُها بها أسيـافا

---

(١) أخلاف : جمع خلف — بكسر الخاء — حلمة الضرع . (٢) الوجد — مثلثة الواو — : الغنى والسعة . (٣) الوتر : الثأر . (٤) فى الأصل «المدح» ولعله تحريف . (٥) ذفارى : جمع ذفرى وهى فى الحيوان من لدن المقـد الى نصـف القذال ، وقيـل : هى العظمة خلف الأذن .

كُسِيَ الثَّرَى لمّـا هَمَتْ فظننتُها (١) بالحَـزْنِ عِيرا (٢) أُوقرت (٣) أفوافا

وتناثرت دُرَرا عليـه دموعُها لمـا جَمَدن نخلتُها أصدافا

* * *

وقال :

قالوا : ذر الشعرَ وكن عائذا بالله يصرفْ عنك شيطـانَهُ

فى الناس جَهلٌ وبهم شِـرَّة لأجـل ذَيْنِ صغَّـــروا شانَهُ

لم يفقهوا اللفظ ولم يفهموا الـ ـمعـــنَى ولا يَدرون مـيزانَهُ

فكلُّهـــم يُنكـر رُجحـانَه وكلُّهـــم يجهـــلُ نقصـانَهُ

قلتُ : أمن أجل عمًى فيهـمُ لا يُظهـــر المعـــدِنُ عِقيانَهُ !

هبُـــوا لسانى راعيـا ناعقـا دعا بمـا تجهـــلُه ضـانَهُ،

قـد يُطـربُ القُمرىُّ أسماعَنا ونحن لانفهـــم ألحـانَهُ

* * *

وقال :

أحاط بىَ العُـــذَّال حتى صرفتُهم بأنّ الهـــوى طبعٌ ولا يُنقَلُ الطبعُ

رأَوا كلَّ ما أبصرتُه أنا عاشـــقٌ ومـا تسمع الأذنانِ ليس له نفـــعُ

فقالوا ـ وقلبى ليس يقبَل نصحَهم ـ : أخـــونا له عينٌ وليس له سمعُ

(١) الحزن : ضد السهل ؛ واسم موضع . (٢) أوقرت : حملت وأثقلت . (٣) أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن ، أو هو قطع القطن .

وقال فى الشَّيب :

تخاوصت[(١)] الحسناءُ عن شَيب لِمَّتى[(٢)] ولم تلتفت إلى سنىّ القـــلائلِ

وليس بياضا مارأت من شُـعاعهِ ولكنّـه نُور النُّهى والفضـائلِ

وقال يعاتب صديقا له :

كان الوداد منغّصـا[(٣)] لوُشاتنا ولو آرتمـــوا ما بيننـا بفواقـرِ[(٤)]

تُخطى ظواهرُنا فنُغمِضُ[(٥)] عيننـا عنها ونطمحُ[(٦)] فى صـوابِ ضمـائرِ

متحلِّلِي عُقَـــد الضـغائنِ كلَّمـا نصبَ الحسودُ لنـا حِبالة ماكرِ

أيامَ لا عِرسُ الإخاء بطـالقٍ منّـا ولا أُمّ الصـــفاءِ بعـاقرِ

فالآن أقلقنا الحسودُ كما آشتهى فينا ونفّـــرنا صـــفيرُ الصـافرِ

وكأنّمـا كانت وسـاوسَ حالم تلك المودّةُ أو فكاهـةَ سامرِ

ومـــتى ثكلّت مودّةً من صاحبٍ فلقد عدِمت بهـا ســوادَ الناظرِ

ولذاك نُحْتُ على إخائك مثلمـا ناحَ الحمامُ على الربيـــع البـاكرِ

هيهات لستَ بواجدٍ من بعدها مِثــلى ببــذلِ بضـائعٍ ومَتـاجرِ

(١) تخاوصت : غضت من بصرها . (٢) اللة : شـعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .

(٣) فى الأصل « مفصصا » . (٤) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تكسر الفقار وهى عظام الظهر . (٥) هذا الشطر مشوّه فى الأصل ؛ وفى مختارات البارودى هكذا :

* تخطى ظواهرنا فيغمض عتبنا *

(٦) كذا بالأصل وتحتمل أن تكون « ونطمع » .

لا تَنبِـذ الخُـلاّنَ حولك حَجْـرةً (١) فالعينُ لاتبـقى بغَـير محـاجرِ

ما كنتُ أحسبُ أنّ صِـبغةَ ودِّنا مما تحولُ عـلى الزمان الغـابر

ولـو آنني حاذرتُ ذاك فـديتُها (٢) منـه بلونِ ذوائبي وغَـدائري

لكنَّ كلَّ غريبـةٍ وعجـيبةٍ (٣) من فعلِ هـذا المَنْجَنونِ الدائرِ

فلئن أقمتَ على التصارُم (٤) لم تجـدْ رَيْبا سِوى عَتبِ الحبيب الهاجرِ

وإن آستقلتَ أقلتُهـا وجزاؤهـا منّى مَثوبةُ تائبٍ من غافـرِ

حتى ترى سُحُب الوصـال معيدةً (٥) ذاك الهشيمَ جمـيمَ روضٍ ناضرِ

إن الغصونَ يعودُ حُسنُ قَوامِها (٦) من بعـد ما مالت بهزِّ صراصرِ

أنا من علمتَ إذا المناطقُ لجلجتْ ألفاظها أو غامَ أُفْـقُ الخـاطرِ

ما بين ثغرِى واللّهازِم (٧) بَضعةٌ (٨) هـزِئتْ بشِقشقةِ الفنيقِ الهـادرِ

متحكِّمٌ فى القـول ، يلقُط دُرَّه غَوصِى ولو من قعر بحر زاخرِ

واذا نثرتُ سَمَت بلاغةُ خاطبٍ واذا نظمتُ علتْ فصاحةُ شاعرِ

لى فى مطايا الفضـلِ كلُّ (٩) شِمـلّةٍ أبـدا أرحِّلها لزادِ مسافـرِ

كم موردٍ عرضَ الزُّلالَ لمشربى روَّعتُـه وجفعتُـه بمصادرى

---

(١) حجـرة : ناحية . (٢) ذوائب : جمـع ذؤابة وهى منبت الناصية من الرأس .
(٣) المنجنون : الدولاب . (٤) التصارم : التقاطع . (٥) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٦) صراصر : جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب والبرد . (٧) اللهازم : جمع لهزمة وهى مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن . (٨) الفنيق : الجمـل المكرم لا يركب لكرامته على أهله . (٩) الشملة : الناقة المسرعة .

إن رثَّ غِمدى لم ترِثَّ مَضارِبى ... أو فُـلَّ حدّى لم تُفَـلَّ بصائرى

تأتى جيادى فى الرِّهان سوابقـا ... وجيادُ غيرى فى الرعيـلِ (١) العاشِرِ

ومجالسُ العلماء حشوُ صـدورها ... أنا ، والذُّنابَى للجهـــول الحـائرِ

إن قال أقـوامٌ علىَّ مَناقصـا ... لم يضرُر الحسناءَ عيبُ ضرائرِ

لو لم تكن فى وســـط قلبى حَبَّةً ... لسلوتُ عنك سُلوَّ بعضِ ذخائرى

ولقلتُ : ما هـــذا بأوّلِ ناقضٍ ... عهـــدا ولا هـــذا بأوّلِ غادرِ

لكن حللتَ من الفـــؤاد بمنزلٍ ... أصبحتَ فيه ربيبَ بيتِ عامرِ

يشـــيمى على جَوْر الزمان وعدله ... أنى أقـولُ : لَعًا (٢) لرِجلِ العاثرِ

* * *

وقال يستهدى بعضَ أصدقائه مدادا :

هل فى جُنوبِ «اللِّوى» وجدٌ فأطربَهُ ... بأنَّـــةٍ أرسلَتْهـا حَنَّـــةُ العِـــيرِ؟ (٣)

أم روضةُ الحَزنِ من دمعى على ثقـةٍ ... فـــلا تحيِّى حيَا الغُـــرّ المباكيرِ

ومن يكن غرّه فى الحبّ غادرُه ... فقـــد هَوِيتُ ولُبِّى غيرُ مغـــرورِ

وما ركبتُ الهوى إلا وقـد علمتْ ... نفسى بمـا فيه من هول وتغريرِ

أغشَى الخيـامَ بذلٍّ ليس يطـــرُدُه ... لَفتُ الخـدودِ وإعراضُ الأساريرِ (٤)

---

(١) الرعيل : القطعة القليلة من الخيل .

(٢) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش .

(٣) الغر المباكير : السحاب تمطر فى أول الوسمى .

(٤) فى الأصل « الأساوير » وهو تحريف .

دون الأمانىِّ فيهـم كلُّ لاذعةٍ ... والشَّهـدُ من دونه لسعُ الزنابيرِ

ما للزمان تُحـلِّى لى خدائعُـهُ ... أكلَ المُرارِ(١) بأنواعِ الأزاهـيرِ

لا يَتبع العينَ قلبى وهى تابعـةٌ ... وكيف طاعةُ ذى أمرٍ لمأمـورِ

وصاحب لا يدُ التجـريب تقُـدُه ... ولا سبائكُهُ تصـفو على الكِـيرِ(٢)

يسيءُ حـتَّى اذا فاحت إساءتُه ... رمَى وراء الخطـايا بالمعـاذيرِ

تركتهُ بعبَـاءِ الغِـلّ مشـتملا ... يُكنُّ للغيظ جُرحا غيرَ مسـبورِ

حاشَ الذى شفَّ لى عن كلّ خالصةٍ ... كأنَّ كَشحيْـه صِيغا من قواريرِ(٣)

لا يحتـبى ببيـوت النـافقاءِ(٤) ولا ... يروح مشـتملا ثوبا من الزورِ

أيابنَ ودِّى آنتسابا مالَهُ رحِـمٌ ... إلا الذى فيك من فضـلٍ ومن خِيرِ،

إليـك أشكو مشيبا لاح بارقُـهُ ... فى فـرع دهمـاءَ تجرى بالأساطـيرِ(٥)

كانت مَفارِقهـا مسـكا مضمَّخةً ... فما لهـا بُدّلت منـه بكافـورِ

ومقـلةً عُهِـدتْ كحـلاءَ مرَّهها ... طـولُ البكاءِ على بِيـض الطـوامِيرِ(٦)(٧)

كانت دجًى حسَـد الإصباحُ لِمّته ... فجـزَّها بحسـامٍ منـه مشهـورِ(٨)

---

(١) المرار : شجر اذا أكلته الإبل قلصت مشافرها لشدة عفوصته . (٢) الكير : زق ينفخ به الحـداد . (٣) القارورة : الزجاجة . (٤) النافقاء : ناحية جحر الضب التى يخفيها لينفق منها إذا أتى من قاصعائه وهى باب جحـره الظاهر . (٥) يريد أن الحبر أبيض من كثرة خلطه بالمـاء فكنى عنه بالمشيب . (٦) مرهها : أخلاها من الكحل . (٧) الطوامير : جمع طامور وهو الصحيفة ، — وهو يصف بهذه الأبيات الدواة — . (٨) اللة : الشـعر المجاوز شحمة الأذن .

يا حبّذا هى والأقـــلامُ واردةٌ ... فيهـا وصـادرةٌ سُحْـمَ(١) المناقـــيرِ

كأنّمـا كرَعَت(٢) فى ناظـــرَىْ رشإٍ ... أو فى سُـــويداءِ قلبٍ غير مسرورِ

تَحـوى القراطيسُ منهـا روضةً أُنُفًا(٣) ... فيهـا مُفاخَـــرة الظلمـاءِ للنّـــورِ

فكيف لى بخضـابٍ(٤) تســـتردُّ به ... من الشـبيبة لونا غير مهجـورِ

ذؤابة النـار شـــطرٌ فيـــه معتمـدٌ ... وفيـــه للنّحـــل شـطرٌ غير مبرورِ

قـــد أحكمته يدُ الطاهى(٥) فناشَـــله ... بكـاذب القـوس عن نزعٍ وتوتيرِ

فجـاءنا بغُـــدافٍ(٦) لا تسابقـــه ... شُهبُ البُزاةِ الى وكرٍ وتنفـــيرِ

لو أنّ صِبغتَه(٧) فاز الشبـابُ بهـا ... لمـا رمَى الدهـــرُ فوديْهِ بتغيـــيرِ

وحاجة النِّقس(٨) إن قلّت وإن كثرت ... — اذا سمحتَ بها — مثلُ الدنانيرِ

* * *

وقال يستهدى أقلاما :

ما زال يكشِف عنّى كلَّ طارقـةٍ ... ما خـوّل الله من صُمِّ الأنابيبِ

إن أمطرتْها(٩) بنانٌ جاش غاربُهـا ... على المهَـارقِ(١٠) منهـــلَّ الشآبيبِ(١١)

---

(١) سحم : جمع أسحم وسحماء وهى السوداء . (٢) كرعت : شربت . (٣) الروضة الأنف : التى لم تطأها قدم . (٤) يريد الحبر . (٥) ناشله : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة . (٦) الغداف : الغراب الأسود — وهو كناية عن الحبر — . (٧) الفود : الشعر فى جانب الرأس . (٨) النقس : الحبر ؛ وفى الأصل "النفس" وهو تصحيف . (٩) الغارب : معظم الماء . (١٠) المهارق : الصحف . (١١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

حتى بلغن الى الغـاياب حاسرةً هُتْمَ (١) السنـابك (٢) من بدءٍ وتعقيبِ

وٱحتضَرتْها المُدَى (٣) نحتًا وقد فُلقتْ هاماتُها بين تصـعيدٍ وتصويبِ

فعادَ (٤) من طول ما يسرى عَشَنَّقُها مدغَّما (٥) بين أطـرافِ الرواجيبِ (٦)

وعنـدك الدوحةُ العليـاء تُنبتهـا مَنابت النبع (٧) فى شُمّ الشَّناخيبِ (٨)

فقُدْ الىَّ جيادا من ضوامرِها صمَّ (٩) السنابك سَبْطاتِ (١٠) الظَّنابيبِ

تختـال فى حَبَرات الوشى تائهـةً على متون العـوالى (١١) والقواضيبِ

لو أن بعض غصون الأيك أشبهها ألهى الحمائمَ عن شـدوٍ وتطريبِ

ولـو يبايعنى الخَـطّىُّ (١٢) أنفسَـه لم أعطه شـطرَ أُنبوبٍ بأنبوبِ

وحَملُ كفّى على الأقـلام تُرسلها يطاب (١٣) حملى على الجُردِ (١٤) السَّراحيبِ (١٥)

لا يملك الفارسُ المغوارُ شِـدّتهُ ولا بسالتَه إلا بمركوبِ

---

(١) هتم : جمع هتماء وأهتم وهو الذى سقطت أسنانه . (٢) السنابك : أطراف السيوف واحدها سنبك . — والمراد بها هنا أطراف الأقلام — . (٣) المدى : جمع مدية وهى السكين — والمراد بها المبراة — . (٤) العشـنق : الطويل ليس بضخم ولا مثقل . (٥) مدغما : مسود الوجه . (٦) الرواجيب : مفاصل أصول الأصابع ، واحدها راجبة . (٧) النبع : شجر ينبت فى أعلى الجبل . تتخذ منه القسى ومن فروعه السهام . (٨) الشناخيب : جمع شنخاب وهو أعلى الجبل . (٩) صم السنابك : صلاب أطراف الحوافر — والمراد بها الأقلام — . (١٠) سبطات الظنابيب : لينات حروف السيقان ، واحدها ظنبوب . (١١) العوالى والقواضيب : الرماح والسيوف . (١٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى مرفأ السفن بالبحرين — يقال : رماح خطية — على الوصف — ، ورماح الخط — على الاضافة — . (١٣) فى الأصل هكذا « الطبن » . (١٤) الجرد : الخيـل القصيرة الشـعر ، واحدها أجرد وجرداء . (١٥) السراحيب : جمع سرحوب وهى الفرس الطويلة — توصف به الإناث لا الذكور — .

وقال يستهدى كاغِداً[1] خراسانيا :

تظنُّ فراقا أن تثارَ حُمـــولُ ... وهل مثلُ إعراض الوجوهِ دليلُ؟

وإن الصدودَ والتجنِّى وإن دنت[2] ... ديارهُـمُ وخدٌّ لهـــم وذميـــلُ

وكان شفاءً لى لو آن طُلولهَـم ... خُلقنَ ركابا والركابَ طـلولُ

كأنَّ الحمـامَ الوُرقَ حاد غصونه ... ليُدركَهـم، والبـانُ كيف يزولُ!

ألا إنهـم كالخمـر أحسنُ صنعِها ... إلى شاربيها أن تزولَ عقولُ

ترقون يا آل «المُهيأ» سَرحـكم ... وبآبن أبيـكم فى الفـؤادِ غليـلُ!

ومالى إلى ماء السـحائب حاجةٌ ... ولكنْ يبينُ جائدٌ وبخيـلُ

أيوعدنى الأقوام أن ودَّت المُنَى[3] ... بأنّا لبعض الفـاركاتِ بُعـولُ!

يقولون: كرُّ الطَّرف فى السِّرب غارةٌ[4] ... عليه، وأطماع النفوس ذُحـولُ

فلا تنذروا سفكَ الدماء لنرعوى ... فكلُّ صريعٍ بالغـــرام قتيـــلُ

أبى القلبُ إلا حبَّهـا «عامريةً» ... بها السيف واشٍ والسنان عذولُ

أخافَ الغيورُ السُّبلَ بينى وبينها ... فما إن لنـا إلا الخيال رســـولُ!

فياليت أن النجمَ ضـلَّ طريقَه ... وعُمْر الدُّجَى فى الخافقيْن طويلُ

---

(١) الكاغد : — بكسر الغين وفتحها — القرطاس ، فارسى معرب . (٢) فى الأصـل « نأت » والمعنى لا يستقيم بها ، والوخد والذميل : ضربان من سير الإبل . (٣) الفاركة : المرأة التى تبغض زوجها . (٤) ذحول : جمع ذحل وهو الثأر ، وفى الأصل «دخول» وهو تصحيف .

كما طالَ ليلُ الحِبر عندى ومالَه ... إلى الضوء من صبح البياض سبيلُ

وظلّت أنا بيبُ اليراع طـــريحةً ... كما يتلوّى فى الفـــراش عليـــلُ

تَشَهّى(١) على كفّى ولو سلخَ أرقـــمٍ(٢) ... تَبَخـــتَرُ فى أعطافـه وتجـــولُ

فمن لى بخـزّانٍ لديه صنيعـةٌ ... يجـــودُ بمـا جادت به فينيـــلُ

وما أنا باغٍ غـيرَ تِسـعينَ رَيْطة(٣) ... تَكافأَ عَرضٌ عندهنّ وطـــولُ

نواعمَ قـد أفرِغن فى قالَب المُنَى ... فكلٌّ لكلٍّ فى القَـوام عديلُ

صحـائف لو شئنا لقلنا : صفائحٌ ... فـما منهما إلا أغـــرُّ صقيـــلُ

إذا صافَحَتْهنّ النواظـرُ عاقها ... شُعاعٌ يردُّ الطَّـــرفَ وهـو كليلُ

وإن زَغزَغَتهنّ(٤) البنانُ تضاحكتْ ... قَهاقِهُ فى ترجيعهنّ صَليـــلُ

على مثلهـا يُلقِى الغَيـــورُ رداءَه ... ويُغـــلِى علينا مهرَها فيُطيـــلُ

ولكن إلى رُخو المفاصل فى الندى ... خطبنا ؛ فقد جُرّت لهنّ ذيولُ

وأفـوزُ قِدح قِـــدحُ(٥) خِلّ(٦) رِشائه ... بحاجاتِنا فى الأبعدين كفيـــلُ

* * *

وقال يستهدى شرابا :

إن لم أكنْ من راضعى الخمرِ ... ولم أداو السكرَ بالسكرِ ،

(١) يريد : تتشهى . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الريطة : الملاءة — والمراد بها الورق — . (٤) الزغزغة : تجميش فى المغابن كالإبط وأخمص القدم يحدث عنه انفعال يضطر الى الضحك ، وفى الأصل « زعزعتهن » وهو تصحيف . (٥) القدح : سهم الميسر . (٦) الرشاء : حبل الدلو — وهو هنا مجاز — .

ولا إذا ما ركَدتْ خيلُهَا أجريتُهَا فى حلبـةِ الصـدرِ :

فإننى أهـــوَى النَّدامَى وما يأتون من خيرٍ ومن شرِّ

وأعشق الكأسَ ، وسلطانُها يأخذهـــم بالنهى والأمرِ

كأنمـا الراحُ براحاتهـــم كواكبٌ فى فَلكٍ تجـــرى

منتظِمو الأيدى بأدوارهـا كنظمَك الأحرفَ فى السطرِ

ياقوتُها الأصفـرُ أمواههـم يَنبُتُ فيهـا زَهَـــرُ الدُّرِّ

تحظى بها عينى وحاشا يدى منهـا وحاشا موضـعَ البشرِ

بل ربمـا طاف بهـا أهيفٌ أجفانه من صُحُف السـحرِ

مِن سَبَجِ[1] الإظلامِ أصداغُهُ ووجهُـهُ من جوهرِ البدر

والراح لا يرضَى سواها قِرًى ولو قـرَيناه من التِّـبرِ

إذا علاها زبَـــدٌ خلتَـــه سُحْبًا[2] عليها شَنَبُ الثغـــرِ

وليس لى ممّـا بها قَطـــرَةٌ يا واكفَ الأنواءِ بالقَطـرِ

جُـدْ بها تُشـبِهُ فى عَرفِها عِرضى وفى رِقّتها شِـعرِى

أنتَ صَرِيفِينِى[3] وقُطْـرُبُّلِى وموضعُ الشكر من الدهـــرِ

(١) السـبج : الخرز الأسـود . (٢) الشنب : ماء الأسـنان ورقتها وعذوبتها .

(٣) صريفين : قرية عند عكبراء تنسب اليها الخمر ؛ وقطربل : موضع بالعراق تنسب اليه الخمر أيضا .

* * *

وكتبَ الى أبى الحسَن بن نصر الكاتبِ جوابا عن رُقعة :

لو يهتدى وصفى إلى شـغَفى ... خُطِمتْ(١) بنا فى غارب(٢) الصُّحُفِ

وتركتُ أقـلامى مُفلَّلـةً(٣) ... وخواطـرى متروحة(٤) النُّطَفِ(٥)

شـوقا إليك وما رُمِى جلَدى ... بسهام هجـرٍ أو نوًى قُـذُفِ(٦)

ما مرَّ يـومٌ لا أراكَ بـهِ ... إلا على خطبٍ من الأسفِ

متلفتـا تِلقـاءَ داركُمُ ... أرنو بعيـنَىْ مغـرم دنِفِ

فاذا طمحتُ لوَى الهوى عُنُقى ... وإذا جمحتُ فسـائقى كلَفى

وإذا آنصرفتُ فإنمـا جسدى ... ولَّى وقلبى غـيرُ منصرفِ

من ذا ينيلُ جوارحى أمـلا ... ومـواعدُ الآمال للخُـلُفِ

طَرفٌ نـفَى إنسانَ ناظـرِه ... عنـه آقتناعا منـك بالخَلَفِ

والسـمعُ منبتـه مفاوضـةٌ ... معقـودةٌ(٧) فى موضع الشَّنفِ

ويريد جثمانى مصاحبـةً ... مثلَ آصطحابِ اللام للألِفِ

ومطامعى هـذى تَصَـيُّدُهَا ... كتصيُّد الشَّغواءِ(٨) فى الشَّعَفِ(٩)

---

(١) خطمت : جعل عليها الخطام وهو الزمام . (٢) الغارب : ما بين السنام الى العنق — وهو ما يلق عليه خطام البعير — . (٣) مفللة : مثلمة مكسورة . (٤) فى الأصل . "متروحة" وهو تصحيف . (٥) النطف : جمع نطفة وهى الماء الصافى — قل أوكثر — . (٦) قذف : بعيدة تقذف بصاحبها . (٧) الشنف : القرط يعلق فى أعلى الأذن — والأصل فيه سكون النون — ، والبيت ورد هكذا بالأصل وفيه تأمل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل « الشغواء » وهو تصحيف . (٩) الشعف : جمع شعفة وهى رأس الجبل . .

يا أيّهذا الخــلُّ دعـوةَ مَنْ أثقلتَـه بالقـــرض والسّلَف[1]

لا تُسرفَنْ فى الـودِّ معتمـدا رِفِّ فإنّ البخلَ فى السَّرف

قد جاءنى القِرطاسُ[2] مكتسيا ببدائع كالدُّرّ فى الصَّـــدَف

فكأن راحتَـــك الربيعُ فما تُخـلى الرّبَى من روضة أُنُف[3]

ألقت فُـويقَ مناكبى مِننًا مضمونها جبرى على الكُلَف[4]

حسبى عوارفك التى جمعتْ بين اللُّهَى[5] لى منكَ والشَّرَف

* * *

وكتب إليه أيضا :

يا ماءَ "لِينَـةَ"[6] لو نقعتَ أُوامى[7] كانت حياضُك لى كئوسَ مُدامِ

لا يعدِلُ[8] المشغوفُ عن سَنَن الهوى ولو أنَّ حدَّ العذل غَربُ حسامِ

كيف السلوُّ وليس يَسلُك سمعَـه إلا حنينٌ أو بكاءُ حَمَـامِ

حتى كأنّ القلبَ مدّ حجابَهُ ليُردَّ عنـــه طــوارقَ اللـــوّامِ

ولقد عرَضتُ على السلوِّ جوانحى الـ ـحـــرَّى فلم يَرهنّ دارَ مقامِ

ما ضرَّ من زار الغـــيورَ أمامَـهُ لو زار فى ثوبٍ من الأحلامِ؟

---

(١) فى الأصل «بالفرض» وهو تصحيف . (٢) القرطاس : الصحيفة . (٣) الأنف : التى لم يرعها أحد . (٤) كلف : جمع كلفة وهى المشقة . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٦) لينة : موضع فى بلاد نجد به ركايا عادية وماؤها عذب زلال . (٧) الأوام : شدة العطش . (٨) فى الأصل "يعذل" وهو تصحيف .

جُزْ "باللوى" إن كنتَ تُؤثِرُ أن ترى ... حَـدَقَ المها (١) وســـوالفَ الآرامِ (٢)

وتأنَّ فى نظـــرِ الخـدور فبينهـا ... صـــورٌ تبيـحُ عبادةَ الأصنـامِ (٣)

ناضلننـا بنوافـــذٍ مسمومـةٍ ... ووددتُ لو قبَّلتُ سهـــمَ الرامى

وكنَنَّ فى الأيدى خضـابا ناميـا ... ونظـــيره فى القـلب حبٌّ نامِ

ليس البراقـعُ كالسِّمها لكنهـا ... يومَ الـوداع كنائنٌ لسهـامِ

بينى وما بين الكواعب موعدٌ ... يُلـقِى إلى كفّ المشيب زِمـامى

لاينتهى الطيفُ المزاورُ مضجعى ... عنّى وفى فَـوْدَىَّ (٤) جُنحُ ظـــلامِ

والدهرُ ذو شيئين (٥) يصبغ لِمَّتى ... كلتاهمـا بالصبح والإظـــلامِ

قد كنتَ بُهْمَى (٦)، جَعدة (٧)، خسّيّة (٨) ... فبأىّ مـاء صرتَ نَوْرَ ثَغـامِ؟ (٩) (١٠)

أعلىَّ تقـترعُ الليـالى بعـــد ما ... غلَّت يديْهـا شِرَّتى وعُـــرامى؟ (١١)

تلهو بحَوْذان (١٢) « العـراق » ركائبى ... وعزائمى ترعَى رياضَ « الشامِ »

لى فى بطـون اليعمَـلات (١٣) مَزادةٌ (١٤) ... تُروِى إذا غدَر الغـديرُ الطـامى

---

(١) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . (٢) آرام : جمع رئم — على القلب — وهو الظبى الخالص البياض . (٣) فى الأصل : «الخدرد» وهو تحريف . (٤) الفود : شعر الرأس من جانبيه . (٥) اللة : الشعر المجاور شحمة الأذن . (٦) اليهمى : نبات يشبه الشعر . (٧) جعدة : ملتوية منقبضة مع لين . (٨) خسية : — منسوبة الى الخس — وهو بقلة معروفة عريضة الورق ليّنة . (٩) النور : الزهر . (١٠) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر، كأن جماعتها هامة شيخ — يخاطب الشعر — . (١١) الشرة والعرام : الشراسة . (١٢) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (١٣) اليعملات : الإبل . (١٤) المزادة : وعاء للماء .

وإذا الجفانُ الغُرُّ(١) طلّقت الضحى ... حَنَت الظُّبَى(٢) من غارب وسَنامِ(٣)(٤)

كم بازلٍ(٥) كوماءَ أخطأها القِرَى ... رُدَّت فريضتُها(٦) إلى الأزلامِ(٧)

إن القناعة مذ خطمتُ بحبلها ... طمعى تساوت رحلتى ومقامى

فالبيدُ عندى كالقصور ونهضتى ... كتثبُّطى والوُجْدُ كالإعدامِ

ألقَى بنى هذا الزمانِ مُهجهجا(٨) ... زجرَ الحُداةِ بهيمةَ الأنعامِ

أشخاصُهم لا حِسَّ فى عَرَصاتها(٩) ... وقلوبُهم ثكلَى من الأوهامِ

حسبى وقد أصبحتُ فذًّا(١٠) بينهم ... بك يا "أبا الحسَن" الشقيقِ توأمى(١١)

حَمَلَتْ بنا فى ليلةٍ مزءودةٍ(١٢) ... أمُّ الخِلال الغرِّ حملَ تمامِ

وتكفَّلت ظِئرُ(١٣) العلا برَضاعنا ... حوْلَين ما تحصيهما لفطامِ

حتى إذا الآداب شُدَّ نِطاقُها ... زُفَّت إلى شُمِّ الأنوف كرامِ

يَسْبون أبكارَ المعانى حيثما ... شنُّوا الإغارةَ وهى غيرُ حرامِ

هذا هو النسبُ الصريحُ وغيرنا ... يختال بالأخوال والأعمامِ

لوكان نصلُ إخائى يصدئه النوى ... لصقلتُه بالوصل والإلمامِ

---

(١) الجفان الغر : القصاع البيض . (٢) الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف والسنان وغيرهما — والمراد بها هنا المدى — . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) السنام : أعلى ظهر البعير .

(٥) البازل الكوماء : الناقة العظيمة السنام . (٦) الفريضة : ما فرض فى السائمة من الصدقة .

(٧) الأزلام : جمع زلم وهو أحد سهام كانوا يستقسمون عليه فى الجاهلية . (٨) مهجهجا : صائحا .

(٩) العرصة : ساحة الدار وهى هنا مجاز . (١٠) الفذ : الفرد . (١١) التؤام : الزوج .

(١٢) مزءودة : مروعة مذعورة — كناية عن شدتها — . (١٣) الظئر : المرضع .

لكننى والبينُ يَحــرُق نابَه أفترُّ عن ثغرِ الهــوى البسّامِ
أنتَ النهـارَ تذكّرى وتفكّرى والليـــلَ أحلامى وطيفُ منامى
إن كان أقوامٌ نظامُ فـرائدٍ كنتَ النظامَ وسِـلكَ كلّ نظامِ
أنا عن سوابقـك الجيـادِ مقصّرٌ ومسـلِّمٌ يومَ الرِّهَانِ لحـامى

* * *

وقال من قصيدةٍ ولم يُتمّمها :

قلتُ « لعمرو » جَذِلا (١) أُشجُجْ بها هامَ الفلا
فما آجتويتَ منزلا إلا انتجعتَ منزلا
وإنّ من تسـجُنه أوطانُـه لمُبتَـلَى
فعيدةُ الخـدرِ فما تعـرِفُ إلا المِغـزَلا
أما ترى الطائرَ فى أُفحُـوصه مقلقـلا؟
يستخدم الجَنـوبَ فى جَناحِه وَالشَّـمأَلا
مخـلِّفا وراءَه حمامـةً وجَـوْزلا (٢)
إما يصيبُ جازئا (٣) من قُـوته أو أجـدَلا (٤)
والقـدَر المحتـومُ لا يحُـزُّ إلا المَفصـلا
لما رأيتُ الذلَّ قـد أبـرز نابًا أعصَـلا (٥)

(١) أشجج : شق . (٢) الجوزل : ولد الحمام . (٣) الجازئ : ما اكتفى به من الطعام . (٤) الأجدل : الصقر . (٥) الأعصل : الأعوج .

شاورتُ عزمى : ماترى ؟ فقـال : هاتِ وهَـلا (١)
إمـا عِتـاقا (٢) للنَّجـا ءِ أو هِجـانا (٣) بُـزَّلا (٤)

وقال :

أرى الأمـوالَ فى اللؤماء تثوِى وتجتنبُ الـكرامَ من الرجالِ
كـذاك الدُّرُّ فى مِلـحٍ أُجاجٍ وليس يكون فى عَذبٍ زُلالِ

وقال :

فلقلْ ركابَك فى الفـلا ودع الغـوانىَ للقصورِ
فمحالفـو (٥) أوطانهـم أمثالُ سُكّان القبـورِ
لولا التغـرُّب ما ٱرتقَى دُرّ البحورِ إلى النحورِ

وقال فى الغَزَل :

عينى التى علِقتْ حبائلُكم بهـا والحسنُ للعين الطموحةِ صائدُ
وخدعتمُ سمعى بطيبِ حديثكم ومن الكلام لآلئٌ وفـرائدُ
وتردّد الأنفاسِ مَلّكَ عرفكم (٦) ما ليس يبلغُه العبيرُ (٧) الجـاسدُ (٨)

(١) هلا : كلمة تستعمل للحث . (٢) العتاق : كرام الخيل . (٣) الهجان : الكرام من الإبل . (٤) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٥) فى الأصل «فخالفى» وهو تحريف . (٦) العرف : الرائحة الطيبة . (٧) العبير : أخلاط من الطيب . (٨) الجاسد : اليابس ، وفى الأصل "الحاسد" وهو تصحيف .

وأحلتمُ قلـــبى على أخلاقـكم فاذا السُّلافة[1] والزلالُ[2] البـارِدُ

وبقى لسـانى وحدَه لى زاجرا هيهات، لا غَلَبَ الجماعةَ واحدُ!

* * *

وقال فى مثله :

لا تَظُنَّنَّ بى سُلُوًّا وإن كتـ ـتُ عزيزَ الدموع بين الجفونِ

إنما يصعبُ الدفينُ من الدا ءِ وسهـلٌ ما كان غيرَ دفينِ

وبكاءُ القـلوبِ أسرفُ فى حكـ ـمِ المحبّينَ من بكاءِ العيـونِ

* * *

وقال يهجو :

أيا وَلد "الحُصَين" وما "حُصَينٌ"؟ لماذا — ضلَّ سعيُك — هِجتَ حَربى

أطلتُ تفـكُّرَى فـرأيتُ علمى وجهـلُك ضدُّه فعـرفتُ ذنبى

وما أهجـوك أنك أهـلُ هجـوٍ ولكنّى أجـرِّبُ فيـكَ ضربى

وهـل عيبٌ[3] على شَفَـراتِ سيفى إذا آستحنتُها فى لحـمِ كلبِ

* * *

وقال فيه :

لا تغتبط يآبنَ "الحُصينِ" بِصبيَةٍ أضحت لديك كثيرة الأعـدادِ

لا تفـخرَ فيـك ولا آفتخارٌ فيهمُ إن الـكلابَ كثيرةُ الأولادِ

(١) السلافة : الخمر . (٢) الزلال : الماء العذب . (٣) فى الأصل «عتب» .

وقال فى آبن دارَسْت :

قالوا : آبنُ " دارستِنا " وزيرٌ ... فقلتُ : لفظٌ بغـيرِ معـنَى
مثـلُ لديغٍ يُدعَى " سَـليما "[1] ... "نَصْرًا" و"فتحا"[2] يُسمَى ويُكنَى
كأنّما وجهـه كتابٌ ... سـوِّدتَ فيـه ظهـرا وبَطنَـا
بعضُ وُعولِ الجبـال لكن[3] ... أطـولُها لحـيةً وقَـرنَا
أقبلَ من " فارسٍ " الينـا ... فى عُصبةٍ كالحَـميرِ لُكْنَـا
ظننتُهـم حـولَه شِـياهـا[4] ... والشيخَ تيْسـا والدَّستَ دَبْنَـا[5]
يا رائـدا دُلَّنـا عليـه ... صدقتَ حِسًّـا وخِبتَ ظنًّـا

وقال فيه :

دَستُ الوزارةِ يبتغى حَجَـرا ... منكم ليستنجِى من الخَبَثِ
أو ليس مفـترضا طهـارتُه ... بعد "آبنِ دارَسْتٍ" من الحدَثِ
تُنِيَتْ أرائكه على شَـبحٍ ... خالٍ من الأعراضِ والجثثِ
ولربَّ حىٍّ فى تصـوُّرِه ... والمَيْتُ خيرٌ منه فى الجَـدَثِ[6]

(١) يقال للدوغ سليم تفاؤلا بسلامته من لدغة . (٢) فى الأصل «قبعا» وهو تصحيف .
(٣) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٤) شياه : جمع شاة وهى معروفة . (٥) الدبن حظيرة للغنم تعمل من قصب ، فإن كانت من خشب فهى زرب — بكسر الزاى وفتحها — ؛ وإن كانت من حجارة فهى صيرة — بكسر الصاد — . (٦) الجدث : القبر .

وقال فيـــه :

لُحِيَ "ابنُ دارَسْتٍ" على إمساكه ... فأجاب : إنى باذلُ الماعون (١)

أوَ لم تكونوا بيتَ بيتَ جِوارَنا (٢) ... فقَـــرَيتُكم بالماء فى "كانونِ" (٣)؟!

فآرضوا بأســقيةِ الزلال قرًى لكم ... ودعوا الجِفـانَ فإنها لكفـــونى

لا كان زادٌ فى وعائـك إنه ... سببٌ لطـاعمه من الطـاعـونِ

وقال عند عزله :

اِرجِعْ الى ما أنت أهـــلٌ لهْ ... شُـــدَّ متاعَ القـــوم أوحُلَّهْ

قد عثَر الدهـــرُ بكم عثرةً ... ودَّ بها لو قطعـــوا رِجـــلَهْ

إنّ زمانا "لابن دارستَ" قد ... قُـــدِّمَ فيـــه زمنٌ أبلَهْ

قد قال عذرا حين وبَّختُـه : ... لا بدَّ للعـالِمِ من زَلَّهْ

وكتب إلى صديقٍ له أهدى إليـه رُطَبا معسَّلا وصابونا وقواصرَ تمرٍ (٤) يشكره .

ودادُك فى قلبى ألذُّ من المُنَى ... وذكرُك أحلَى فى اللَّهاة (٥) من الشَّهدِ

(١) الماعون : المعروف .

(٢) يقال : هو جارى بيت بيت أى ملاصقا ، وفى الأصل * أو لم يكونوا بيت بيت جواركم * والضمائر فى هذا البيت مضطربة فأثبتنا ما رجحناه ليستقيم المعنى .

(٣) كانون : من الأشهر الرومية وهو من قلب الشتاء .

(٤) قواصر : جمع قوصرة وهى وعاء من قصب يرفع به التمر من البوارى — وهى الحصر — .

(٥) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

فلستُ بمحتـاج إلى أن تُعينَه ... بمـا تتجَتْـه البـاسقاتُ من الولدِ

ولكنّما أذكـرتَنى بشـــمائل ... جعلنَ على المُهدَى الفضيلةَ للمُهدِى

أتتنا هداياك التى لم نجـــد لهـا ... جزاء ســوى الشكر المكلَّل بالحمـدِ

معاليقُ(١) باقـوت تخالُ ثقـــوبها ... بأبشيزكاتِ(٢) التبر نُظِّمنَ فى عِقدِ

و إنّ نتاجَ النحلِ والنخلِ واحدٌ ... وهل بين شكل الحاءِ والخاءِ من بُعدِ

أتت فى مُروطٍ(٣) من يراعٍ كأنهـا ... من القصَب المصرىِّ تختال فى بُردِ(٤)

وقد قدَّرتْ كفُّ الصَّناعِ(٥) ائتمامَها ... كتقدير "داودَ" المسامير فى السَّردِ(٦)

تعـانقنَ فيهـا كاعتناق حبائبٍ ... فمـا نتعاطـاهنَّ إلا على جهـــدِ

إذا فـــزقتهنّ البنانُ(٧) تشبَّثت ... بمثل هَباء الشمسِ خوفا من البُعدِ

وأخرى تجلَّت فى قميصِ زجاجةٍ ... كما ضُمِّن القـنديلُ لألأةَ الوقـدِ

نفَـوا قلبها القـاسى وآووا مكانَهُ ... رقيقا و إن ساواه فى اللون والقدِّ

فـــو الله ما أدرى أذاك نَحيتـــةٌ(٨) ... من الزُّبد أم هذا مصوغٌ من الزَّبدِ؟!

بكا للتنائى بعضُها فـوق بعضِهـا ... دمًا مُجْسَدا فى صِبغة اللحم والجـلد

---

(١) معاليق : جمع معلاق وهو كل ما علق . (٢) كذا بالأصل وقد شكلت بالقلم، ولم نعثر عليها ولعلها بمعنى "سلوك" .

(٣) المرط : كساء من خز، وربما تلقيه المرأة على رأسها تتلفع به . (٤) البرد : الثوب . (٥) الصناع : الحاذق الماهر فى صنعته .

(٦) السرد : نسج الدرع — و يقال : إن أول من أحكم صنع الدرع داود عليه السلام — .

(٧) تشبثت : تعلقت . (٨) فى الأصل هكذا "نحسه" .

وزادت بلون الزعفـران تصبُّغـا ... ولا تَشنَعُ(١) الحسناءُ من حمرةِ الخدِّ

فتـلك بَرَانٍ(٢) أم مخازنُ جوهر ... حُشينَ فريداتٍ من العـنبر الوردِ؟

اذا قلّبتهنّ الأكفُّ تعجُّبـا ... توهّمهـا الراءون تلـعبُ بالنَّردِ(٣)

وشهباء(٤) يُستجلَى الضَّريبُ(٥) بلونِهـا ... وطينتُهـا من عنصر الحجَر الصَّلدِ

مقابَلة الأضـلاع ، كان مثالُهـا ... قياسا "لذى القَرنَين"(٦) فى زُبَرِ السَّدِّ(٧)

عَدُوَّة "مانى"(٨) فى البياض ، كأنّها ... ولونَ المشيبِ قد أقاما على عهدِ

وما عطّـر الأثوابَ مثلُ مقدَّمٍ ... على المسك والكافور والعُودِ والنَّدِّ

أيادٍ توالت منك عجَـلَى كأنهـا ... شَرارٌ أطارته الأكفُّ من الزَّندِ

وإنىَ فى عجَـزى عن الشكر سائلٌ ... مساعدتى مَن كلَّم الناسَ فى المهدِ؟!!

* * *

وقال يهجو :

ضيوفُ "آبن فَضلانٍ" سواءٌ نهارُهم ... وليلُهـمُ صوما من الشّرب والأكلِ

ويُلزمهـم أن يَنكحـوه وعِرسَه ... وصعبٌ على مَن شئتَ خَرجٌ بلا دَخلِ

---

(١) تشنع : تقبح ، وفى الأصل هكذا « لسع » . (٢) البرانى : جمع برنية وهى وعاء من خزف . (٣) النرد : شىء معروف يلعب به — وهو ما يسمى « بالطاولة » — .

(٤) يريد زجاجة بيضاء . (٥) الضريب : العسل الأبيض الغليظ . (٦) زبر : جمع زبرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٧) السد : — بالفتح ويضم — الحاجز بين الشيئين والمراد به ما بناه ذو القرنين ؛ وقصته معروفة فى القرآن الكريم . (٨) مانى : رجل يقول الخير من النهار ، والشر من الليل ، ومذهبه مذهب المانوية ؛ — ومعنى البيت مضطرب — .

وقال :

قل "لابن جابرَ" الذى جعلَ اللهُ لـــه كلّ خَـــلّةٍ[1] قـــذرَهْ :
الجنُّ نارٌ والإنسُ من حَمَـــإٍ[2] فأنتَ لِمْ ذا خُلقتَ من عَذِرَهْ؟[3]

وقال فى سوداء :

عُلّقتُهـا حَمّـاءَ[4] مصقـولةً سـوادُ قلبى صفـةٌ فيهـا
ما انكسف البدرُ على تِمِّهِ ونُورِه إلا ليحكيهـا
لأجلهـا الأزمان أوقاتُهـا مؤرخاتٌ من لياليهـا

وقال فى الشيب :

لم أبكِ أن رحلَ الشبابُ و إنمـا أبكى لأنْ يتقاربَ الميعـادُ
شَعـــرُ الفتى أوراقُه فاذا ذوَى جَفَّت[5] على آثاره الأعـــوادُ

وكتب الى أبى الخير سعيد بن منصور بن مُوصَلايا يستهدى منه أقلاما ومِدادا عند توجُّهِه إلى بعض الأسفار

"أبا الخير" المفيدَ لكلِّ خيرٍ وكاسىَ نُبْـلِه ريشَ الصوابِ

(١) الخلة : الخصلة ، والبيت غير متزن وقد تحاشينا التصرف فيه . (٢) الحما : الطين .
(٣) العذرة : الغائط . (٤) الحماء : السوداء كالحمأ وهو الطين . (٥) فى الأصل «خفت» وهو تصحيف .

ومن ألقى اليه الناسُ طرًّا مقاليـــدَ الكتابة والحسـابِ
ومن إن شاء إنشاءً بليغـا فليس يَعُوزه فصـلُ الخطابِ
فضائلُ يُنسَب الإحسانُ فيها كما نُسب القِطارُ الى السحابِ
أرانا كلَّ معجبةٍ إلى أن أرانا عنـــده لونَ الشبـابِ
مِدادا إن تضمَّنه محـلٌّ ظننتُ مقرَّه وكرَ الغرابِ
فما أدرى أمن كُحـلٍ مُماع تجسَّم أم دُجَى ليـــلٍ مذابِ
تقـــولُ اللِّـــة(١) الشمطاءُ(٢) لمّا رأته : ليتَ هذا من خِضابى!
وقد أزِفَ الرحيـــلُ فلا مقامٌ سوى شدّ الرِّحال على الركابِ
إلى ملكٍ توسَّـط بين برٍّ وبحـــرٍ طافحٍ سامى العُبـابِ
فلستُ بواجدٍ فيـــه أنيسـا سوى الحيتان تُقرنُ بالضِّبابِ(٣)
فزوِّدْنى من الأنفـاسِ(٤) قـــدرا يقـوِّتنى إلى حين المـآبِ
فإن أسعفتَ بالأقـلام منّـا فما يغنى الطعامُ عن الشرابِ

* * *

وقال :

تَزاحَمُ فى صـدرى القوافى ولا أرى لهـا مستحقًّا فى الزمان ولا أهـلا
وكيف أمتـداحى معشرا شجراتُهم عَوارٍ فما تُجدى ثمـارا ولا ظِـلّا

(١) اللة : الشـعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) الشمطاء : التى خالطها سواد وبياض .
(٣) الضباب : جمع ضب وهو معروف . (٤) أنفاس : جمع نفس — بكسر النون — وهو الجرء .

فلو شَرُفوا بالعــلم وٱطرحوا الندى تأوّلتُ فيهم أننى أمــدح الفضــلا
ولو تركــوا الآدابَ عنهم بمعزلٍ وجادوا، لقلت: أمدحُ الجودوالبذلا
ولكنهــم عن ذا وذاك تزحزحوا فلم أرَ أنى أمدحُ الجهــلَ والبخلا

* * *

وقال وقد سئل أن يلغز أبياتا فى النار :

هــل تعرفُ الحسناءَ تَفـ ـخَر بالبروز على الطريقِ؟
ولهــا ولىٌّ لا يغــا رُ من الزيارةِ والطُّروقِ
لا يستريبُ بهــا وإن كانت شِعــارا للرفيــقِ
وإذا ٱختفت فى خِدرها جُلِدتْ لتَظهَر فى الحقوقِ
فأتتــك منــه فى حِدا دٍ ناصلٍ واهى الخروقِ
ثم ٱكتست بغِــلالةٍ (١) إما عَرارٍ أو (٢) شــقيقِ
تاجُ الزُّمُرّد (٣) فــوق مَفـ ـرقها يُرصَّعُ بالعقــيقِ
بين الأنام و بينهــا ماشئت من نسبٍ عريقِ

* * *

وقال :

تقاعستُ عن أبناءِ دهرىَ عائفا مواردَ منهــم ضافياتِ الغــلائلِ
ولى قُــرباتٌ عندهــم غير أننى أضَنُّ على أفضالهم بفضائلى

(١) العرار : النرجس البرى ؛ او هو بهار ناعم أصفر طيب الرائحة . (٢) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة . (٣) الزمرد — بالدال والذال — حجر كريم أخضر اللون .

وقال ولم يتمّمها :

فـرّ من الحبِّ قلبُـه فنجَا ... من بعد ما خاضَ فى الهوى لُجَجَا

فمـا ســباه ماشٍ بضُـحًى ... ولا شجـاه معـمَّم بـدُجَى

من يبكِ حَولا يُعذِرْ فكيف بمن ... بكَى على رسم دارهـم حِجَجا

هذا اللَّمَى ذلك الذى شغف الـ ... ـقلبَ وخمـرُ الثغور ما مُزِجا

فكيف حالَ الغـرامُ منـه قِلًى (١) ... ونال من بعـد شدَّةٍ فرَجا

لأ تأمنَنّى على مراجعـةٍ ... مَن دبَّر الحبَّ قبلَنا بحِجَا؟

يا ناقـةَ الظبيـةِ التى ظعنَتْ ... أهـودجا ما حمَلتِ أم بُرُجا؟

زاد بـكِ البـدرُ فى منـازله ... منزلتَيْهـا "عُسْفَانَ" (٢) أو "أَمَجَا" (٣)

قد أغربَ القينُ (٤) فى سهامهمُ ... راشَ بهُـدبٍ ونصَّـلَ الدَّعَجا

أليس هـذا السـلاحُ ويحكمُ ... أحكَمَ "داودُ" الذى نَسَـجَا

كانت دموعى ماءً فصـرنَ دَمًا ... أأبـدل السنُّ شأنَهـا ودَجَا؟ (٥)

ونار قلبى هى التى ظهـرت ... تُوقدُ فى الليـل مَفـرقى سُرُجا (٦) (٧)

---

(١) القلى : البغض (٢) عسفان : منهل من منا هـل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل غير ذلك . (٣) أمج : بلد من أعراض المدينة . (٤) القين : الحـداد .
(٥) الودج : عرق فى العنق إذا قطع لا تبقى معه حياة . (٦) المفرق : — من الرأس — محل فرق الشعر . (٧) سرج : جمع سراج وهو معروف .

ليت الذى نظَّـــمَ اللا لئَ فى فـرعِىَ خَـــلَّى مكانَهـا السَّبجا[1]

يا مولِجَ الليـلِ فى النهـارِ أما آن لصبحٍ فى الليـــل أن يَلِجا؟!

* * *

وقال ولم يتمّها :

جاريتُ فى الحبِّ أطلاقا[2] بلا أمدِ[3] فها أنا سابقُ[4] العُشّاقِ بالكمـــدِ

ما يستطيل فؤادى فى الهوى سَفَرا والهمُّ زادى وماءُ العين من عُدَدِى

خفْ يا مليكىَ أن يفنَى عذابُك لى ولا تخفْ أننى أبقى بـلا جَـــلَدِ

جيشٌ من الصبر عندى ليس يهزمُهُ شـوقٌ تُغـير سَرَاياه[5] على الكبِـدِ

بلغتُ أقصَى المَدى فيه وما ثلَمتْ منه الوشاةُ فـــلم ينقُص ولم يزِدِ

إن الألى ملئوا الأجفانَ من مطرٍ هـــم الألى ملئوا الأفواهَ من بَرَدِ

مَن نابُهُ شَنَبٌ[6] وظُفْـــرُه عَـــنَمٌ[7] فهو الغزال الذى يجنى على الأسدِ

نفسى إلى الله لا تشكو جفـاءكُمُ ولا إليكم ، فهل تشكو إلى أحدِ؟!

* * *

وقال :

تُسائلنى دِرعى : أهذى هى النَّبْلُ؟ لعـلَّ الذى شبّهتَـه الأعينُ النُّجلُ!!

---

(١) السبج : الخرز الأسود — فارسى معرب — . (٢) فى الأصل «حاربت» وهو تصحيف .
(٣) أطلاق : جمع طلق — بفتح الطاء واللام — الشوط ؛ — وبضم الطاء واللام — غير المقيد من البعران أو النوق ؛ والفرس اذا كانت إحدى قوائمها لا تحجيل فيها . (٤) فى الأصل «سابق» وهو تحريف . (٥) سرايا : جمع سرية وهى القطعة من الجيش . (٦) الشنب : ماء ورقة فى الأسنان . (٧) العنم : شجر ثمره أحمر يشبه البنان المخضوبة .

رمينَ[1] سهاما فى الجســوم جراحُها ؛ وما أنتَ من سهم به يخرُج العقلُ ؟!

متى ماتجِدْ لى الشمسَ فى غسَقِ الدُّجَى أجِدْ لك قلبا ماله فى الهوى شــغلُ

ولولا اتّفاقُ النــاس فى الحبِّ أنه قديمٌ، لقلتُ : لوعتى مالها قَبْــلُ

أيا حادىَ الأظعان أَعجِــلْ فإنها الـ ـمنايا، وبعضُ البِرِّ أن يؤجَرَ[2] القتلُ

ويا قلبُ أقرِرْ بالذى كنتَ جاحدا فقــد ضجِر اللاحى وقد فنِيَ العــذلُ

يزيد الحسانَ البيضَ فى اللؤم رغبةً تصوُّرُنا أنْ منهُمُ يحسُن البُخلُ

* * *

وقال :

يا" آل عَوفٍ " أنجدوا الصّبّا ولطالمــا فرّجــتُم الكَرْبا

كانــ ـابتداء أخيكُمُ مِقَــةً ثم استحالت بعــدَ ذا حَربا

كُفُّــوا ظبــاءً فى مَسارحكم تَسبى اذا غُزِيتْ[3] ولا تُسْبَى

وخذوا يدى اليمنَى معاهِــدةً أن لا تعاوِد مقــلتى الحُبّــا

قالوا : حلَلنا عنهُ رِبقَتَــهُ ، صدَقوا، وشَذّوا العينَ والقلبا

* * *

وقال ولم يتمّها :

أتنساهــا على "خَيْف" مِنًى" تَهــوِى أبابيــلا[4]

(١) فى الأصل هكذا « بعين » ولعلها محرفة عن « رمين » بأن شبكت الراء فى الميم فالتبست على الناسخ .

(٢) فى الأصل هكذا « يوجر » . (٣) فى الأصل « غرنت » وهو تصحيف .

(٤) الأبابيل الجماعات .

وقـــد ألبسها الوخدُ (١) مِن المَرْو (٢) خلاخيلا

رُبّى فيها ترى الحام ـل قـــد شابَهَ محمولا

فـذا بالنُّسك منحـورا وذا بالحبّ مقـــتولا

أتـدرِى أيّهـا أَســـ ـعُ للأرواح ترحيـــلا

هـــل البِيضَ (٣) المباتيرَ أم البيضَ (٤) العَطابيـلا؟

وليس الخـدُّ مصقولا بدون السيف مصقولا

أمَن يقطعُ فى غِمدٍ كمن يقطـــع مسلولا؟

ألا يازاجـــرَ الســـانـ ـح (٥) ما أحسنتَ تأويلا

جرَى اليمنَى وما صادفـ ـتَ حبلَ الوصل موصولا

أرَى الخِدرَ (٦) لمـا يصنـ ـعُ بى سُكّانُهُ (٧) غِيلا

* * *

وقال :

أظنُّك تبتغى حلَبَ الثـغورِ ولو عُوِّضْتَ بالمـاء النميرِ

(١) بالأصل ، "الوجد" ؛ والوخد : ضرب من السير السريع . (٢) المرو : حجارة بيض براقة ، وهو أيضا موضع من شعائر الحج . (٣) فى الأصل « السمر » وكتب أمام هذا البيت فى هامش الأصل «أظنه البيض» ؛ ونحن نرجحها لأن السمر — وهى الرماح — لا توصف بأنها باترة ، والبيض المباتير : السيوف القاطعة والبيض الثانية : الجوارى الحسان . (٤) العطابيل : جمع عطبول وهى الجميلة الطويلة العنق . (٥) السانح : الطائر أو الظبى يمر من اليمين — والعرب تتفاءل بهوضده البارح — . (٦) الخدر : بيت الجارية . (٧) الغيل : بيت الأسد .

وتطلبُ من حَمامِ الأيك لحنا يَهيج بلابلَ القلب الذَّكورِ

وقال :

يا كاهنَ الحبِّ خبّرنى مَن الجـانى عينى التى عشقت أم طَـرْفَ الرانى؟ (١)

ولو علمتَ الذى يجـرِى على كبدى لقلتَ : إنهما فى الحبِّ سِـيّانِ (٢)

وقال ولم يتمها :

قد علمَتْ ليـلة الحمى ورَعى والبـدرُ فيهـا فريسةُ الطمعِ

أُغمِضُ عينىَّ عن محاسنهـا والقلبُ ما تذكر الجفونُ يعى

تزجرُنا خيفة "الإمامِ" عن الـ ـصَّـبوةِ زجرَ المشيبِ والصَّـلعِ

" القـائمِ " المنتضى صوارمَه على رءُوس الأهواءِ والبـدَعِ

بذكـر أسمائِه التى شرُفَت يُعرَفُ فضـلُ الأعيادِ والجُمَعِ

وقال ولم يتمّها :

لا مجـدَ إلا " للإمام القـائمِ " وإن آذعتهُ عصابةٌ من "هاشمِ"

نرضَى لدينِ الله والدنيـا الذى رضِىَ النبىُّ لـبُرْده والخـاتمِ

(١) كذا بالأصل ، ومعنى العين والطرف واحد ، ولعل صوابه :

* عَينى التى عَشِقَتْ أمْ قلبىَ العانى *

(٢) فى الأصل «الحسن» وقد كتب فوقها بالقلم الرصاص «الحب» فرجحناها .

وقال فى غَرَض :

أُقسم بالعـاديات(١) ضَبْحا(٢) حقًّا وبالموريات(٣) قَدْحا :

بأنكم توسعون مَقْتا من زادكم عِفـة ونصحا !

فى كلّ يوم لكم سطورٌ تُكتبُ بالعهـد ثم تُمحَى

وكلُّ ما يُبتَنَى عِشاءً يُهـدَمُ بعد التّمـام صُبحا

كالأفق إن غام فى جَنوبٍ هبّت شَمـالٌ له فأصحَى

آمالُنـا فيكُمُ هَبـاءٌ أضرَبَ عنها الرجالُ صفحا

من همُّه أخذُ رأسِ مالى فكيف أرجو لديهِ ربحا؟ !

وقال :

ياليتهـم حين صَيَّروا خَدَما عُمَّـالَ عُمّالهـم كما حُـكما :

جَرَوا على ذلك القياسِ بأن تصـيرَ عُمّالهُم لهـم خدَما

وقال ولم يتمّمها :

بعينيـك إضرامُهـم للأكمْ بجُمـرِ القِبابِ وحُمـرِ النَّعَمْ

تَخيّلهـا الضيفُ نارَ القِـرَى وما هى إلا قـلوبُ الأمـمْ

---

(١) العاديات : الخيل — سميت بذلك لعدوها — . (٢) الضبح : صوت للخيل فى عدوها لا بالصهيل ولا الحمحمة . (٣) الموريات : الخيـل تصك الحجارة بحوافرها فتبدو منها النار — على التشبيه بإيراء الزناد — .

ورقَّ الحُـــداةُ لإنصاتِهـــم (١) فأبدلْنَها بالســـياطِ النَّـــغَمْ
لقد كذبَ الفألُ لمـا زجرتُ ظباءَ "سُليمٍ" "بوادى السَّلمْ" (٢)
فما كنَّ إلا الجوى والأسى وطولَ السهـادِ وفرطَ السَّقَمْ
أترجو لمن قـــد هَوِى صحّـةً وما علَّـــة الحبِّ إلا لَمَـــمْ؟ (٣)
ولمـا رأى البُرءَ فى عَـــذْله رماه الهـوى بالعمَى والصَّمَمْ
تظنُّ السحائبَ أجفـانَهُ لو آنَّ السحائبَ تهمى بدمْ
ولولا الغـــرامُ لمـا شاقَـــه حَمـامٌ دَعَا أو غـــزالٌ بَغَـمْ (٤)

* * *

وقال ولم يتمّها :

غدًا تراهـا جُنَّحًا على "الغضا" تطلُب عهدا من زمان قد مضَى
ما بالهـا خاشعـــةً أبصارُهـا إلا اذا برقُ "العقيق" أو مَضـا
مُروعـــة تحسَبُ فى هـاماتها صـــوارما منـه عليهـا تُنتَضَى
حنّتْ إلى ركب "الحجاز" تشتكى إليه من أهلِ "العُذَيبِ" مَرَضا
مالكَ فى الركبِ غريمٌ ماطلٌ؟ بلَى، على الحىّ ديونٌ تُقتَضَى
قال : وهل ترجو الوفاءَ عندهم كأنهـا على الأجَلِّ "المُرتَضَى" (٥)

(١) فى الأصل «لأنصابهم» وهو تصحيف . (٢) فى الأصل «ووادى السلم» وهو تحريف .
(٣) اللمم : الجنون . (٤) البغام : صوت الظبى . (٥) الهاء فى كأنها عائدة الى الديون فى البيت السابق .

وقال :

وقائلٍ : لِمْ هجرتَ الشعرَ من زمنٍ ... فقلتُ قولَ أمرئٍ من خَيرِهِ يئِس :

رأيتُ هجـوى أناسا معجزا لهـــمُ (١) ... وخاب مـدحى فبعتُ النُّطقَ بالخرس

وقال :

قل "لابن قُـرَّانٍ" مقالةَ ناصحٍ : ... أخطأتَ حين نكحتَ حُوراً عِينا

عَلِقتْ حِبالُك ظبيـةً وتركتَها ... وكأنهـا لم تحـــو منك قرينـا

تالله أقسم أنها إن لم تعُـدْ ... بعـــدَ البَكارةِ لاقـا ولَبـــونا

تَركتْكَ كالسِّم أبيـــكَ تفتَحُ فاهُهُ (٢) ... وتزيـــدُ فيه بعـــد راءٍ نـونا

وقال وسُئل عملَ أبيات فى النارنج :

إذا فُتِنَ الإنسانُ يوما بمنـظَرٍ ... فإنى إلى النـارنج مائلةٌ نفسى

تظنُّ السماءَ خُضرةً شجـراتِهِ ... وتحسَبه ما بينهـا كُرةَ الشمسِ

وقال يُلغز بجَرَّة :

ذاتُ أيدٍ ثلاثةٍ أبـدَ الدهـ ... ـرِ ترى فـوقَ رأسِها أيديها

(١) كذا بالأصل و يحتمل أن تكون "مفخرا" .

(٢) يريد أن اسمه يصير «قرنان» وهو بمعنى الديوث — وهو الذى يرى الريبة على أهله فيغض عنها —

شِرِبَتْ ماسقيتَها من شرابٍ ثم تسقيكَ مثلَ ما تَسقيها
خَـرْتُ(١) آذانها مَغابِنُ(٢) أيدي ـها ويافُوخها مقـرٌّ لفيها

* * *

وقال يهجـــو :

قالوا : "آبن مالكَ" قرنانٌ فقلت لهم : كذبتُمُ وأثِمتم بل لـــه ذَنَبُ
لوكان يملِك قرنا كان ينطح عن شاةٍ له كُلُّ تيسٍ فـــوقَها يثبُ

* * *

وقال :

عيوبٌ "لآبن مالكَ" قد كفَتنى عَناءَ الذمِّ فيـه والأهـاجي
بـــلى ! قالوا : له جارٌ جريءٌ على نِســوان عمال الخـــراجِ
وليس بطـالبٍ منهنّ شيأ سوى طلب الديوك من الدَّجاجِ
لـــه رمحٌ بأسـفلِ حالبيْـــهِ يجيد الطعنَ فى يوم الهياجِ
وقد نقَهتْ عليه عِرسُ "يحيَى" على وجه التداوى والعـــلاجِ
لأنَّ بهـا على ما قيـــل يَبْسا وأنّ صـديقَها رطبُ المزاجِ
فحـاز النَّيـكَ رِخمٌ فيلسوفٌ بـــبرهانٍ صحيـحٍ واحتجاجِ
فـلا تفْرِر بهـا شرقا وغربا(٣) فمـا أحدٌ من الحـدثانِ ناجِ

(١) الخرت : الثقب . (٢) المغابن : الآباط ، واحدها مغبن — بكسر الباء — .
(٣) فى الأصل هكذا « تعرر » .

* * *

وقال :

"ليحيَى بن عبدالله" عِرسٌ كريمةٌ تعاتبُـه أن صانَـه اللهُ ساقطا

فما يمنعُ البطنَ الخميصةَ زانيًا ولا يحـرِم الظهـرَ الموطَّأ لائطا

فأيّ سـبيليْها أراد سلوكَه أصاب له فيـه شريكا مخـالطا

ولو حَمَل "الثَّورُ"(١) السمائيُّ قرنَهُ لخرَّ من الأفلاكِ بالأرض هابطا

ومن كان ذاكَ الوجهُ مِرآةَ وجهِهِ فلا نُكرَ أنْ يُمسِي ويُصبحَ ساخطا

عَبوسٌ تظلُّ العينُ منـه قريحةً كأنّ عليـه للقَتادةِ(٢) حائطا

ألا ضـلَّةً للقـوم ردُّوا ولايةً اليـك ولو كانت تُغِـلُّ قَرارِطا(٣)

فما آستحفظوا إلا ذؤيْبا مُغاورا وما آستودعوا إلا لُصَيْصامغالطا

فلا تبتهج بعاجل الأمر فيهـمُ فسوف تَرى فى أخذَعيْكَ(٤) المَشارِطا

سـتلقَ أليمَ الأخذ للعظم كاسرا وللّحم مِنضاجا وللجِـلد سامِطا

وإن تنجُ لايُنجيك من سطواته بنفسك إلا أن تُحِلَّ الخرائطا(٥)

---

(١) يريد برج الثور، — وهو أحد البروج التى تنزلها الشمس — .

(٢) القتادة : شوك شجر صلب كالإبر . (٣) قرارط : جمع قيراط — كفتاح ومفاتح — والقيراط بمكة ربع سدس الدينار؛ وفى العراق نصف عشره، ويستعمل القيراط أيضا فى المساحة وقد جعل دستورا فى الحساب، فإنهم يقسمون المتجزئات الى أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له نصف وثلث وربع وسدس وثمن صحاح من غير كسر فيطرد التقدير به . (٤) الأخدع : عرق فى الرقبة إذا قطع لا ترجى بعده حياة . (٥) الخريطة : وعاء من أدم يشرج على ما فيه .

فأعدِدْ لهم ما خنتَ فيه سواهُمُ وعَدِّك (١) بالم تنظر بعينيك "واسطا"

ويا بَرْدَها عند الفؤادِ بأن تَرى على قارعاتِ الطُّرْق كفّيك (٢) باسطا

* * *

وقال :

يا دُرَّة البحر لو أنصفت نفسك ما جعلتها سِـــلكَ دُمـلوجٍ (٣) وخَلخالِ

كم ذى حُلِيٍّ وقد أزرَى به عَطَـلٌ وعاطل ليس يدرى أنـــه حالِ

لولا الهوى لم يبتْ سكّانُ "كاظمةٍ" ممّن منـازلهم "حِجْـرٌ" على بالِ

* * *

وقال :

علَى مَن تبيعُ متاعَ الأدبْ وتنثُرُ دُرَّ كلام العـــرَبْ؟

ومن يستحقُّ حُلِيَّ المديح يصاغُ له كحُـلِيّ الذهبْ؟

* * *

وقال :

سَنَحْن كما اعترضَ الربربُ (٤) ولكنَّ صـدَّهمُ أعجبُ

وجوهٌ ترقـــرقَ ماء الجمـا لِ فيهنّ لو أنّه يُشـــرَبُ!

---

(١) عدك : اصرف نفسك . (٢) يريد أنها تراه متسولا . (٣) الدملوج : حلية كالسوار تلبس فى الذراع . (٤) الرَبرب : القطيع من الظباء .

* * *

وقال :

وليـلةٍ قد نسجَتْ ريحُها غـــيما به آفاقُهـا تكتسى
ما زال يطوى النجمُ أخبارَهُ فيها عن الناظر حتى نُسِى
خلنا بها الأرضَ سماءً وقد أُطلعَ فيهـا أنجمُ الـنرجسِ

* * *

وقال :

عَذبٌ من المـاءِ قد سُدّتْ مواردُه سـيّانِ واجدُ ممنـوع وفاقـدُهُ
تجفو تعـذُّرَ حبٍّ لست تُبصرهُ والمُـرُّ حِرمانُ محبـوبٍ تُشاهـدُهُ
أرخى ذوائبَـه دونى يُشكِّكُنى أَهْى التى ســـترتهُ أم ولائـــدُهُ؟ (١)!
فليت قَدْ قَدَّ من جفـنى براقعَـه و إن كفَى فُصِّلتْ منـهُ مجاسِدُه
القدُّ والحصر والطرفُ الكحيلُ له فكيفَ يُغلَبُ مَن هذى مَكايدُهُ؟!
وما أردتُ ســـلُوّا عن محبّتـــه إلا وقلـبى على كُلِّى يُساعـــدُهُ

* * *

وقال :

يا حسنَ مَغداكَ وطيبَ الرواحْ ذاك هو الســعىُ وهـذا النجاحْ
مـــذ زجَروا فألَك أعلمتُهـــم إمساكَ أيديهـم عنانَ القِـــداحْ

(١) ولائد : جمع وليدة وهى الأمة .

وقال :

قـد عاد بدرُ الدجى الى فلَكِهْ يغسِلُ وجهَ الظلام عن حَلَكِهْ
سَرَى وأفراسُـــه مطالعُـــهُ ونَقعهُنَّ المُثارُ من حُبُكِهْ (١)
فآقتنَص المجـدَ فوق عاتقِـه وآستأسر المكرماتِ فى شَرَكِهْ
أهدىَ به الفضلَ والسماحةَ والـ ـعزمَ "إمامُ الهدَى" الى مَلِكِهْ

وقال :

شَككتُ وقـــد زارنى غَلطةً أفى يقْظـةٍ ما أرى أم مَنـامْ؟!

وقال :

تسعَى بنا قدمُ الرجاءِ وما الذى يُغنِى إذا قَعدتْ بنا الأرزاقُ!!

وقال :

قومٌ كئوسُهمُ الســيوفُ وخمـرهُم ما آستَخرجتْ من شاخِبِ الأوداجِ (٣) (٢)

(١) الحبك : الطرق . (٢) الشاخب : السائل . (٣) أوداج : جمع ودج وهو عرق فى العنق إذا قطع لاترجى بعده حياة .

وقال :

لا يهُنْ عندك اختلافٌ بجسمى فقِـــوامُ الأرواح بالأجسامِ

وقال :

ما يصـنَعُ المستِسرُّ[1] بالغـابِ صُـــنعَ ظِباءٍ وراءَ أطنـابِ[2]

جفـونُ هذى باللحظِ تُرسلُها أقتـلُ مِن ذا بالظُّفْرِ والنابِ

انتهى

(١) المستسر : المختفى ، — ويريد به الأسد — .

(٢) أطناب : جمع طنب وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .

هـــذا آخر ما وجد بالنسخة المخطوطة

* + *

"قال عبدُ الله بن إبراهيم الخِيرى : هذا آخر ما وُجِدَ من شـعرِه ؛ وكان رحمه الله يقول :

إن أكثرَ شعرِه ضاعت مسوداتُه فى النُّهوبِ والاختلافاتِ ؛ وما كان سبب جمعِه غيرى ، وكان رحمه الله كلَّما عمِل بعد ذلك قصيدةً يُنفذها الىّ ، ويقرؤها علىّ ؛ والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلاتُهُ وسلامُهُ على محمدٍ النبىِّ الأمىِّ وآلِهِ الطاهرين أجمعين" .

* * *

كتبها بخطه لنفسه محمود سامي الشهير بالبارودي
من دار الكتب الشهيرة بطوپ قپوسراي
بدار الخلافة العلية بالقسطنطينية
في شهر رمضان سنة ١٢٨٥ من
نسخة بخط ابي علي
الحسن ابن علي
كتبها
سنة ٥٢٦

وقد تم نسخها في ستة ايام لضيق الوقت

إحـــتمال

نضع فى هـذه الصفحة بعضَ آحتمالاتٍ على سبيل المثال مما ورد فى هـذا الديوان لطائفةٍ من الكلماتِ التى تحتملُ وجها آخرَ غير جازمين بها إلا على وجه هذا الآحتمال وللشعر وجوه :

صفحة	سطر	
٢	٨	أعراس — يحتمل فيها فتح الهمزة على أنها جمع ، وكسرها على أنها مصدر .
٣٣	٣	مخلّق — كذا بالأصل ، ومن قراءة البيت يجوز أن يكون معناه : أن هذا الجواد لا يسبقه شيء حتى الطير المحلق فى مداه ؛ ونقول إن من المحتمل أن يكون " مُخلَّق " بمعنى ممسوح بالخلوق وهو طيب يغلب على أجزائه الزعفران ، وكانت العرب تمسح به على وجه الجواد السابق للدلالة عليه . وكان من عاداتهم أيضا أنهم اذا أرسلوا خيلا على صيد فسبق أحدها خضبوا صدره بدم الصيد بدل الخلوق علامة له .
٣٤	٣	يجنُب — كذا بالأصل ، ونرجح أن تكون "يجلِب" وإن كان للأولى معنى ولكنه غير دقيق .
٤٤	٢	طال — كذا بالأصل وله معنى بعيد ، ونحن نؤثر أن يكون صوابه " حان " .
٥٨	٩	تُزْهَى لَهُ — كذا بالأصل و بمختارات البارودى ؛ ويحتمل أن تكون " تُزهَى بهِ " كما يقتضيه الآستعمال الفصيح .
٦٩	١٠	المربع — من المحتمل أن تكون " المرتع " .

صفحة سـطر

١٠٩ ٧ إن مرِضتْ ليلةً عُمْنَ كواكبُها — كذا بالأصل ، وهو لا يخلو من معنى ؛ ويحتمل أن يكون :

* إن عَرَضَتْ ليلةً عُمْتَ كواكبُها *

١٧٤ ٨ ليهنِك — كذا بالأصـل و يستعملها كثير من الشعراء على زعم أنهـا صـواب ، وقد جاء فى اللسان : « والعـرب تقول : ليهنئـك الفارس — بجزم الهمزة — ، وليهنيك الفارس — بياء ساكنة — ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة » .

ملاحظـــــة

شرحت كلمتان فى هـذا الديوان بغـير المعنى الذى يقتضيه سياقهما ، الأولى فى صـفحة ١٤٢ رقم ٢ من الشرح وهى « السابرى » : الثوب الجيـد ؛ وصوابه «الدرع المحكمة النسج» . والثانية فى صفحة ١٥٨ رقم ٧ من الشرح وهى «المزاد» : وعاء يوضع فيه الزاد ، وصوابه : « وعاء من جلد يوضع فيه المـاء » .

إســـتدراك

نستدرك فى هـذه الصفحة أغلاطا وقعتْ فى هـذا الديوان أثنـاء الطبع ، وهى وإن كانت لا تخفَى إلا أنّنا آثرنا أن ننبه عليها ليرجعَ اليها القارئ فى محلّها .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٠	دَهُرِيَّة	دُهْرِيَّة
٣٤	٤	المُصيف	المَصيف
٣٦	١٢	يزال	زال
٤٩	٧	وحشَ	وحِش
٥٥	٧	ياعزّ	بأغَرّ
٥٥	٧	فوق	فَرْق
٥٧	١٠	الصورُ	الصدرُ
٦٨	١٢	أطلال	أظلال
٦٨	١٢	الرجال	الرحال
٧٠	٥	سحابةٍ	سحابُهُ
٨٤	٢	يقطُف	يقطِف
٩٣	٩	مِـ اح	مُراح
١١١	١١	تعرَّضَ	تعرَّضْ
١١٧	٩	مرهم	مَرهم
١١٩	١	أصوم	أحوم
١٣٤	٤	قُطار	قطار

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	٧	قُطار	قِطار
١٤٠	٢	فأعلَى	فأغلَى
١٤٧	١٤	شُمُتُ	شُمُتَ
١٦٠	٤	قَسٌّ	قُسٌّ
١٦٥	٨	يُخْدَع	يُجْذِع (١)

(١) يجذع : يصير جذعا — وهو من الخيل والإبل — ما قبل الثنى .

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

DĪWĀN

ṢARRA DURR

Abû Mansûr ᶜAlî b. al-Ḥasan b. ᶜAlî b. al-Faḍl

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1995